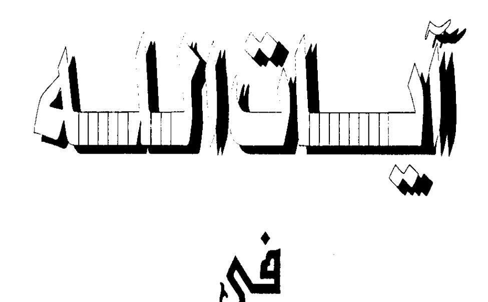


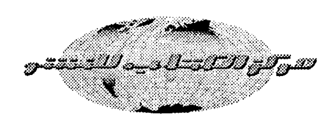
في

المشاعر المقدسة ومناسك الحج والعمرة

الأستاذ الدكتور
عبد الحافظ سلامة حامد

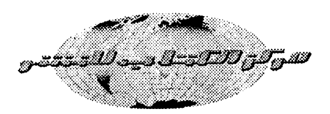
الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة

تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

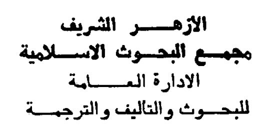

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
(٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله
في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة
الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير
(٢٨) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم
وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩) ﴾
[الحج: ٢٧-٢٩]

نموذج رقم « ١٧ »

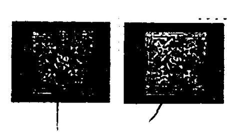
الأزهـــر الشريف
مجمــع البحــوث الاســلامية
الادارة العــــامة
للبحــوث والتاليف والترجمـــة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation









الســـيد / أ.د./ عبد الحافظ سلامة حامد

الســلام عليــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : آيات الله في البقاع المقدسة ومناسك الحج والعمرة .... تاليفكم ....

نفيد بأن الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـــه ونشره على نفقتـــكم الخـــاصة .

مع التـــأكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـــع .

واللـــــه المــــوفق ،،،

والســـلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ،،،

تحريرا فى ٨ / جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ
الموافق ٥ / ٨ / ٢٠٠٣ م

مدير عــــام
ادارة البحوث والتـــاليف والترجمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى جميع أنبيائك ورسلك وملائكتك وحملة عرشك وملائكتك المقربين.

الحمد والشكر والثناء الجميل لله رب العالمين ملء كونك وكرسيك وعرشك وسمائك وأرضك وملء قلبى وقلوب عبادك المخلصين، لك الحمد تسبح بها ذرات جسدى وعقلى ونفسى مع جميع مخلوقاتك المسبحة بحمدك إلى يوم الدين، ولك الحمد والشكر والثناء الجميل عدد أسمائك وصفاتك وكلماتك ومخلوقاتك وعدد تسبيحاتهم منذ خلقت السماوات والأرض إلى يوم الدين، ولك الحمد والشكر والثناء الجميل حتى ترضى يا رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم.

الحمد لله رب العالمين أن جعلتنى خليفة فى أرضك وفضلتنى على كثير ممن خلقت تفضيلاً كما أنعمت على بنعمة الإسلام والإيمان وهديتنى إلى نور القرآن ونور علمك فلا علم إلا ما علمتنا فإنك سبحانك العليم الحكيم.. ومننت على وجعلتنى من خدام بيتك الحرام ووفقتنى إلى تدبر آيات قرآنك الكريم بما تحتويه من علم وحكمة ونور وبالتدبر فى خلقك فوجدت قدرتك يا الله فى كل ذرة فى الوجود تدل على أنك أنت الله الواحد الأحد وأنك على كل شىء قدير.

ومن الدراسات التى أجريتها على المشاعر المقدسة ونتائج أبحاثها والتى استمرت أكثر من عشر سنوات وبالتدبر فى آيات القرآن الكريم التى لها علاقة بهذه المشاعر والمناسك التى تؤدى فيها وسنة الرسول الكريم فى هذا الموضوع وانفردت مناسك الحج والعمرة عن بقية المناسك الأخرى بوجود بعض آيات الله العلمية والكونية فى هذه المناسك والمشاعر تدل على عظمة الخالق فى تكوين تضاريسها وأنواع هوائها وماء

زمزم والطواف حول البيت العتيق فى آيات كالآتى . . فقد وجدت على سبيل المثال لا الحصر ما فى هذه المناسك والمشاعر العظيمة :

أولاً : ان الله سبحانه وتعالى خلق الذرة والمجرة وخلق الإنسان من عدم وجميعها تتبع فى خلقها نظام واحد يشتركون جميعاً فيه وهو الطواف فى اتجاه نقول له الآن «عكس عقارب الساعة» ولكن فى الأصل نقل فى اتجاه الطواف حول الكعبة.

١ - فالذرة تتكون من نواة تحيطها الالكترونات فى مدارات تطوف حول نواتها فى اتجاه الطواف حول الكعبة «عكس عقارب الساعة».

كما أن المجرة التى نحن بصددها والتى نعيش عليها كالأرض تطوف حول الشمس فى اتجاه الطواف حول الكعبة «عكس عقارب الساعة».

٢ - كما أن جميع الخلايا الحية فى النباتات والحيوانات نجد أن السيتوبلازم بما يحتويه من عضيات تطوف حول نواتها فى اتجاه الطواف حول الكعبة (السيتوبلازم هو سائل حيوى داخل الخلية يتحرك حول النواة).

٣ - لذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نأتى إلى بيته الحرام ونطوف حول الكعبة «عكس عقارب الساعة» متماثلين مع خلايا أجسادنا والخلايا التى نأكلها وجزيئات الماء التى نشربها ومع الأرض التى نعيش عليها ومع الذرات التى تكون جميع هذه المخلوقات فى طواف واحد فى اتجاه واحد امتثالاً لأمر إله واحد فهو الخالق الواحد الأحد.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[سبأ :٣].

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس :٨٢].

ثانياً : أكدت بعض الأبحاث العلمية أن مكة المكرمة هى مركز الكرة الأرضية وفيها أول بيت للّه يطوف حوله الناس منذ القدم.

ثالثاً : نجد بجوار أول بيت وضع للناس بمكة بئر زمزم وهى من آيات الله الكونية حيث تتوارد فيها المياه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً بلا انقطاع وتكفى الحجيج كل عام مهما زادت أعدادهم، علاوة على تأكد منذ مرور هذه السنوات على صحة أحاديث رسول الله ﷺ بشأنها.

رابعاً : بالتدبر فى طبوغرافية (تضاريس) (المشاعر المقدسة من عرفات ومزدلفة ومنى. نجد أن عرفات وادى متسع جداً ومسطح ثم يضيق حتى يصل المزدلفة وتنتهى بطريق واحد يخرج من كوبرى الجمرات معطياً شكلاً عاماً لهذه المشاعر شكل الرحم فى الأنثى، وقد سأل ابن عباس رضى الله عنه عن ضيق منطقة منى بالرغم من أنها تحتوى الحجيج كله عجباً لضيق منى فى غير الحج. فقال: إن منى تتسع لأهله، كما يتسع الرحم للولد.

خامساً : بالتدبر فى السنة المشرفة وعن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: قال: رسول الله ﷺ : «**أركان الإسلام خمسة، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**»[رواه البخارى].

نجد الآتى:

١ - شهادة أن لا إله إلا الله : تقال فى العمر مرة واحدة وهى علاقة بين الإنسان وربه وتقال فى أى زمان أو أى مكان.

﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴾[**الأعراف**:١٧٢].

٢ - إقام الصلاة : وهى الركن الوحيد التى كلف بها الرسول ﷺ من ربه مباشرة بدون وحى فى المعراج فى زمانها خمس صلوات فى اليوم وليس لها مكان حيث جعل الله لنا الأرض مسجداً وطهوراً.

٣ - إيتاء الزكاة وهى تؤدى فى العام مرة من فائض الأموال كذلك زكاة الذهب عند وجوبها والمحاصيل عند حصادها والأنعام عند تكاثرها وهى علاقة بين الإنسان والفقراء من المسلمين فى نفس المكان الذى يعيش فيه فهى بلا زمان ولا مكان.

٤ – صوم رمضان : وهو شهر فى السنة وهو علاقة خاصة بين الإنسان وربه فى نفس المكان الذى نعيش فيه فالصوم زمان بلا مكان.

٥ – حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً : وهى حجة الإسلام وتؤدى فى العمر مرة لمن استطاع وهى علاقة بين المسلم وبين الله وجميع المسلمين فى العالم أجمع بل وأيضاً جميع مخلوقاته من الدواب والأنعام والنباتات والجن والملائكة فلها مكان هو البيت الحرام والزمان شهر الحج وأيام معلومات.

الأركان الأربع الأولى من أركان الإسلام عبادات محلية تؤدى فى نفس مكان إقامتك أما الحج فهو هجرة إلى الله سبحانه وتعالى إلى بيته المحرم ابتغاء مرضاته وتنفيذاً لأوامره واستجابة لنداء رسوله الكريم إبراهيم عليه السلام.

سادساً: بالتدبر فى آيات الله الخاصة بمناسك الحج والعمرة نجد الآتى:

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى لم يتجلى لأحد من خلقه إلا لرسول الله محمدﷺ عند سدرة المنتهى حيث قال سيدنا جبريل لصاحبه إن اخترقت احترقت أما أنت إن اخترقت اقتربت كما يتجلى الله سبحانه وتعالى على حجاج بيته الحرام يوم عرفة.. فقد وجد أنه:

أ – عندما طلب سيدنا موسى من الله سبحانه وتعالى أن يراه فكان رد الله سبحانه وتعالى لن ترانى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾** ﴾[**الأعراف**:١٤٣].

ب– بينما الوحيد الذى شاهد نور الله سبحانه وتعالى جهراً مباشرة هو حبيبه سيدنا محمد ﷺ عند سدرة المنتهى كما فسر ذلك كل من عكرمة ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى: ﴿ **عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ** ﴾[**النجم**:١٤–١٦].

إن الله سبحانه وتعالى يتجلى على عباده الحجاج فى يوم عرفة حيث يباهى ملائكته.. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله يباهى بأهل**

عرفات أهل السماء فيقول لهم انظروا إلى عبادى جاءونى شعثاً غبراً» [رواه أحمد وابن ماجه فى صحيحه والحاكم]، علاوة على حديث رسول الله ﷺ حيث قال فى حجة الوداع : **«يا معشر الناس أتانى جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأنى من ربى السلام وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات»** فقام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ قال: **« هذا لكم ومن آتى بعدكم إلى يوم القيامة»** فقال عمر رضى الله عنه: كثر خير الله وطاب[رواه أحمد وابن ماجه فى صحيحه والحاكم].

د - لكى يتجلى الله سبحانه وتعالى على عباده فى هذا المشعر العظيم فكان من اللازم تحضير الحاج لهذا الموقف فكانت مناسك الحج والعمرة.. ونجد أن هذه المناسك أو الأفعال تكون على مستوى خلية الإنسان فى جسده بجوار عقله ونفسه.

ومناسك الحج والعمرة هى:

١ - الاستحمام ليكون نظيف الجسد بعد حلق شعر الرأس والأبط والعانة.

٢ - لبس الإزار للرجال والملابس العادية للنساء حتى يكون نظيف الملبس.

٣ - التلبية : لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك .. تكرر من المواقيت المكانية وهى أقل مسافة ميقات حوالى ٩٤ كم وحتى يصل إلى الكعبة ملبياً مهللاً حتى يستبدل ما فى قلب الإنسان من شواغل الدنيا بالتوحيد والحمد لله رب العالمين.

٤ - الطواف حتى يعيد ترتيب ذرات جسده مع نفسه وعقله ويكون فى منظومة الطوافين المسبحين فى ملكوت السماوات والأرض من ملائكته وجميع مخلوقاته.. نباته ودوابه وسماواته وأرضه.

٥ - مما سبق يصبح الإنسان طاهر الشكل والملبس والنفس والعقل والقلب متناغم مع الكون كله حيث أنه المخلوق الوحيد غير المسبح فى الكون على الرغم أن جميع خلايا جسده مسبحة بذاتها إلا العقل له اختيارية التسبيح من عدمه ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥٢]

٦ - نجد أيضاً أن خلايا الجسد بالرغم أنها مسبحة بذاتها إلا أنها قد اشتركت مع النفس والعقل فى ما فعله الإنسان من الفجور والفسوق والعصيان وخلافه وان الاستحمام يكون فيه نظافة الخلايا ظاهرياً بينما الخلايا الداخلية ما زالت مدنسة فكانت سنة رسول الله ﷺ هى الشرب من زمزم حتى التضلع بعد الطواف والصلاة عند مقام إبراهيم مباشرة وليس الشرب فقط حسب الحديث الشريف **«ثلثا لطعامه وثلثاً لشرابه وثلثاً لنفسه»**[رواه ابن ماجه وأحمد] ، ولكن هنا شرب زمزم حتى يتضلع أى تملأ ضلوعه وتملأ معدته بالكامل بماء زمزم.

٧ - نلاحظ أن السعى يأتى مباشرة بعد الشرب من زمزم حيث قال رسول الله ﷺ : **«ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم»** ، وهنا مؤكد وصول زمزم إلى كل خلية من خلايا جسدك فنهرول ونمشى ونصعد جبل الصفا والمروة لمسافة حوالى ٢٨٠٠ متر وبالتالى يتصبب عرقاً لكى تخرج ما شربته من ماء زمزم عبر خلايا جسدك حتى تتطهر الخلايا من الداخل، وبذلك تكون طاهر الشكل والملبس والنفس والعقل وحتى خلايا جسدك جميعها، أنت الآن مستعد لتلقى تجليات الله فى الموقف فى عرفة فإذا قال الله سبحانه وتعالى اشهدوا ملائكتى أنى قد غفرت لهم فتكون طاهراً راجعاً إلى الدنيا كيوم ولدتك أمك ليس عليك من الآثام شيئاً وإن طلبت الشفاء شفاك الله سبحانه وتعالى.

٨ - أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، عندما فسق الشيطان عن أمر ربه قال سبحانه وتعالى أخرج منها إنك رجيم ، لذلك أمرنا الله أن نقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أن تقول ذلك بصوتك فهل أنت رجمت الشيطان عملياً فالحج أقوال وأعمال فكان عمل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو الرجم العملى فكانت عملية رمى الجمار، فعند رميك للجمار فأنت ترمى الشيطان الرجيم عملياً ويلاحظ أن عدد الحصيات التى ترميها حسب السنة

وبدون التعجل ٧٠ حصاة وهى تماثل عكس شعب الإيمان التى ذكرها الرسول الكريم فى حديثه الشريف :« **الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[رواه البخارى والترمذى والنسائى وأبو داود ومسند أحمد] وبذلك عند رميك الجمار فأنت ترمى الشيطان الرجيم وترمى فى نفس الوقت شيطان نفسك فى الصفات عكس صفات شعب الإيمان فالصدق شعبة من شعب الإيمان إذن عند رميك الجمار فأنت ترمى صفة الكذب والأمانة شعبة من شعب الإيمان عند رميك الجمار فأنت ترمى صفة الخيانة ، وهكذا.

٩ - نجد أن من مناسك الحج وعند إحرامك يحرم عليك الصيد وأنت محرم أو قتل أى دابة وإن صغرت ما عدا الفواسق الخمس ولا تقلع نباتاً وإن فعلت يكون ذلك جريمة جزاؤها ذبح هدىّ للحرم لتذوق وبال أمرك وتعتبر ذلك جريمة فى الحج والعمرة، وأيضاً بعد إعلان إحرامك يحرم عليك قص أظافرك أو اقتلاع شعر من جسدك وإن فعلت يكون أيضاً جريمة جزاؤها هدىّ للحرم وبالتالى عند إحرامك يكون جسدك كالحرم بالضبط ، وتفسير ذلك أن جميع خلايا جسدك عندما أعلنت الإحرام وقلت اللهم إنى أحرمت جسدى ودمى وشعرى للّه رب العالمين ولبيت فقد دخلت جميع خلايا جسدك فى النسك وبدأت تلبى هى الأخرى وأصبحت تحج منفردة معك فعند قص ظفر من أظافرك تكون قد قتلت خلايا من خلايا جسدك المسبحة والمهللة والملبية فيكون العقاب ذبح هدى للحرم مثل قتلك بالضبط للصيد أو أى دابة من الحرم وبالمثل عندما تنتف شعرة وتخرجها من جسدك أو رأسك فإنك بالضبط تماثل قلع نباتاً من الحرم وتكون آثماً ويكون جزاؤك هو ذبح هدىّ للحرم (الشعرة خلية جسدية ممتدة).

ولذلك فإن عملية الوطء أثناء الإحرام وهو الجماع بين الرجل وامرأته ولو أنها حلال شرعاً إلا أنها تعتبر جريمة كبرى لا يماثلها جريمة حيث

يفسد حجتهما وعليهما استكمال أعمال الحج إلى آخره مع فساده وذبح كل واحد منهما بدنة كما تعاد الحجة فى السنة التى تليها إجباراً ويفرق بينهما فى هذه الحجة وذلك لأنهم قد أخرجا بلايين البلايين من خلايا جسدهما من النسك والتى سبق وإن دخلت فى مناسك الحج أو العمرة، ولذلك كان الحرم أعظم.

ألم أقل أن خلايا جسدك تحج كل خلية بذاتها.

ويلاحظ أيضاً أن الله حرم علينا ونحن فى الحرم الصيد أو قتل أى من دواب الحرم ثم تكون مناسك ذبح الهدىّ، وذلك لأنك حضرت إلى ربك مرتدى كفنك وتقول لبيك ربى مثل ما فعله سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفى نفس المكان عندما قالا: لبيك ربنا وامتثالاً لأوامرك وقام إبراهيم بذبح ولده وحيده إسماعيل إلا أن الله افتداه بذبح عظيم . . فبدلا من أن ينزل الله سبحانه وتعالى علينا هذه الأنعام من السماء فداء لنا ولكن الله سبحانه وتعالى ذلل لنا من آكلات العشب أنعاماً عندما تدخل الحرم تقلد تصبح هدياً ويستباح دمها ابتغاء مرضاة الله ولذلك يقول الرسول ﷺ : **«لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة إنها توضع فى الميزان فابشروا»** الصوفة هى خلية ممتدة وبذلك لك فى كل خلية من خلايا الهدىّ الذى ذبحته لحماً أو عظماً أو دماً حسنة.

ولذلك نجد أن البُدْن من شعائر الله والبُدْن هو الجمل عمره من أربع إلى ست سنوات حيث يتراوح وزنه حوالى خمسمائة كيلو جرام فإذا قسمت على سبعة أشخاص يكون نصيب الفرد حوالى سبعين كيلو جرام وهو متوسط وزن الإنسان ، بمعنى أنك تفدى نفسك بكمية من اللحوم والدم والشعر والجلد مماثل تقريباً لوزنك.

١٠- الحلق والتقصير : أنت قدمت بالهدىّ افتداءً لنفسك فأين أنت من التضحية بالنفس فأراد الله سبحانه وتعالى ورحمة منه أن تفدى بجزء من جسدنا بلا إراقة دماء فكان الحلق. . ألم نر من قبل أن كل شعرة أو خلية من جسدك بلا إراقة دماء فكان الحلق. . ألم نر من قبل أن كل شعرة أو خلية من جسدك مثل الدابة فى الحرم بالضبط . . إذن عند الحلق فإنك تهدى إلى الله جزء من جسدك تماثل آلاف الأنعام وهى خلايا شعرك بلا إراقة دماء . . ولذلك نرى حديث رسول الله ﷺ حيث روى البخارى ومسلم فى صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال: « **رحم الله المحلقين**» قالوا: والمقصرين يا رسول الله :« **رحم الله المحلقين**» قالوا: والمقصرين يا رسول الله . قال: «**رحم الله المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال:« **والمقصرين**» وزيادة لتأكيد هذا التفسير أن سنة رسول الله ﷺ بعد الحلق قد قلم أظافره. . زيادة فى عدد الخلايا التى ضحى بها ﷺ من جسده.

وليس الأمر كما يقال أن الإنسان يتخلى عن زينته حيث كان الرعيل الأول من المسلمين يرتدون العمائم فلا يرى إن كان حالق أو غير ذلك.

١١ - طواف الإفاضة : شتان بين طواف وطواف. . طواف قدوم بما نحمله من الآثام والفجور والعصيان وطواف إفاضة بما أفاضه الله علينا من بركاته وجوده وإحسانه وغفرانه لذنوبنا فأى جود وأى عطاء وكما قال سيدنا عمر رضى الله عنه (كثر خير الله وطاب).

هـ- إن الله سبحانه وتعالى بجلاله وكرمه يشكر للحاج أو المعتمر على بضع خطوات يخطوها بين الصفا والمروة بينما نحن فى غفلة عن شكر الله على نعمه ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾** ﴾[البقرة :١٥٨] .

و – لوحظ أيضاً أن هذه المناسك قد ذكرت فى كثير من سور القرآن الكريم مثل سور البقرة وآل عمران والمائدة والأنفال والتوبة وإبراهيم علاوة على سورة الحج.

سابعاً : لم نجد سورة من سور القرآن الكريم انفردت بأى ركن من أركان الإسلام الخمس إلا ركن الحج فقد أفردت سورة سميت باسم سورة الحج، وهى مدنية وعدد آياتها ٧٨، وبالرغم من احتوائها على عديد من مناسك الحج والعمرة إلا أنها تميزت بالآتى:

١ - اشتملت على العديد من آيات الله العلمية مثل :

أ – بدأت بالشدة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾[الحج: ١، ٢].

ب– خلق الإنسان من تراب وعلاقته بالماء والنبات والبعث وإحياء الموتى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[الحج: ٥].

جـ– مثل الذبابة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾[الحج: ٧٣].

د– أن الإنسان يسمع ويرى بعقله الموجود فى قلبه، أما وإن شغل عقله بأى شيء آخر فلا يسمع ولا يرى وإن كان مفتح العينين ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[الحج: ٤٦].

(هـ) ان الزمن الذى نعيشه ليس هو الزمن الوحيد فى الكون لأن الزمن عند الله شىء آخر : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[الحج : ٤٧] .

(و) السورة الوحيدة فى القرآن العظيم التى تحتوى على سجدتين :

- الأولى : أمر بالسجود لجميع مخلوقاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[الحج :١٨] .

- الثانية أمر بالسجود للمؤمنين ولكن الأمر كان بالركوع قبل السجود وبعبادة الله وفعل الخيرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الحج :٧٧] .

ز - وهى من قلائل السور فى القرآن العظيم المحتوية على أسماء الجلالة مكثفة فهى تحتوى على (أن الله) لعدد ثلاث وثلاثين مرة، وكذلك (عشرون اسماً من أسماء الله الحسنى مثل : الحق، الرزاق، العليم، الحليم، الغفور ، الحليم، اللطيف، الخبير، الغنى، الحميد، الرؤوف ، القوى، العزيز ، السميع، البصير، العلى، الكبير) .

ح - هذا علاوة على ما تحتويه من مكان وزمان وفائدة مناسك الحج والعمرة فنجد أن : المكان هو البيت الحرام ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[الحج :٢٦] ، الزمان : منذ أذن إبراهيم بالحج وتعتبر هذه آية كونية حيث أذن سيدنا إبراهيم وهو فى البرية بأمر من ربه ثم نسمع إبراهيم إلى يوم القيامة ونلبى هذا من دلائل القدرة لله العلى القدير . . وقد أسمع الله سبحانه وتعالى هذا الآذان للناس وهم فى أصلاب آبائهم وهم ذر . . لذلك كان الآذان للناس كافة وليس للمسلمين أو المؤمنين وهو مماثل لشهادتنا ونحن فى الذر بأن ربنا هو الواحد الأحد .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾[الأعراف :١٧٢] .
وكان آذان سيدنا إبراهيم : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[الحج :٢٧] .

نجد أيضاً يأتين من كل فج عميق آية من آيات الله حيث نرى اليوم فى عرفات جميع الحجاج من مختلف بقاع الأرض وأوروبا والأمريكتين واستراليا وآسيا وأفريقيا تلبية لآذان فى الصحراء منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، وكذلك فالبشرية كلها سمعت هذا الآذان، فمن الناس من لبى نداء ربه وذهب وحج ومنهم من لم يلبى النداء، كمثل الناس عند سماعهم الأذان للصلاة فمنهم من يلبى ويصلى بينما الآخرين فى غفلة على الرغم من سماعهم الأذان ولكن لا يؤثر فى القلب فيغفل فلا يلبى لأن الله ران على قلبه .

كما أن الحج محدد فى أيام معلومات وهى أشهر الحج من كل عام ينتهى بيوم عرفة ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[البقرة :١٩٧] .

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[الحج :٢٨] .

الغرض من الحج : ليقضوا تفثهم ويتخلصوا من ذنوبهم وليوفوا نذورهم والطواف بالبيت العتيق وأن يحمدوا الله سبحانه وتعالى أن جعلهم خلفائه فى الأرض وذلك وسخر لهم من آكلات العشب أنعاماً ليركبوا منها ويأكلوا لحومها ويشربوا من ألبانها وتستخدم جلودها وأصوافها وأشعارها وأوبارها وليتصدقوا بلحومها للفقراء والمساكين ، وهى نعم لا تعد ولا تحصى كما سخر لهم ما فى السماوات والأرض .

الفائدة من مناسك الحج والعمرة: تقوى للقلوب وإغفار للذنوب ومنافع فى الدين والدنيا وبشرى للمحسنين وبشرى للصادقين.

١ - شعائر الله وأنها من تقوى القلوب : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[الحج :٣٢] .

٢ - الحج كالهجرة إلى الله فالحاج يهاجر من بلده إلى بيت الله الحرام امتثالاً لأوامره وحباً فى طاعته وتلبية لآذان خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ألم يهاجر سيدنا إبراهيم بدينه من بابل إلى الشام ومصر : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[العنكبوت :٢٦] .

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[الحج :٥٨] .

٣ - الحج والعمرة من مناسك الله التى يجب أن تؤدى فور الاستطاعة : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[الحج :٣٤] .

٤ - مناطق الحج كلها آمنة بأمر من الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[الحج :٢٥] .

ثانياً : ومن نتائج الأبحاث التى أجريت فى المشاعر المقدسة والدراسات عن مناسك الحج والعمرة لمدة عشر سنوات بالتعاون مع العديد من الأخوة العلماء من المركز القومى للبحوث والجامعات المصرية ومركز أبحاث الحج بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة فى حل المشاكل التى كانت تواجه الأخوة الحجاج فى مناطق المشاعر وأثناء تأدية مناسكهم فقد مَنَّ الله تعالى علىَّ ببعض التجليات فى كل نسك وشعيرة سوف تذكر فى حينه إن شاء الله رب العالمين وذلك عندما وفقنا الله سبحانه وتعالى فى حل كثير من هذه المشاكل وهى :

١ – حل مشكلة الهدى والاستفادة الكاملة منها .

٢ – حل مشكلة الحرائق بمنى وإنتاج خيام مضادة للحريق .

٣ – دراسات عن نوعية الهواء فى المشاعر المقدسة « كيميائياً – بيولوچيا – ضوضاء» .

٤ – دراسات عن المحتوى الميكروبى لهواء المشاعر المقدسة وغيرها « طرق وأنفاق مشاة ومواصلات ووسائل الإعاشة وكذلك مختلف الجنسيات» .

٥ – دراسات عن نوعية الهواء والمياه فى ميناء جدة الإسلامى ومطار الحجاج .

٦ – دراسات عن تشجير مناطق المشاعر .

٧ – دراسات عن بئر زمزم «هندسياً – هيدرولوچياً – كيميائياً – بيولوچياً» .

٨ – اعتبر من القلائل فى البشرية الذين مَنَّ الله عليهم بمشاهدة العيون الأساسية للبئر .

ومن نتائج هذه الدراسات وما ظهر من الآيات العلمية المبهرة أثناء الدراسة، وبالتدبر فى آيات القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم بما يخص هذا النسك ومناقشة ما تجلى الله سبحانه وتعالى على وإعطائى من فيض علمه عن مناطق المشاعر المقدسة من طبوغرافيتها وتاريخها وعمارتها وتطورها منذ نشأتها إلى يومنا هذا وقد فصلتها عن أعمال الحج والعمرة من مناسك حتى لا أشتت القارئ عن الكلام وشرح هذه المناسك .

فالحج مكان وزمان وأعمال فإن جمعناها سوياً لا يستطيع الإنسان غير المتخصص أن يلم بها مع صعوبة فهمها لأن المناسك متعددة الأحكام فكل عمل فى الحج والعمرة محكوم بالشرع من حيث كونه فرض أو واجب أو جائز أو محظور فى مكان معين وزمان معين .

كما أمرنا الله سبحانه وتعالى :

١ - أن يتفقه بعضنا فى الدين ونبينه لإخواننا المسلمين: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

٢ - عندما يمن الله عليك بالعلم فلا يصح أن تكتمه ولا بد من نشره وإلا يلعنك الله ويلعنك اللاعنون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

٣ - كما بين الله سبحانه وتعالى لنا أنه سيرينا آياته فى الآفاق وفى أنفسنا: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

فكان لزاماً على أن أنشر ما قد مَنَّ الله على من فيض علمه فى كتاب أقدمه إلى أخوانى المسلمين أسميته

«آيات الله فى المشاعر المقدسة ومناسك الحج والعمرة»

لكى يزيد النفع ويستمتعوا بأداء هذا النسك العظيم عسى الله أن يتقبله منى والكتاب اجتهاد ليغفر الله لى إن أخطئت ويوفقنى الله إن أصبت.

ووفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه . .

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وجميع أنبيائك ورسلك وملائكتك وحملة عرشك والحافين حول عرشك وملائكتك المقربين.

والحمد لله رب العالمين،،،

عبد الحافظ سلامة حامد



الباب الأول

بناء أول بيت لله بين آدم وإبراهيم عليهما السلام

الباب الأول
بناء أول بيت لله بين آدم وإبراهيم عليهما السلام

تضاربت الأقوال والتفاسير عن من هو أول من بنى البيت الحرام ببكة هل هم الملائكة أم الجان أم سيدنا آدم أم سيدنا إبراهيم وكل فرقة قد ساقت الأقاويل والبراهين ولكن الله أعلم ببنائه .

فمن قال بأن الله سبحانه وتعالى أمر ملائكته ببناء هذا البيت أرجع تاريخه إلى بدء خلق الملائكة .

ومن قال بأن الجان هم أول من سكن الأرض وبنوا هذا البيت أرجع ذلك إلى ما قبل آدم .

ومن قال بأن هذا البيت بناه آدم أرجع ذلك إلى بنائه عند نزول آدم للأرض .

ومن قال بأن هذا البيت بناه سيدنا إبراهيم وإسماعيل أرجع تاريخه إلى أكثر من ٢٠٠٠ ق.م.

ولأننا لا نملك الدليل على صحة الرواية القائلة بأن الملائكة هم الذين بنوا البيت الحرام لأن الله سبحانه وتعالى لم يذكر ذلك فى القرآن ولم يذكر قط أن الملائكة قد أمروا بإنشاء أى شىء فى الوجود لطبيعتهم النورانية المسبحة بذاتها كما أن لهم بيت آخر فى السماء مماثل لبيت الله الحرام فى الأرض وهو البيت المعمور .

أولاً : سيدنا آدم وبناء بيت الله الحرام ببكة :

أعلمنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه العظيم أنه خلق الكون من سماوات وما فيهن من شمس وقمر ونجوم وليل ونهار والأرض بعد أن طحاها ودحاها والجبال أرساها وأخرج منها ماءها ملحاً أجاجاً وأخرج منها مرعاها المائى والأرضى بعد نزول الماء العذب الفرات من السحاب المسخر بين السماء والأرض لينبت به حباً ونباتاً ألفافاً، وأنبت من الأرض كل زوج كريم وبهيج وموزون ونباتات مختلف أشكالها

وأحجامها وألوانها وثمارها وأكلها وتسقى بماء واحد وبث فيها من كل دابة مختلف أحجامها من البكتريا إلى الديناصورات ومختلف أشكالها وألوانها وحركاتها، وقد خلق الله كل ما سبق بعلمه وقدرته فى ستة أيام وكان عرشه على الماء وخلق كل شيء فى الوجود من العدم وكل شيء خلقه الله بقدر وفى كتاب ثم استوى على العرش وما مسه من لغوب أو كان سبحانه وتعالى لاهياً.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد:٤].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[الأنبياء:١٦].

﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾[الرحمن:١٠].

وبعض خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما بين لنا الله سبحانه وتعالى أنه خلق الملائكة من نور أولى أجنحة ومتدرجين فى وظائفهم حتى نصل إلى الملائكة المقربين.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فاطر:١].

وقد وصل عدد أجنحة سيدنا جبريل أمين الوحى إلى ستمائة جناح كما رآه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عند سدرة المنتهى.

ثم خلق الله سبحانه وتعالى الجان من نار السموم فكان ناراً ونوراً.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[الرحمن:١٥].

وكان كل من فى الوجود مسبحاً للّه بذاته ويسبح بحمده من فى السماوات والأرض من ماء ونبات ودواب وملائكة وجان حتى أن إبليس اللعين وكان من الجن المسبحين وصل إلى درجة الملائكة.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:١٩، ٢٠].

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق خلقاً إذا عبده يعبده باختيار وحب ولذلك بعدما خلق كل شيء فى الوجود وجهز كل شيء فى السماوات والأرض وسخرها لتكون فى خدمة خليفته فى الأرض مانحاً إياه بعضاً من صفاته وقدرات لم يعطها لأى خلق من قبله وقد قدر هذا فى كتابه من قبل خلق سماواته وأرضه كما بين لنا ذلك الحديث الشريف: حيث قال رسول الله ﷺ: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»** [رواه أحمد والترمذى]. .

وقال الله فى كتابه:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٩].

وكان هذا الخلق فى كتابه وهو اللوح المحفوظ وقد وضع وصف كل شيء لاحتياجات خليفته لذلك عندما قال سبحانه لملائكته إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٣٠].

وذلك لمعرفتهم خصائص خليفته من الكتاب ولم يعترض إبليس لأنه من الجن ولم يطلع على كتاب الله فى هذا الوقت وقد خلق الله سبحانه وتعالى خليفته من مفردات كونه فهو من ماء وطين وتراب وعناصر مختلفة فمن الماء وهو العذب الفرات يكون من السحاب فهو ماء وبرق (ضوء) ورعد (صوت) وصواعق (نار) فهو ماء ونار وصوت ونور وهو طين وهو تراب ورمل فهو من عناصر الكون كله كما قال الله فى حديثه القدسى: **[لو خلقتموهم لرحمتموهم]**.

وقال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر:٢٨]**.

وقال عز من قائل: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ [الفرقان:٥٤]**.

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[فاطر :١١] .

فسوى قامته بنانه (أصابعه) وصوره فأحسن صورته ثم نفخ فيه من روحه فكان سميعاً بصيراً .

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[الحجر :٢٩] .

فسجدت الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس أبى واستكبر وتجبر .

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة :٣٣، ٣٤] .

وهذا يدل على أن علم الله سبحانه يختلف عن كتاب الله فالملائكة قادرين على قراءة كتاب الله ولكن ما فى علم الله لا يعلمه إلا هو ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء .

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[البقرة :٣٣، ٣٤] .

ثم عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال والإنسان .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[الأحزاب :٧٢] .

وعندما حمل الإنسان الأمانة وهى العقل فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى نفساً وألهمها فجورها وألبسها لباس التقوى .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[الشمس : ٩، ١٠] .

ثم خلق من آدم زوجه ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة.

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٥-٣٧].

وكان الإنسان خليفة الله فى الأرض الوحيد بين مخلوقاته الذى يملك الاختيار بين الإيمان والكفر وكذلك الجن.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦].

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف: ٢٩].

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة: ٣٨].

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[طه: ١٢٣-١٢٦].

هنا عندما هبط أبينا آدم وأمنا حواء إلى الأرض هبط معهما إبليس اللعين وكذلك الملائكة المسئولين عن الأرزاق وخلافه فيكون الطبيعى أن آدم وحواء قد هبطا معاً بالقرب من بعضهما وتقابلا فى منطقة عرفات وهى أقرب مكان للبيت الحرام، وكانت هذه الأماكن تحتوى على المراعى والمياه والحيوانات والعشب وخلافه، وقد سارا بوحى من الله حتى وصلا إلى بكة وهى المكان المقابل للبيت المعمور فى السماء.

البيت المعمور هو بيت الله فى السماء تطوف حوله الملائكة الأبرار . . وقد وصفه الرسول ﷺ فى حديث الإسراء حيث قال:« **ثم رفعت إلى البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟! قال: هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه**»[أخرجه البخارى ومسلم والترمذى].

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: (هو بيت فى السماء السابعة حيال الكعبة أى يقابلها وحذاءها تعمره الملائكة يصلى فيه كل يوم سبعون ألف من الملائكة ثم لا يعودون)[مختصر ابن كثير].

﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾

[**الطور**: ١-٤]

ولما كان بيت الله الحرام فى الأرض أسفل مباشرة البيت المعمور فى السماء ولذلك يرتبط تاريخ إنشائها بتاريخ بدء الوجود على الأرض.

ومن قال أنه كان يوجد الجان قبل آدم فى الأرض وهم الذين سفكوا الدماء فأى دماء . . وهل للجان دماء؟! . . ولذلك قالت الملائكة ما قالته رداً على الله سبحانــه وتعالى عندما قال إنى جاعل فى الأرض خليفة فالرد عليهم بأن أول من سكن أو هبط إلى الأرض هو آدم لقوله تعالى:

﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ** ﴾[**طه**:٢٣].

وكان الأمر من الله سبحانه لخليفته إعمار الأرض وبالتالى لا تصح هذه الرواية الخاصة بالجن.

آدم هو أول من بنى البيت الحرام

أما الغرض الثانى وهو بناء سيدنا آدم لهذا البناء فتوجد الأدلة الغير جازمة ولكن بالاستقراء لبعض آيات الله فى القرآن العظيم من خلق السماوات والأرض ونزول آدم كخليفة فى الأرض لإعمارها. فيكون من المنطقى أن يوصى الله سبحانه وتعالى إلى

أول نبى ورسول فى البشرية إلى بناء بيت الله الحرام فى الأرض أسفل مباشرة بيت الله المعمور فى السماء على هذه الربوة الحمراء فى بكة حيث خلقت هذه الصخور مع الأرض عندما قال لها الله «كونى أرضا فكانت» .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[طه : ٣٨] .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[الإسراء : ٧٠] .

وهذه الربوة فى نهاية وادى يمتد من منى إلى هذه الربوة يقال له الآن وادى إبراهيم كما يقال أيضاً أن مدينة جدة سميت بذلك لأن بها قبر سيدتنا حواء، والله أعلم.

وبدأ أول زوجين فى البشرية فى عمارة الأرض حيث أمرهما الله سبحانه وتعالى أن يعبدوا الله شاكرين له سبحانه وتعالى أن يقبل توبتهما ، وقد من الله على الإنسان بالعلم حيث علم الله آدم الأسماء كلها وبدأ فى إنجاب الأولاد الذكور والإناث فى البطن الواحد، وكانت حواء تلد فى كل مرة ذكر وأنثى وكان سيدنا آدم يزوج الذكر من هذا البطن بالأنثى من البطن الآخر، ولما أراد سيدنا آدم أن يزوج ابنه هابيل أخت قابيل ويزوج قابيل أخت هابيل رفض قابيل الانصياع إلى أمر أبيه لأن أخته كانت أجمل من أخت هابيل فقال لهما سيدنا آدم قربا قربانا إلى الله فمن أيكما يقبل قربانه تزوجها. . وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده وقابيل صاحب زرع فقدم أرذل زرعه ، فقبل الله سبحانه قربان هابيل فازداد قابيل غضباً وحسداً وسخطاً وتوعد أخاه بالقتل وقد قتل هابيل أخاه فى أول جريمة سفك دم فى البشرية .

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي

سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[المائدة: ٢٧-٣١].

ونسرد هذه القصة لكى نبين أن بدء الخليقة كان على دين الإسلام فى وجود نبى الله ورسوله آدم حيث بين هذا الحديث المتبادل بين هابيل وقابيل مخافة الله وتحريم القتل والتخويف من عذاب الآخرة وهى جميعها أسس أى عقيدة ودين، ولأكد أيضاً أن بمثل هذه التعاليم يكون هناك بيتاً لله يعبد فيه وهو أول بيت بناه أبيهم آدم فى بكة.

ويقول ابن عباس رضى الله عنه: (خوفه بالنار فلم ينته ولم يتراجع فطوعت له نفسه قتل أخيه، وقال الزمخشرى فى الكشاف: إن هابيل كان أقوى من القاتل ولكنه تحرج عن قتل أخيه خوفاً من الله، وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً: لو كانت ندامته على قتله لأخيه لكانت الندامة توبة له)[القرطبى].

لذلك تدل الإشارات السابقة من المكان عرفات وقربها من مكة وقصة ابنى آدم وتقديم أول قربان للّه فى البشرية فى نفس المكان الذى تقدم به سيدنا إبراهيم بابنه إسماعيل قرباناً إلى الله تعالى ونزول الكبش فداءً لسيدنا إسماعيل مماثل للكبش الذى تقبله الله من أول قربان تقدم به بشر وهو هابيل ووصول سيدنا إبراهيم إلى نفس المكان حيث يوجد بيت الله يؤكد أن أول بيت بنى فى البشرية قد بناه آدم عليه السلام، والله أعلم.

واستمرت البشرية من نسل أول عاصى لربه قاتل لأخيه غير بار بأبيه وهو قابيل وقد ابتليت البشرية منذ بدئها بالشرك بالله.

وأنا أرى والله أعلم بأن الآيات الآتية فى سورة الأعراف لا تخص سيدنا آدم حشا للّه كما فى بعض التفاسير ولكن تخص قابيل لقربه من نزول أبيه وأمه إلى الأرض وما سمعه من أبيه من تعاليم الإسلام.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٩، ١٩٠].

وقد ذكرت الآية الكريمة أنهما من نفس واحدة حيث تزوج قابيل أخته من نفس البطن وقد جبل قابيل على عدم إطاعة أوامر الله وظنا أن الله لن يرزقهما بذرية لعصيانه وقتل أخيه فلما دعا الله وأعطاهم الولد رجع إلى نفسه الخبيثة وأشرك بالله، والله أعلم.

واستمرت الحياة فى بدايتها على بدائيتها فى الاعتماد على الصيد والرعى.

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾[الإنسان: ١].

حتى بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا إدريس وكان نبياً وهو جد سيدنا نوح وهو أول نبى بعد سيدنا آدم.

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦-٥٧]

قال المفسرون أن سيدنا إدريس هو جد سيدنا نوح عليهما السلام وهو أول من أرسل بعد سيدنا آدم وأول من خط بالقلم ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وقد رفعه الله مكاناً عالياً يقال رفع ذكره وفى رواية أخرى رفع إلى السماء الرابعة وهو من ذرية آدم ويقال أيضاً أنه أوزوريس المصرى هو الذى أدخل عقيدة التوحيد والبعث والحساب إلى المصريين وعلمهم الكتابة حيث أنهم أول من خطوا بالقلم إلى البشرية لذلك رفعه مكاناً علياً وهو رفع ذكره حتى الآن لرجوع الفضل إليه فى تعليم البشرية الكتاب.. والله أعلم.

وجاء سيدنا نوح وكان رسولاً نبياً واستمر فى دعوة قومه ٩٥٠ سنة ولم يستجيبوا له حتى أقرب الناس إليه زوجته وابنه ونجد أروع وصف فى القرآن لقوم نوح على لسانه فى عدم تصديق دعوته ودعائه عليهم.

﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[نوح: ٦-٩].

ثم عدد فضل الله عليهم وما هو مصير المؤمنين وعندما أبلغه الله سبحانه وتعالى أنه لن يؤمن لك إلا من آمن ما معك وأمره بصناعة الفلك فدعا على قومه.

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح : ٢٦، ٢٧].

ولم لا فهم أحفاد قابيل؟ وبذلك لا يمكن أن يكون كل من سيدنا إدريس وهو نبى وليس رسولاً وسيدنا نوح وهو وسط قوم شديدو الكفر والعناء وعبدة أصنام [ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسرا] أن يسمحوا لسيدنا نوح أن يبنى بيتاً لله فى وجودهم، وكانت نتيجة كفرهم هذا الطوفان العظيم وتدمير الأصنام وكذلك بيت الله فى بكة ولم يتبق من البيت إلا قواعده الصخرية الحمراء وأصبح الوادى الذى كانوا يعيشون فيه واد ليس به زرع ولا ماء ولا حياة ، ورست السفينة على الجودى وهو جبل يقال فى تركيا غرب العراق.

ومن تسلسل الزمان فى القرآن والمكان وهو مكان ظهور سيدنا إبراهيم فيما بعد فى العراق نستكمل أن البيت الحرام الذى بناه كان سيدنا آدم، واستمرت البشرية من سلالة سيدنا نوح وهم: سام وحام ويافث ، وجاء من سلالتهم قوم عاد وثمود وكانوا أيضاً جبارين لأنهم من سلالة جبارين فعبدوا الأصنام أيضاً، وكان قوم عاد جبارين فى أجسامهم وبطشهم وقوتهم فكيف يبنى هود بيت الله فى وسط هذا العداء ودمروا بأمر من الله ومن سلالته الذين نجوا من عاد كان ثمود جبارين فى قتل آية من آيات الله العظيمة وهى خروج ناقة الله من صخر وتسقيهم لبناً وكيف يبنى سيدنا صالح فى وسط هذا الجبروت بيتاً لله وقد دمروا أيضاً بأمر من الله بالصاعقة.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[الحج : ٤٢-٤٤].

لاحظ أن الآية فى سورة الحج وبها التسلسل التاريخى للأقوام وعلاقتهم ببعض فقوم نوح وعاد وثمود حقبة متتابعة فجعلهم الله فى قوم واحد من سلالة واحدة ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون عكس قوم نوح كلهم كافرين.

وبعد قرون قليلة من الطوفان ظهر سيدنا إبراهيم وهو من شيعة سيدنا نوح .

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾[الصافات : ٨١-٨٣] .

مما سبق نجد أن أنبياء الله ورسله الأربعة الذين أرسلوا بعد سيدنا آدم هم : إدريس ونوح وهود وصالح يتعذر على أى منهم أن يقيم بيتاً لله فى وسط هذه الجموع المتجبرة الكافرة عبدة الأوثان فمنهم من أُغرق بالطوفان ومنهم من صدق ومنهم من مات بالرجفة بالزلازل حتى ظهر أبو الأنبياء والرسل سيدنا إبراهيم وهو من شيعة سيدنا نوح كما أعلمنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن العظيم فى سورة الحج أنه جاء بعد قوم ثمود وفى سورة الصافات أنه من شيعة سيدنا نوح .

ومما يؤكد أيضاً أن البيت الحرام بنى قبل سيدنا إبراهيم الآيات القرآنية وأحاديث رسول الله الآتية :

١ - عن قصة بناء بيت الله الحرام يقول ابن عباس رضى الله عنهما بعدما ترك سيدنا إبراهيم زوجته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل ثم قفا منطلقاً تاركهما خلفه فقالت له هاجر : أ الله أمرك بهذا؟ . . قال : نعم . . قالت : إذا لا يضيعنا الله أبدا .

قال ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:« **يرحم الله ام إسماعيل قال لها الملك لا تخافى الضيعة فإن ها هنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبيه وأن الله لايضيع أهله وكان البيت مرتفعاً عن الأرض كالرابية**»[رواه البخارى] يدل على أن البيت موجود قبل سيدنا إبراهيم .

٢ - من القرآن العظيم :

أ - لذلك نجد أن سيدنا إبراهيم كان يعلم هذا من سيدنا جبريل منذ بدء الرحلة بأنه سيترك زوجته وابنه الرضيع عند البيت الحرام لذلك بعدما تركهما توجه إلى الله وقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

[إبراهيم : ٣٧]

ب- كما أعلمنا الله سبحانه وتعالى أيضاً أنه بعد ما بنى إبراهيم وإسماعيل البيت الحرام أمر بتطهيره للمصلين وليطوفوا بالبيت العتيق ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى البيت بالعتيق لقدم بنائه وأن كان هذا البيت قبل إبراهيم فكيف يكون عتيقاً وهو حديث البناء.

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج : ٢٩] .

مما سبق يتأكد لنا أن البيت الحرام قد تم بناؤه قبل سيدنا إبراهيم وأن التسلسل التاريخي فى القرآن العظيم وما قد سقناه من التحليلات والآيات وتتابع الرسل يدل أن أول من بنى البيت الحرام هو سيدنا آدم عليه السلام، والله أعلم.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران : ٩٦] .

ثانياً : سيدنا إبراهيم وبناء البيت الحرام :

بعد سيدنا نوح وهود وصالح أُرسل سيدنا إبراهيم الخليل عليهم جميعاً السلام وسيدنا إبراهيم هو من ذرية سام ابن سيدنا نوح عليه السلام.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾[الصافات : ٨١، ٨٣] .

وعندما تدبر سيدنا إبراهيم فى الكون وما حوله من نجوم وشمس وقمر واهتدى إلى وجود الله الواحد الأحد ونكر عبادة الأصنام فكاد له قومه وهم من عبدة الأصنام وأولهم عمه آزر ثم رموه فى النار وقد أنجاه الله سبحانه وتعالى منها.

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾[الصافات : ٨٨-٩٨] .

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[الأنبياء : ٦٩] .

ثم طلب من الله سبحانه وتعالى اليقين وسأل إبراهيم ربه أن يريه إحياء الموتى فأراه اليقين بتجربة عملية فريدة وهى إحياء الطيور بعد ذبحها وتقطيعها وخلطها ووضع على كل جبل جزءاً ثم أمرها بالحضور فأتت بإذن ربها ساعية إليه، واستمر فى دعوة قومه ولم يؤمن له من قومه إلا امرأته وابن أخيه لوط. . فأمر الله سبحانه وتعالى بالهجرة من العراق إلى أرض كنعان وهى الشام ثم مصر وقد شاهد الأصنام فى كل مكان ذهب إليه.

﴿ **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾[**الصافات**: ٩٩].

﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[**العنكبوت**: ٢٦].

وعلى الرغم من مرور السنوات فلم يرزق سيدنا إبراهيم بالولد حيث كانت امرأته سارة عجوز عقيم وقد بلغ من العمر تسع وتسعون عاماً ولعله قد اشتاقت نفسه إلى أن يرزقه الله ذرية من بعده تخلفه فى تبليغ دعوة الإسلام إلى البشرية وقد شاركته زوجته هذا الأمل وأثناء هجرته ﷺ إلى مصر أهداه مليكها أسيرة مصرية وكانت من أكرم الحرائر ويقال عنها أنها أميرة واسمها هاجر ، وقد أوحت سيدتنا سارة إلى سيدنا إبراهيم أن يتخذها زوجة، وما لبث أن رزقه الله سبحانه وتعالى منها بولد حليم وهو سيدنا إسماعيل.

﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾[**الصافات**: ١٠٠، ١٠١].

وبعد ميلاد ابنه البكر كان الأمر من الله بالهجرة إلى سيدنا إبراهيم بمصاحبة زوجته هاجر وطفله الرضيع إسماعيل فى اتجاه الصحراء وكانت بصحبته سيدنا جبريل عليه السلام وكانت الرحلة طويلة وشاقة فكان لا يمر بقرية إلا أن قال سيدنا إبراهيم سائلاً سيدنا جبريل: أبهذا أمرت يا جبريل؟ فيقول سيدنا جبريل: امضِ، وظل هكذا حتى قدم مكة والبيت يومئذ ربوة حمراء. فقال إبراهيم لجبريل: أها هنا أمرت أن أضعهما . قال: نعم. وأنزلهما وبنى لهما عريشاً وترك معهما جرابا من تمر وسقاءً من ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: أتذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء؟ فقالت له مراراً وهو لا يلتفت إليها فقالت:

الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا الله أبداً. ثم رجعت وانطلق إبراهيم عائداً واتجه إلى ربه وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وعند انتهاء التمر والماء عطشت سيدتنا هاجر وابنها الرضيع واستمر فى البكاء وهى تنظر إليه وهو يتلوى فوجدت ربوة عالية تجاههما وهى الصفا فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحد فهبطت من هذه الربوة حتى بلغت الوادى ورفعت طرف ذراعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاءت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت علها ترى أحداً، وفعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى ﷺ: «**فلذلك سعى الناس بينهما**» [صدق رسول الله ﷺ]. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبعث بعقبه حتى ظهر الماء، فجعلت سيدتنا هاجر تحوض بيدها وتقول: زمى.. زمى، وهكذا، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور.. قال ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ «**يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً**» [رواه البخارى].

وقال لها الملك: لا تخافى الضيعة فإن ها هنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعاً عن الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله.. حتى جاء أفراد من قبيلة جرهم أثر رؤيتهم للطيور المحلقة على الماء.. فقالوا: ليسدتنا هاجر أتأذنين لنا أن ننزل: عندك؟ قالت: ولكن لا حق لكم فى الماء عندنا، قالوا: نعم. وأحضروا قبيلتهم وجاوروها.. قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى ﷺ: «**فألقى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الأنس فنزلوا إلى أهليهم فنزلوا معها**» [رواه البخارى]

فلما بلغ سيدنا إسماعيل السعى وترعرع وشب وبلغ السن قال المفسرون: هو سن الثالثة عشر . . جاءه أبوه سيدنا إبراهيم : **« قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك»** أى أمرت فى المنام أن أذبحك، فقال: له انظر ما ترى؟ أى ما رأيك فيه. قال ابن عباس رضى الله عنهما، قال رؤيا الأنبياء وحى. . كما قال ابن كثير أراد أن يعلم ابنه ليكون أهون عليه، ليختبر صبره وجلده وعزمه على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه [مختصر ابن كثير] فكان جواب ابنه إسماعيل أجمل جواب يقوله ابن لأبيه فى هذا الموقف: قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . . أفعل ما أمرك الله من ذبحى وستجدنى إن شاء الله صابراً ، وهو امتثال لأمر الله عن حلم الولد، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: فلما عزم على ذبح ولده ورماه على شقه قال الابن يا أبت أشدد رباطى حتى لا اضطرب، وأكفف ثيابى لئلا ينتضخ عليها شىء من دمى فتراه أمى فتحزن، وأحد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون الموت أهون على. . وإذا أتيت أمى فاقرأها منى السلام. . وإن أردت أن ترد قميصى عليها فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى، فقال له إبراهيم : نعم العون أنت يا بنى على أمر الله.

وصرعه على وجهه ليذبحه. قال ابن عباس رضى الله عنهما ، روى أن سيدنا إبراهيم أمرَّ السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع. . وهو متماثل لما حدث مع إبراهيم حيث قال الله تعالى للنار ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾[**الأنبياء**:٦٩] فسبحان الله أمر السكين ألا يذبح. [حاشية الصاوى على الجلالين] ، وسيجازى الله المحسنين وأفرج عنهما الشدة وجعل لهما من أمرهما فرجاً ومخرجاً ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ**﴾[**الصافات**:١٠٦] . أى أن هذا لهو الابتلاء والامتحان الشاق الواضح الذى يميز فيه المخلص من المنافق ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾[**الصافات**:١٠٧] . . قال ابن عباس رضى الله عنهما : كبش أبيض أقرن قد ربط بثمرة (فى تفسير ابن كثير . . ذكر أن هذا الكبش هو الذى قربه ابن آدم هابيل وكان فى الجنة قد فدى به إسماعيل وهو منقول عن السلف الصالح) ويلاحظ أيضاً أن المكان هو نفس مكان أول قربان قدم فى البشرية وهو كبش هابيل هو نفس المكان الذى قدم فيه أول قربان بشرى للّه رب العالمين وهو سيدنا إسماعيل، ومازلنا على عهده إلى يوم الدين.

ويلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف سيدنا إسماعيل بغلام حليم ، وهو الذبيح وبعد ذلك بشره الله سبحانه بحرمانه من طفله الأول إسماعيل بغلام عليم وهو إسحاق وبعد إسحاق يعقوب فكيف يكون إسحاق ذبيحاً وهو مبشر بأنه سينجب ولدا اسمه يعقوب . . . فيكون إدعاء اليهود والمسيحيين أن الذبيح هو سيدنا إسحاق فرض اختلاق .

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾[الصافات : ٩٩- ١٠١] .

﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[الصافات : ١١٢] .

ولما بلغ إسماعيل مبلغ الشباب تزوج من جرهم . . حضر سيدنا إبراهيم للمرة الثالثة إلى ابنه وأخبره أن الله سبحانه وتعالى أمره أن يبنى له بيتاً وطلب منه المساعدة .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[البقرة : ١٢٧] .

روى البخارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء سيدنا إبراهيم ورأى ابنه إسماعيل يبرى نبلا له فى دوحة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر. قال فاصنع ما أمرك به ربك. . قال: وتعيننى؟ قال: وأعينك. . قال فإن الله أمرنى أن أبنى هاهنا بيتاً . . وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل ابنه يناوله الحجارة وهما يقولا : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فجعلا يدورا حول الكعبة، قال رسول الله ﷺ «حتى ارتفع البناء».

وقد ظهر قدم سيدنا إبراهيم بلا نعال على هذا الحجر وكان هذا الحجر ملاصقا للكعبة وكان يرتفع وينخفض ليتناول الحجارة من ابنه إسماعيل أثناء ارتفاع البناء ويقال عنه الآن مقام إبراهيم .

وقد بنيت الكعبة بلا سقف وقد جعل لها سيدنا إبراهيم بابين ملاصقين للأرض أحدهما الباب الحالى فى الجهة الشرقية ويقابله باباً مماثلاً فى الجهة الغربية .

أما عن الحجر الأسود أو الأسعد فهو ليس من أحجار الكعبة ويقال أن لونه الأصلى كان أبيض ثم تحول لونه إلى اللون الأسود وذلك من ذنوب الناس الملامسين له ، ويقال أن هذا الحجر من الجنة حيث قال رسول الله ﷺ : **«انه حجر من السماء ومن أحجار الجنة»**[رواه الترمذى] .

وقد أتى سيدنا جبريل بهذا الحجر إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ليبدأ به عند الطواف .

المستشرقون والحجر الأسود :

ادعى المستشرقون أن الحجر الأسود ما هو إلا حجر بازلت أسود جاء به السيل من خارج مكة حيث أنه ليس من أحجار الكعبة حيث أن أحجار الكعبة كلها من جبل الكعبة فى مكة . . وقد عثر عليه إبراهيم ووضعه فى مكان بداية الطواف ، وقد تنكر أحد علماء الإنجليز بعد دراسة اللغة العربية فى الغرب وجاء إلى مصر وذهب للحج وذلك فى القرن التاسع عشر ودخل الكعبة فى غفلة من حراسها ولم تكن ذات بال فى هذه الأيام وكسر قطعة من الحجر الأسود وذهب بها إلى إنجلترا ليثبت أن كلام محمد نبى الإسلام خاطئ وأنه ليس حجر من السماء وبعد تحليله ادعوا أنه «نيزك» من نوع فريد وثبت بالدليل العلمى أنه حجر فريد وليس من أحجار الأرض ووضع الحجر فى متحف التاريخ الطبيعى بلندن .

وقد حرص كل العرب ممن كانوا على دين إبراهيم الخليل على الرغم من التحريف الذى أصاب هذه الديانة وعبادتهم الأصنام ليقربوهم إلى الله زلفى فى الجاهلية أن يضعوا هذا الحجر مكانه عندما أعادوا بناء الكعبة أو ترميمها أو إصلاحها .

ثالثاً : سيدنا إبراهيم وإسماعيل ومناسك الحج :

١ - بعد انتهاء بناء الكعبة دعا سيدنا إبراهيم وإسماعيل ربهما أن يريهما مناسكهما.

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة : ١٢٨] .

نزل سيدنا جبريل عليه السلام وعلمهما مناسك الحج وقال لإبراهيم عليه السلام «طف سبعاً» فبدأ سيدنا إبراهيم يتجه إلى الركن المسمى الآن بالركن اليمانى فأخذه سيدنا جبريل من كتفه فوجهه فى جهة الطواف التى نطوف عليها الآن وهى ما نسميها «عكس عقارب الساعة» فطاف عليهما السلام سبعا وكان يستلمان الأركان كلها فى كل طواف، فلما أكملا سبعاً، صليا خلف المقام ركعتين ثم قام معه جبريل فأراه المناسك كلها وأداها معه سيدنا إسماعيل عليه السلام.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن إبراهيم لما رأى أوامر المناسك عرض عليه الشيطان عند المسعى فسابقه إبراهيم، ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى فقال: هذا مناخ الناس «أى مكان مناخ الجمال واستقرارهم» فلما انتهى إلى جمرة العقبة تعرض له الشيطان، فرماه بنسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به إلى الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أتى به إلى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، فأتى به جُمعاً فقال: هذا المشعر، ثم أتى به عرفة فقال له: هذه عرفة فقال له جبريل: أعرفت؟ أخرجه الطيالسى عن ابن عباس.

ولما كانت الدعوة الخاصة بالخليل إبراهيم عليه السلام هى الإسلام وهو شهادة أن لا إله إلا الله والحمد لله فقط فى هذه الأيام لذلك نجد التلبية وهى أيضاً من تعليم سيدنا جبريل وهى التلبية المأثورة حتى الآن هى «لبيك اللهم لبيك . . لبيك لا شريك لك لبيك . . إن الحمد والنعمة لك والملك . . لا شريك لك».

رابعاً : استجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

يلاحظ كذلك أن أدعية سيدنا إبراهيم وإسماعيل بعد بناء بيت الله الحرام استجيبت جميعاً ونراها حتى الآن رأى العين فى إعجاز ظاهر للعيان كلها آيات من الله العلى القدير ، وعلى سبيل المثال :

١ - الحرم الآمن:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[إبراهيم: ٣٥، ٣٦] .

ومنذ هذا الدعاء وهذا المكان آمن بإذن الله وتدل كثير من الآيات فى القرآن العظيم على أنه آمن ومن يرد به بإلحاد أو ظلم يذقه الله من العذاب الشديد.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة: ١٢٥] .

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران: ٩٧] .

وعندما أراد إبرهة الحبشى وجيشه أن يهدم بيت الله الحرام حتى وهو مدنس بالأصنام أرسل الله عليهم طيراً أبابيل دمرتهم عن آخرهم فجعلهم كروث البهائم.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ١ - ٥] .

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾[التين: ١-٣] .

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[النمل: ٩١] .

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾[العنكبوت : ٦٧] .

﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص : ٥٧] .

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة : ١٩١] .

فالله سبحانه وتعالى يعظم القتل عند المسجد الحرام ولذلك لم يحل للرسول ﷺ إلا ساعة لقتال المشركين فى فتح مكة ثم حرمت مرة أخرى إلى يوم الدين . قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: « **إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه**» [رواه أحمد] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة : ٢١٧] .

وليس المكان فقط هو الآمن أو الإنسان بل نباته ودوابه التى تؤكل أو التى لاتؤكل الكل آمن فهى محمية إلهية منذ القدم .

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[المائدة : ٩٦] .

٢ - ظهور سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من نسل سيدنا إسماعيل :

وقد دعيا رسولا الله إبراهيم وإسماعيل أن يكون الإسلام من ذريتهما وقد كان وظهر الإسلام من ذرية إسماعيل بينما ظهرت اليهودية والنصرانية من ذرية سيدنا إسحاق .

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة : ١٢٨] .

وكذلك نجد أن مناسك الحج والعمرة لم تتغير منذ عهد سيدنا إبراهيم وإسماعيل إلى يوم الدين .

هذا وقد ظهر رسول واحد فقط وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من نسل سيدنا إسماعيل بينما ظهر العديد من الأنبياء والرسل فى بنى إسرائيل سلالة سيدنا إسحاق .

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[البقرة : ١٢٩] .

سبحان الله يكون هذا الرسول الكريم من سلالة إسماعيل صاحب كتاب وهو الخاتم على الرغم أنه حتى عصر سيدنا إبراهيم لم تنزل كتب على أى نبى أو رسول ولكن نزلت بضع صحائف على سيدنا إدريس وسيدنا إبراهيم .

سبحان الله أن يكون صفة الرسول التى دعا بها هى صفة سيدنا محمد فى القرآن كله يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . . أليس هو المعلم والحكيم والشافع المشفع عليه أفضل الصلاة والتسليم .

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة : ٢] .

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة : ١٥١] .

منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته .

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[النساء : ١١٣] .

قال ابن عباس رضى الله عنهما أن الحكمة هى تفسير آيات القرآن . . وقد لوحظ أن تكرار صفة الرسول ﷺ فى القرآن ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . . فهو

النبى الخاتم وهو معلم البشرية مكارم الأخلاق فقد علمه سيدنا جبريل فهو ﷺ دعوة الحق والمرسل للبشرية رحمة للعالمين وهو معلمنا وهادينا إلى صراطه المستقيم بسنته الشريفة فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى وكان قرآناً يمشى على الأرض ﷺ.

وقد شهد المشركون فى العصر الحديث بأن سيدنا محمد ﷺ هو أفضل إنسان منذ آدم أثر تأثيراً مباشراً وعميقاً فى البشرية، وقد اختاروا مائة شخص منذ بدء الخليقة الذين أثروا فى البشرية وكان أعظمهم وأولهم هو محمد (كما يقولون) ووصفوا أسماءهم ومآثرهم فى كتاب أسموه «العظماء مائة أولهم محمد» وقد كرر طبع هذا الكتاب فى أربع إصدارات وقد غيروا ترتيب بعض الأسماء بين هؤلاء المائة وفى كل مرة يكون أولهم محمد.

ألم يصفه الله سبحانه وتعالى هو خير هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً، وهو أعظم وصف للإنسان أن يكون شمساً وقمراً فى الضياء والحسن وأنه على خلق عظيم ﷺ كما أنه شفيعنا يوم الدين.

جـ- استجابة دعوة سيدنا إبراهيم أن يرزق مكة بالرزق الوفير:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[إبراهيم: ٣٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة: ١٢٦].

﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص: ٥٧].

ألم نلاحظ أن مكة المكرمة فى أى وقت تصل إليها صيفاً أو شتاءً يتوافر فيها فاكهة وخضار العالم صيفه وشتاؤه بكميات كبيرة وذلك حتى قبل ثورة المواصلات ألم يذكر فى القرآن الكريم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقاً من لدنا، أفلا يتدبرون القرآن.

د - الآذان بالحج :

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم : ٣٧] .

طلب سيدنا إبراهيم من الله سبحانه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم مع الرزق فكان أمر الله سبحانه وتعالى بأن يؤذن للناس بالحج وهو فى صحراء قاحلة تبعد عن أقرب الحضارات ١٠٠٠ كم على الأقل .

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[الحج : ٢٧-٣٤] .

من هذه الآيات المباركة يتبين لنا آيات الله الكونية العظيمة أن يؤذن إنسان بصوته الضعيف فيسمع البشرية كلها إن الله على ما يشاء قدير فإنها قدرة الله المطلقة التى ينكرها الغافلون الملحدون العلمانيون .

قد اسمع الله سبحانه وتعالى بقدرته حيث أنه خالق كل شىء فى الوجود بعلمه وحكمته وسلطانه الناس وهم فى أصلاب أبائهم ، فمنهم من اهتدى ولبى النداء ومنهم من هم فى غفلة ولم يلبوا ومنهم من ران الله على قلوبهم فهم صم بكم عمى لا يعقلون . . وكذلك ترى العديد من المسلمين القادرين على أداء هذه الشعيرة ولكن

يتقاعسوا لأن قلوبهم مشغولة بالدنيا وما فيها عن ذكر الله وكأن فى آذانهم وقراً. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى لنا منافع الحج فى الدنيا وأن تعظيم هذه المشاعر تزيد من تقوى القلوب﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[**الحج** :٣٢] .

وأن نشكر الله سبحانه وتعالى أن سخر ذلك لنا من آكلات العشب أنعاماً لنزكيها ونأكل لحومها ونشرب ألبانها ونلبس من أصوافها وأوبارها ونستخدم جلودها من بهيمة لا تتكلم ولا تشتكى ونفعل فيها كيفما نشاء . . أليس هذا من نعم الله سبحانه وتعالى علينا نحن البشر .

ومن آيات الله أيضاً استجابة الله لدعائهما فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، ألم نر جميعاً الحجاج يتوافدون من جميع بقاع العالم من أمريكا إلى الصين ومن جميع القارات وقلوبهم معلقة بهذا المكان وبهذا المبنى وهى الكعبة المشرفة فأى قوة وقدرة هذه أن تجعل ملايين من الناس فى أيام معلومات تأتى محرمة مضحية بكل شيء للوصول إلى هذه الأماكن إلا أنها قدرة الله العلى القدير . . ليس هذا فحسب نجد أن معظم الحجاج والمعتمرين عند فراق هذه الأماكن تذرف الدموع كما تذرف الدموع عند فراق الأهل والأحبة ويصبح العبد مشتاق إلى الرجوع إليها مرات ومرات لأن أفئدتهم معلقة بها حتى اضطرت المملكة العربية السعودية إلى تحديد عدد الحجاج حتى يكون الحج ميسراً بقدر الإمكان لكثرة الراغبين فى آداء هذه المناسك حيث ينظر إلينا الملحدون والمنافقون والمتكاسلون كأننا أناس مغيبون لأنهم لم يذوقوا حلاوة الإيمان وحلاوة تلبية آذن الحج كما أنهم لم يذوقوا حتى حلاوة أداء الصلوات وكل ما يذوقوه هو اللهو والفجور والعصيان لحظة ونسوا ما سوف يلاقوا من عذاب فى القبر وفى الآخرة حيث لا ينفع مال ولا بنون وأن يكون مآلهم نار الجحيم إن شاء الله رب العالمين .

* الم نر : آية أفئدة من الناس تهوى إليهم آية كبرى ظاهرة للعيان منذ الآذان الأول إلى يوم الحساب .

* ألم نر آية ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ نجد التجارة والمشتريات والبضائع من كل بلاد العالم ومن مختلف الجنسيات فى مكان واحد وتتم بسهولة ويسر مع تبادل الثقافات والمعلومات.

* ألم نر آية ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ نأتى ملبين ذاكرين شاكرين الله على ما من علينا من رزقه وفضله وأن هدانا إلى الإسلام والإيمان وأداء هذه المناسك كما يحب ويرضاه متبعين آيات القرآن وسنة حبيبه محمد عليه الصلاة والسلام فى تكافل إنسانى بديع لا تجد له مثيل فى الكون كله لا فرق بين وزير وغفير ولا غنى وفقير ولا بين مريض وسليم ولا أسود ولا أبيض ولا عربى وأعجمى.

المظهر واحد : لا محيط ولا مخيط شعثاً غبراً لابسين أكفانهم.

التلبية واحدة : من جميع الجنسيات لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك بلغات ولهجات مختلفة.

المكان واحد : هو البيت العتيق ومكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

الزمان واحد : الجميع فى مكان واحد فى يوم واحد يوم عرفة.

الهدف واحد : تعظيم شعائر الله ومعلنين للعالم أجمع أننا موحدون لله الواحد لا شريك له لا صاحبة ولا ولد ولا شريك له فى ملكه من مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض أحد.

ألم نر أن الهدى والأضاحى والنذور كلها مكانها البيت العتيق، وهو مكان قربان هابيل وفداء سيدنا إسماعيل.

ألم نر أن الله سبحانه وتعالى قد بشر الذين يعظمون شعائر الله بحديث قدسى: « **يا ملائكتى هؤلاء عبادى جاءونى شعثا غبرا أشهدوا أنى قد غفرت لهم** » نقول كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه كثر خير الله وطاب.

خامساً: الحج فى الجاهلية

بعد بناء الكعبة وآذان سيدنا إبراهيم بالحج وبعث سيدنا إسماعيل نبياً ورسولاً إلى سكان مكة وما حولها وهو المسئول عن عمارة البيت ومعرفة المناسك لمن هوت أفئدتهم إلى هذا المكان استجابة لنداء سيدنا إبراهيم للحج. وكان من أوائل القبائل التى آمنت قبيلة جرهم وهم من تزوج منهم سيدنا إسماعيل وأنجب اثنى عشر رجلاً «مثل ابن أخيه يعقوب» هم أباء العرب المستعربة، وظلت جرهم طول مدة وجودهم بمكة مهتمين بأمر البيت الحرام على ملة إبراهيم حنيفاً متبعين نفس المناسك، إلى أن غلبتهم خزاعة وأقصتهم عن مكة، وكان عمرو بن لحى سيد خزاعة شريفاً فى قومه مهاباً لا ترد له كلمة ، واسع الثراء، كثير العطاء حتى أصبح قوله فيهم دينا يتبع ولا يخالف، ولعل مكانته هذه أغرته لتحريف دين من سبقوه وهو دين إبراهيم.

ومن خلال رحلاته العديدة إلى الشام للتجارة والاستشفاء عرف هناك أصنام اليونان وقد أحضر معه صنم أطلق عليه اسم «هبل» وهو تحريف اسم «أبولو» وهو صنم إله الشمس عند اليونان، ثم وضعه فى الحرم واقتدى به سائر العرب حتى صار فى كل قبيلة صنمها الأكبر وزاد اهتمام الناس بالأصنام باعتبارها قربى إلى الله رب الكون وبدأ تحريف مناسك الحج والاستقسام بالأزلام وتأجيل الأشهر الحرم.

وهنا يجب الإشارة إلى أنه عند دخول الأصنام إلى مكة وكفر أهل خزاعة وقبل خروج جرهم جفت زمزم وردمت وقد أودع كبير جرهم فى هذا الوقت ذهب الكعبة ومتعلقاتها فى زمزم واستكمل الردم عليها حتى طمست تماماً ولم تفتح مرة أخرى أو يتوارد ماؤها إلا فى سنة ميلاد الرسولﷺ.

وعلى الرغم مما حدث من دخول الأصنام إلى مكة وجفاف زمزم إلا أن استمر العرب فى الحج إلى الكعبة وقد اكتسبت المكانة الدينية المرموقة بين العرب واعتبر أهل مكة سدنة البيت الحرام والقائمين عليه، وبعد ما أقصيت خزاعة ورجعت قبيلة جرهم إلى البيت ومعهم ما تبقى من ذرية سيدنا إسماعيل عليه السلام كانت لهم صفة القائمين على الدين والمشرعين له حتى أرسل فيهم سيدنا محمد رسولا من عند الله

سبحانه وتعالى، وفى عهد قريش وقبل ظهور الإسلام ساد بين العرب مذهبان فى الحج.

١ - مذهب الحمس:

وهو الحماس والتشدد فى الدين وكانت تدين به قريش وكثير من قبائل العرب وكان من صفات الحمس إذا أحرموا بالحج يمتنعون عن خض اللبن ولا يصنعون جبناً ولا يأكلون سمناً ولا يلبسون الوبر أو الشعر ولا يستظلون بها ولا يأكلون نبات الحرم ولا يدخلون البيوت من أبوابها بل يجعلون نقباً أو فرجة فى ظهورها ليدخلون منها.

وكانوا يعظمون الحرم ولا يتجاوزونه أبداً إلى الحل وكانوا يقفون عند أطراف الحرم بنمرة ويفيضون منها وبذلك لا يقفون بعرفات لأنه خارج الحرم.

٢ - مذهب الحلة:

وهو المذهب الآخر وكان يتبعه بعض من القبائل غير القرشية وكانوا لا يطوفون بالبيت بملابسهم حيث اقترفوا فيها الذنوب لذلك كانوا يطوفون عراة، ويطوف الرجال نهاراً والنساء ليلاً. . وإذا طاف أحدهم بثيابه فإنه لا يلبسها بعد ذلك أبداً ولا ينتفع بها بل يطرحها على باب المسجد لا يلمها أحد حتى تبلى من الشمس والأمطار ووطء الأقدام.

﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[**الأنفال** : ٣٥].

٣ - علاقة الرسول ﷺ بمناسك الحج قبل الإسلام:

ثبت من السيرة النبوية أن الرسول ﷺ قد شارك قومه فى تجمعاتهم بسوق عكاظ استعداداً للحج وقد استمع إلى خطبة قس بن ساعدة الأيادى الذى جدد فيها تذكير الحجاج بالعودة إلى الله وترك اللهو والباطل واللجوء إلى الحق والصدق.

كما شارك ﷺ فى حرب الفجار لمدة أربع سنوات وكان مكانها أسواق العرب وكان وقتها أشهر الحج وقد ذكرها رسول الله ﷺ وقال قد حضرت مع عمومتى، ورميت بأسهم، ولم أحب أنى أكن فعلت.

كما حضر حلف الفضول الذى عقد فى دار ابن جدعان بين بطون قريش كلها، حيث تعاقدوا وتعاهدوا بالله المنتقم ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه وكان الرسول ﷺ يقول فى ذلك ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمد النعم ولو دعيت إليه لأجبت.

كما ثبت أن رسول الله ﷺ قد حج على مذهب الحمس قبل البعثة وفى رواية عن جبير بن مطعم قال: أضللت بعيراً لى، فذهبت أطلبه يوم عرفه، فرأيت الرسول ﷺ واقفا مع الناس بعرفة فقلت : والله إن هذا من الحمس فما شأنه هاهنا.

كما ثبت أيضاً أنه ﷺ اشترك فى بناء الكعبة قبل بعثته ثم الأخذ بحكمه فيما شجر بينهم من خلاف من يكون له سبق فى وضع الحجر الأسود بمكانه الأمر الذى انتهى بقبولهم جميعاً بما حكم به.

قال محمد بن إسحاق فى السير: ولما بلغ رسول الله ، خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهابون هدمها، وإنما كانت رضما فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطى نجار فهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت هناك حية تخرج من بئر الكعبة فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهابون ذلك لأنه كان لايدنوا منها أحد إلا أحزألت (ارتفعت واستعدت للوثوب) وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها، فبينما هى تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائراً فاختطفها فذهب بها ، فقالت قريش: إنا لنرجوا أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية. . فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنيانها قام ابن وهب بن عمرو بن عائذ (خال والد النبى وكان شريفاً ممدوحا) فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعـــه، فقال: يا معشـــر

قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولامظلمة أحد من الناس.

ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبنى عبدمناف وزهرة، وكان مابين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم وكان شق الحجر لبنى عبدالدار بن قصى ولبنى أسد بن عبدالعزى بن قصى ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم، ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال ابن المغيرة أنا أبدأكم فى هدمها، فأخذ ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا، فأصبح الوليد ليلته غادياً على عمله فهدم، وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس – أساس سيدنا إبراهيم عليه السلام- أفضوا إلى الحجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضا. قال: فحدثنى بعض من يروى الحديث : أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أيضاً فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن يعنى (الحجر الأسود) فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتخالفوا وأعدوا القتال، فقربت بنو عبدالدار حفنة مملوءة دمـــاً، ثم تعاقـــدوا هـم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الحفنة فسموا «لعقة الدم» فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم انهم اجتمعوا فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن آبا أمية بن المغيرة – وكان أسن قريش كلهم – قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، فيقضى بينكم فيه . . ففعلوا، فكان أول داخل رسول اللهﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا . . هذا محمد، فلما انتهى إليهم

وأخبروه الخبر قال عليه الصلاة والسلام هلم إلى بثوب ، فأتى به ، فأخذ الركن -يعنى الحجر الأسود - فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ﷺ ، ثم بنى عليه، وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل الوحى (الأمين).



الباب الثانى

بلد الله الحرام

مكة المكرمة

الباب الثانى
بلد الله الحرام مكة المكرمة

مكة المكرمة أو بكة كما ذكرها الله سبحانه وتعالى بهذا الاسم، بلد الله الحرام هى بلدة صغيرة فى شبه الجزيرة العربية فى قارة آسيا. تقع ببطن واد محاط بسلسلتين من الجبال، الأولى شمالية والأخرى جنوبية تتكون من خمس جبال.

وتمتد مكة المكرمة من الشمال إلى الجنوب بطول ثلاثة كيلو مترات وعرضها من الشرق إلى الغرب ١,٥ كم، وتبتعد عن شاطئ البحر الأحمر ومدينة جدة بنحو ٦٨كم، ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ متراً. ولمكة المكرمة أربعة مداخل هى:

١ - الشمال الشرقى	طريق منى.
٢ - الشمالى الغربى	طريق وادى فاطمة «التنعيم».
٣ - الغرب	طريق مكة - جدة.
٤ - الجنوب	طريق مكة - اليمن.

حيث تعتبر مكة المكرمة مركز الكرة الأرضية كما وضح ذلك من دراسات أجراها أ.د. / حسين كمال الدين أستاذ المساحة بكلية الهندسة جامعة القاهرة أثبت أن مكة المكرمة هى مركز الأرض اليابسة سواء للعالم القديم أو العالم الحديث بعد اكتشاف الأمريكتين واستراليا ونيوزيلندا.

ونظراً لأنها بلد الله وفيها بيت الله الحرام فقد حفظها الله منذ الخليقة إلى يومنا هذا من أن يتخذها أى من الملوك أو الإمبراطوريات عاصمة لملكه حتى لا تتلوث بالحضارات التى ينشئها الإنسان حيث تأخذ الحضارات فى نموها واستمراريتها شكل منحنى للنمو حيث تنتهى الحضارة وتموت كما يموت الإنسان فأين الحضارة المصرية القديمة؟ أين الحضارات الأغريقية أو الرومانية أو الفارسية .. أو .. أو .. أو كلها ماتت واندثرت ولذلك نقول حضارة عربية وليس حضارة إسلامية حيث اندثرت

الحضارة العربية وظل الإسلام شامخاً إلى يوم الدين، وحفظ الله مكة المكرمة من العابثين من خلقه على مر العصور، وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[**الإسراء**:١٦].

ومكة المكرمة قد اختصها الله سبحانه وتعالى بأشياء وصفات لم يختص بها أى مكان فى العالم على سطح الكرة الأرضية ، وقد حماها الله سبحانه وتعالى وأصبحت محمية إلهية إلى يوم الدين، ومن خصائصها هى:

١ - لا يدخل مكة إلا مسلماً آمن بالله فهى محرمة على المشركين والكافرين حتى مجرد المرور فيها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[**التوبة**:٢٨].

٢ - لا يدخل الإنسان المسلم مكة فى أول مرة إلا حارما متحللا من ملابسه ملبياً مهللاً موحداً بالله.

٣ - يحرم قلع أو حرق شجره وحشيشه سواء للمحرم أو غير المحرم سواء من سكان مكة أو غيرها. . كما يحرم إخراج أشجاره وترابه إلى الحل كما يكره إدخال أحجار أو تراب الحل إليه.

٤ - يحرم صيد أو قتل دوابه غير الضارة حتى على أهل الحرم.

٥ - لا تحل لقطته للتملك إنما تحل لمن يطلب صاحبها وينشده وإلا تركه مكانه حتى إذا رجع صاحبها يجدها.

٦ - يحرم فى مكة القتال، لقول رسول الله ﷺ غداة فتح مكة : **«يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق الله السماوات والأرض، فهى حرام إلى يوم القيامة، لا يعضض شجرها ، ولا ينفى صيدها ، ولا يأخذ لقطتها إلا منشد »** فقال العباس: إلا الأذخر. فإنه للبيوت والقبور . فقال الرسول: **«إلا الأذخر»**.

٧ - لا تقام الحدود ولا يستوفى القصاص فى مكة لأنه حرم فيها سفك الدماء.

٨ - يضاعف فيها الأجر فى الصلوات وسائر الطاعات كما تغلظ فيها السيئات لأن الذنب أغلظ ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: «لخطيئة أصيبها بمكة أعز على من سبعين خطيئة أصيبها فى بركية» مكان خارج مكة.

٩ - المكان الوحيد فى الكون الذى يؤاخذ فيه العبد على نيته فى الأعمال السيئة قبل ارتكابها . قال ابن مسعود رضى الله عنه رضى الله عنه: ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[الحج :٢٥].

١٠- لا تكره فى مكة صلاة النافلة فى أى وقت من الأوقات مثل أوقات الكراهية «أوقات شروق وغروب الشمس».

١١- مكان ذبح هدىّ التمتع والقران والنذور والأضاحى ومكانها البيت العتيق.

١٢- لا دم على المتمتع والقارن إذا كان من أهلها.

١٣- يستحب صلاة العيد فى المصلى إلا من كانوا فى الحرم فإن الصلاة فى الحرم أفضل.

١٤- الحج كل سنة إلى الكعبة - فرض كفاية على الأمة الإسلامية - حتى ولو كان حاجاً واحداً.

هذا وتطلق هذه الأحكام على بيت الله الحرام أو المسجد الحرام أو البلد الحرام أو مكة ويكون التعميم للحرم الشريف كله والمكان المحيط بمكة المكرمة بحدودها التى ستذكر فى حينها.

أهم المعالم الإسلامية بمكة المكرمة :

ولنستكمل الصورة ولنتذكر عبق التاريخ الجميل لسيد المرسلين ولأشرف خلق الله أجمعين سنذكر بعض المعالم بمكة المكرمة والمرتبطة بالإسلام، والمسلمين والتى تشتاق أنفسنا إلى زيارتها لنشم ولنتحسس خطوات الرسول الكريم، والتى انبعثت منها أعظم وأنبل دعوة من الله العلى العظيم. غير أن معظم هذه المعالم قد أزيلت تماماً فى التوسعات وغيرها ولم يبق منها أى شىء إلا الآثار الشامخة التى لا يمكن إزالتها كالغار والأودية وخلافها.

١ - غار حراء:

وهو فجوة ضيقة سعتها مرقد ثلاثة رجال متجاورين وارتفاعها قامة رجل ويقع على قمة جبل حراء وبها تصدع ترى منه الأرض وجبال مكة ، ويقع الغار على بعد خمسة كيلو مترات شمال مكة على يسار الذاهب إلى عرفات، ويرتفع عن الأرض نحو مائتى متر كما يطلق على الجبل أيضاً اسم جبل النور وكان رسول الله ﷺ ينقطع فى هذا الغار تماماً للعبادة والتحنث والتفكير والتأمل بحثاً عن الحقيقة فى شهر رمضان من كل عام حتى نزل عليه الوحى الأمين بأول آيات الذكر الحكيم وهى :

﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾[العلق : ١] .

٢ - غار ثور:

وهو الغار الذى لجأ إليه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بصحبة سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فى رحلة الهجرة من مكة حيث مكثا فيه ثلاثة أيام تضليلاً لقريش الذين كانوا يبحثون عنه لقتله ، وقد نزلت فيه الآية الكريمة :

﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[التوبة : ٤٠] .

وهذا الغار على قمة جبل ثور جنوب مكة وعلى بعد تسعة كيلومترات تقريباً وهو على ارتفاع خمسمائة متر من الأرض .

٣ - المحَصب:

هو وادى محصور بين جبل النور والحجون ويسمى الأبطح ، والبطحاء هو المكان الذى تقاسم فيه الكفار على بنى هاشم والمطلب فى بدء ظهور الإسلام ألا يناكحوهم أو يكلموهم أو يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ.

وقد ثبت أن النبى ﷺ نزل فيه وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد به رقدة حينما نفر من منى إلى مكة.

كما ثبت أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يفعل ذلك، وقد اختلف العلماء فى استحباب النزول به، وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها «إنما نزل الرسولﷺ المحصب ليكون أسمح وأسهل لخروجه وليس لسنة ، فمن شاء نزله ومن شاء لم ينزله».

وقال الترمذى : استحب أهل العلم النزول فيه، وكانت عادة الرسول ﷺ أن يقيم الشعائر فى مواضع شعائر الكفر والشرك مثل أمره عليه الصلاة والسلام أن يبنى مسجد الطائف موضع اللات والعزى.

٤ - مقبرة المعلاة (الحجون):

وهى مقبرة أهل مكة قبل الإسلام ومازالت وتسمى أيضاً مقبرة الحجون نسبة إلى الجبل المشرف عليها وتضم فيها أشرف قبر وهو قبر سيدتنا خديجة أول وأحب زوجات الرسول ﷺ وأم أولاده وأول من آمنت به ونصرته وكذلك قبور عبدالله ابن عمر وعبدالله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبى بكر وبعض الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين.

كما تضم قبور أجداد وأعمام الرسول ﷺ مثل قبور بنى هاشم وقبور أعمامه وكذلك قبرى جدى الرسول ﷺ عبد مناف وعبدالمطلب.

هذا وقد أزيلت جميع القباب والمعالم التى فوق القبور وسويت بالأرض.

٥ - منـى :

قرية صغيرة تقع على مسافة ستة كيلو مترات من الحرم المكى فى الطريق إلى عرفات وهى تمتد فى اتجاه عرفات حتى تصل إلى وادى محسر ومساحتها صغيرة لو أبصرتها فى غير أيام الحج لما تيقنت من اتساعها لجميع الحجاج وقيل لابن عباس رضى الله عنه «عجباً لضيق منى فى غير الحج» فقال: «إن منى يتسع لأهله (يعنى الحجاج) كما يتسع الرحم للولد».

ومنى يحدوها سلسلة جبال على جانبيها شديدة الارتفاع ولونها داكن وبها خورين فى وادى منى والشكل العام لوادى منى قمعى الشكل واسع من جهة وادى محسر ناحية المزدلفة يضيق رويداً رويداً حتى يصل إلى طريق واحد وكان إلى عهد قريب توجد فى هذا الطريق العقبات الثلاثة الصغرى والوسطى والكبرى جهة مكة المكرمة حيث يبدأ وادى إبراهيم الممتد من العقبة الكبرى حتى الحرم المكى الشريف.

ومن الناحية التاريخية فقد تمت بيعة العقبة الأولى فى العام الثانى عشر من البعثة المحمدية بين رسول الله ﷺ ووفد من الأوس والخزرج من المدينة المنورة وتمت البيعة الثانية فى العام الثالث عشر والتى بمقتضاها هاجر ﷺ إلى المدينة المنورة.

وقد قامت المملكة العربية السعودية بإنشاء كوبرى الجمرات كما هو مبين بالرسم بمستويين حتى يتمكن الحجاج من رمى الجمار عندما حدثت طفرة فى أعداد الحجاج ١٩٧٤م حيث بلغ عدد الحجاج أكثر من مليونين وزود بالأنوار وممرات بالذهاب ومنازل وخلافه، وفى التحسينات الأخيرة فى عهد الملك فهد تم هدم وإزالة المنحدر الشرقى جهة منى وإنشاء منحدر جديد للصعود بعرض ٤٥م بعد تعديل المسار وجعل المنحدر مواجهاً لطريق المشاة القادم من منى والجمرة الصغرى، كما أزيل المنحدران الجانبيان المؤديان للجمرة الصغرى من الشمال والجنوب وتم استبدال الجزء المغطى من بلاط الجسر بأجزاء خرسانية يتناسب منسوبها مع أجزاء الجسر المحيط به. كذلك أنشىء منحدران جديدان بعرض ١٥ متر لكل منهما للنزول من الجسر ما بين الجمرة الكبرى والجمرة الوسطى مع زيادة منطقة اتصال الجسر بالمنحدرين، إضافة إلى

منحدر النزول الغربى باتجاه الحرم من ٢٠ متراً إلى ٤٠ متراً وتحسين منطقة الاتصال هذا المنحدر بطريق المشاة لزيادة التظليل بطول ٦٠٠م وإزالة العوائق الأرضية أيضاً.

كما تم إنشاء خمسة مبانى جديدة لمراكز الخدمات والطوارئ على طول الجسر تحتوى المصاعد والسلالم اللازمة لتوفير الإسعاف الأولى فى حالة الطوارئ.. كما أنشىء برج للمراقبة على سطح مركز الخدمات الواقع شمال الجمرة الوسطى مع إنشاء أربعة مراكز أمنية موزعة عند مداخل المنحدرات الرئيسية والفرعية.

كما نفذ نظام إشارات عادية معلقة لإرشاد الحجاج مع إنارتها وتركيب وسادات هوائية لتوجيه حركة المشاة بالقرب من الجمرة الكبرى على الجسر مع نظام صرف مناسب.

كما ضوعفت أعداد وحدات الإنارة مع تغييرها من اللون الأصفر إلى اللون الأبيض مع إعادة توزيعها على الكوبرى.

كما تم تحسين وزيادة فاعلية نظام التهوية أسفل الجسر مع تركيب ثمانية عشر مروحة نفاثة موزعة بمعدل ستة مرواح لكل جمرة مع زيادة مراوح السقف لجميع مواقع الجسر.

كما سفلتت جميع المسافات المحيطة بالجسر مع فصل حركة السيارات عن المشاة بتركيب حواجز خرسانية متباعدة تمنع دخول السيارات وتسمح بمرور المشاة مع تركيب دوائر تليفزيونية أسفل وأعلى الجسر للأمن ومراقبة الحركة، وتم إنشاء طريق من ست حارات من شارع سوق العرب إلى شارع مجرة الكبش بعرض ٢٠ متراً وقد أضيف درج بطول ٨٠م بجهة الأخوار ،كما أنشىء نفقاً للمشاة من وإلى مكة المكرمة فى خور قريش، كما حفرت أربعة أنفاق للمشاة وواحد للسيارات لتقصير المسافة بين منى والحرم المكى الشريف، ويعتبر أقصر الطرق من غرب حى العزيزية والحرم وهو يصل إلى منطقة الصفا.

وقد تم تهذيب سفوح الجبال المطلة على جانبى منى لزيادة استيعاب المنطقة الشرعية لمنى حتى تزداد البقعة المنبسطة لاستيعاب أعداد أكبر من الحجاج.

وتم تحديد وتسوية وتقسيم مناطق الخيام مع سفلتت وإنارة الشوارع وتظليل طرق المشاه مع إقامة أنابيب للمياه ونقاط لتوزيعها وأربعة عشر ألف دورة مياه .

كما يوجد فى منى العديد من المساجد ذات الشهرة التاريخية وهى :

أ - **مسجد البيعة :** وهو المكان الذى تمت فيه البيعتين الأولى والثانية بين الرسولﷺ وبين الأنصار من الأوس والخزرج من المدينة المنورة .

ب- **مسجد الخيف :** وهو مصلى رسول الله ﷺ ومصلى جميع الأنبياء والرسل الذين حجوا إلى بيت الله الحرام فى منى وكان كثير من السلف الصالح يتحرون الصلاة فيه ما داموا فى منى .

جـ- **مسجد الكبش :** أقيم على البقعة التى افتدى فيها سيدنا إبراهيم ولده إسماعيل عليهما السلام بكبش الفداء بدلاً من ذبحه وهو على الجبل الموجود على يسار الذاهب إلى عرفات .

د - **مسجد الكوثر:** الذى نزلت فيه سورة الكوثر .

٦ - وادى محسر :

وهو الوادى المحصوَر بين منى والمزدلفة وهو الوادى الذى هلك فيه أبرهة الحبشى وجيشه عندما جاء لهدم الكعبة وقد أرسل الله سبحانه وتعالى طيراً أبابيل دمرتهم وجعلتهم كروث البهائم .

﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥** ﴾ [الفيل : ١ - ٥]، ولا يجوز الإقامة فيه والسير فيه يكون مسرعاً .

٧ - المزدلفة :

وهو واد يلى وادى محسر غرباً حتى يصل إلى المأزمين شرقاً وطوله نحو أربعة كيلو مترات وهو أحد الأماكن المقدسة التى تقع بين منى وعرفات وهو مبيت الحجاج، ومجمع الصلاة حين يهبط الحجاج من عرفات. وقيل أنها سميت كذلك

لنزول الحجاج بها زلف الليل وقيل أيضاً لأن الناس يزلفون فيها إلى الحرم وقيل أيضاً أن الناس يدفعون فيها زلفة واحدة أى جميعاً.

والمشعر الحرام عبارة عن جبل يحيط به جداران ارتفاع كل منهما أربعة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار والمسافة بينهما ستون متراً ويقع فى أول المزدلفة على بعد حوالى ٢,٥ كم من جهة وادى محسر على يمين السائر إلى عرفة.. والمشعر الحرام يسمى أيضاً قزحاً.

وقد أنشأت الحكومة السعودية مسجدا فى المشعر الحرام تعلوه مئذنتان وهو يقع بين طريق السيارات رقم ٥ وطريق المشاة رقم ١ ، ولما كان وقوف الحجاج عنده أصبح ضرباً من المستحيل فإن المسجد يضاء ليلاً بأنوار قوية ليراه السائر فى أى طريق من طرق المزدلفة العشرة حتى يستطيع الحاج أن يقف فى مواجهته لذكر الله عنده كما أمرنا الله سبحانه وتعالى.

وقد سمى المشعر الحرام بهذا الاسم لأن العرب فى الجاهلية كانت تشعر عنده هداياها للحرم، والأشعار هو ضرب سنام الإبل بشىء حاد حتى تسيل الدماء، والمزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر.

وقد تم تنفيذ موقعين جديدين لمواقف حافلات الحجاج يقع الأول منهما على الطريق رقم٢ جنوب غرب منطقة المزدلفة وفيه تم إنشاء مواقف للحافلات من صفين مختلفى الطول وموازيين للمواقف الحالية فى هذا الموقع.

والموقع الثانى يقع غرب جسر الملك فيصل بين الطريق رقم ٣ وطريق العزيزية وفيه تم إنشاء مواقف للحافلات من ثلاثة صفوف متوازية ومختلفة الطول.

وقد تم أيضاً إنشاء طريق على امتداد جسر الملك فيصل تسهيلاً لحركة مرور حافلات الحجاج بين عرفات والمزدلفة ولفك الاختناقات المرورية فى المنطقة وهذا الطريق يربط امتداد جسر الملك فيصل من جهته الجنوبية مع طريق الطائف مروراً بالطريق رقم ٢ وذلك بطول حوالى ٢٥٠٠ متر وعرض ٤٠ متراً مع عمل تقاطعات أرضية على الطريقين المذكورين.

٨ - عرفات:

هو واد متسع يلى المزدلفة ولكنه لا يتبع مكة وبالتالى فهو ليس من الحرم، وهو واد فسيح متسع الأرجاء ويبعد عن مكة بمسافة ٢٥كم إلى الجنوب الشرقى ويصل ارتفاعه عن سطح البحر إلى ٧٥٠ قدماً، ووادى عرفة محصور بين المزدلفة والطائف، وأرضه مستوية يبلغ طوله ميلين وعرضه ميلين ويمتد من علمى عرفة إلى جبل عرفة الذى يحيط بالوادى من الشرق على هيئة قوس وفى طرفه من الجنوب الطريق إلى الطائف وفى طرفه من الشمال لسان يبرز إلى الغرب يسمى جبل الرحمة وفى الطرف الغربى من جبل الرحمة صخرة عالية هى موقف الخطيب عشية يوم عرفة وفى أسفله مصلى يسمى مسجد الصخرات وقد كان جبلاً صعب المرتقى حتى سهله الوزير الجواد الأصفهانى وبنى فيه هذا المسجد، كما بنى مصباً للماء والمسافة بين علمى عرفة إلى سفح جبل الرحمة تبلغ نحو ١٥٠٠٠ متر وعلى صخرة جبل الرحمة نزل على رسول الله ﷺ فى حجة الوداع آخر آيات القرآن العظيم.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٣].

ومن حدود عرفات وادى عرفة وهو وادى يقع فيما بين نهاية المزدلفة وبداية عرفة وهو ليس من الحرم حيث يوجد مسجد نمرة الذى زيدت مساحته فى التوسعات الأخيرة فى عهد الملك فهد ١٤ ألف م٢ كما تم زراعة طرق عرفات كلها بالأشجار لتلطيف الجو وللاستظلال تحتها.

٩ - عين زبيدة:

هو منبع مياه فى وادى النعمان يبعد عن عرفات حوالى ٣٠ كم وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسى هارون الرشيد حيث أوصلت الماء

النقى من هذا النبع إلى مكة المكرمة وأنفقت فى ذلك الكثير من الذهب على نفقتها الخاصة بعيداً عن بيت مال المسلمين حيث كان سكان مكة يعتمدون فى سقياهم على الآبار التى بها والتى كثيراً ما كانت تنضب فيعانون من ذلك صعوبات الحصول على مياه الشرب.

وقد تعاقبت إصلاحات مجارى هذا العين وأنشئت فى العهد السعودى الخزانات الكبيرة كما زادت مجاريها مع توسعتها على أوسع نطاق وقد مدت عرفات ومنى ومكة المكرمة من مياه هذا العين ولذلك أنشئت هيئة رسمية للعناية بها تسمى هيئة عين زبيدة رضى الله عنها وتقبل منها.

مناطق الحرم:

أول محمية إلهية حماها الله على سطح الأرض فجميع مخلوقاته فى المكان آمنة فالإنسان آمن على نفسه ودمه وماله وعرضه والدواب آمنة من القتل والقنص والعبودية أو حتى التعرض لها والنبات آمن من أن يقلع أو يحرق أو يرعى فكل ما هو موجود فى الحرم آمن من قبل الله سبحانه وتعالى. ولم لا وهى أول بقعة فى الأرض شرفت ببناء أول بيت لله وأول منطقة بها الاتصال بالبيت المعمور والبيت الحرام وأول بقعة شرفت بنزول خليفة الله فى الأرض سيدنا آدم أول نبى ورسول وفيها أول قربان قدم للَّه من قبل هابيل ومذبح سيدنا إسماعيل وفيها أفضل من دعى إلى عبادة الله الواحد الأحد بحب واختيار.

ويقع الحرم فى شبه الجزيرة العربية بعيداً عن أماكن الحضارات القديمة كالمصرية والإغريقية والرومانية والفارسية.. يتوسط هذا المكان مكة المكرمة وتتكون هذه المناطق من دائرتين:

١ - الأولى : دائرة صغيرة وهى الحرم المكى.

٢ - الثانية : دائرة أكبر تمتد إلى أقل مسافة تبعد عن مكة ٩٤ كم وأكبر مسافة هى ٤٥٠كم عند آبيار على.

وهو المجال الذى لا يمكن تخطيه الحاج أو المعتمر إلا إذا كان محرماً وتسمى أماكن الإحرام مواقيت الإحرام.

وبالتدبر فى أماكن الإحرام نجدها فى مجالات متتابعة كمجالات الإلكترونات حول النواة فى الذرة فهى موجودة أيضاً فى سبع مجالات. فالكعبة المشرفة هى النواة كالنواة الذرة تحيط بها ٧ محيطات كلها من أعمال الحج والعمرة وهى:

المحيط الأول: مقام إبراهيم:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة: ١٢٥].

المحيط الثانى: زمــزم:

وهى من آيات الله الكونية بين المسلمين ولها قدسيتها وهى تلى المقام مباشرة.

قال رسول الله ﷺ: **«طعام طعم وشفاء سقم»** و **«ماء زمزم لما شرب له»**.

المحيط الثالث: الصفا والمروة:

تخليداً لسيدتنا هاجر المصرية لقولها: «لن يضيعنا الله أبدا».

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١٥٨].

المحيط الرابع: منــى:

وفيها تم قبول القربان لهابيل، وفيها الفداء لإسماعيل وفيها رمى الجمار للشيطان الرجيم.

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[البقرة: ٢٠٣].

المحيط الخامس: المزدلفة:

لوصول الناس إليها زلفاً وبها المشعر الحرام.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٩٨، ١٩٩].

المحيط السادس: عرفات:

مكان نزول سيدنا آدم وأمنا حواء وفيها تجلى الله سبحانه وتعالى على عباده الحجاج وينزل إلى سماء الدنيا ويشهد الله ملائكته أنه غفر للحجاج حيث يقول: **«هؤلاء عبادى جاءونى شعثاً غبراً ضاحين اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم»**.

المحيط السابع: مواقف الإحرام:

وهى مواقيت الإحرام المكانية حيث نلبى نداء سيدنا إبراهيم بنفس التلبية التى علمها إياه سيدنا جبريل عليه السلام، وقد كانت مناسك الإسلام الأولى عن سيدنا إبراهيم هى شهادة أن لا إله إلا الله والحمد لله.

لذلك نجد التلبية هى:

لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك.

وبالتدبر أيضاً لهذه المناطق وتراكيبها والمشاعر التى تؤدى فيها نجدها آية من آيات الله على وحدة الخلق وأن الخالق هو الله الواحد الأحد فنجد:

١ – السماوات سبع.

٢ – الأراضين سبع.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[الطلاق: ١٢].

٣ – الذرة تدور فيهما الإلكترونات حول نواتها فى سبع محيطات فى اتجاه الطواف فى الكعبة .

٤ – الكعبة نواة وحولها المشاعر فى سبع حلقات .

٥ – الطواف سبع .

٦ – السعى سبع .

٧ – ورمى الجمار سبع فى اليوم الأول وواحد وعشرون ترمى يومياً وتسعة وأربعون لمن تعجل وسبعون حصوة لمن لم يتعجل وبذلك رمى الحجار جميعها مضاعفات السبع .

٨ – الصيام سبع أيام فى الخطأ أو لم يجد هدىّ تمتع .

٩ – الاشتراك فى ذبح البُدْن سبع أشخاص .

سبحان الله العلى القدير .



الباب الثالث

الكعبة المشرفة من عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة

الباب الثالث
الكعبة المشرفة
من عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام
إلى يوم القيامة

الكعبة المشرفة هى أول بناء فى الأرض أقيم بأمر من الله سبحانه وتعالى وهو يقابل البيت المعمور فى السماء، وجعل سبحانه وتعالى أفئدة من الناس تهوى إليها وجعل بيته آمناً للطائفين والقائمين والركع السجود.

هذا المبنى الذى أتم بناؤه سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل مكعب الشكل ذو أضلاع هى غير متساوية فالضلع الذى جهة حجر إسماعيل أكبر بحوالى ستة أمتار وكانت أعرض من الناحية الغربية بمسافة ستة أمتار أيضاً وكانت بلا سقف وكان لها بابين ملاصقين للأرض، أولهما الباب الحالى فى الجهة الشرقية والثانى يقابله فى الجهة الغربية.

وفى الروايات أول من جدد بناء الكعبة بعد بنائها قصى بن كلاب حيث جعل سقفاً من خشب الدوم وجريد النخيل.

وقبل بعثة الرسول ﷺ بخمس سنوات تقريباً نزل سيل عرم صدع جدران الكعبة وأوهن بناءها، فعزمت قريش على إعادة بنائها وأتمت قريش بناء الكعبة على مساحتها الموجودة عليها الآن.. حيث أن النفقة قد أحوجتهم إلى تخفيض مساحتها من جهة الشمال والغرب واكتفوا بالباب الشرقى وحده بيد أن رفعوه عن الأرض بحوالى مترين كما جعلوا لها سقفاً من الخشب ليحافظوا بداخلها على ما كان يهدى إلى الكعبة من نفائس وكنوز كما أعادوا وضع صنم هبل بداخلها.

أخبر عبدالله بن عمير عن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «**ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت اقتصدوا عن قواعد إبراهيم**» فقالت: يا رسول الله ألا

تردها على قواعد إبراهيم؟ قال« **لولا حدثان قومك بالكفر**» فقال عبدالله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم عليه السلام[رواه مسلم، والترمذى، والنسائى، وأحمد].

ومن حديث نافع سمعت عبدالله بن أبى بكر يحدث عبدالله بن عمر عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية - أو قال بكفر - لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها الحجر**»[رواه مسلم] قال ابن إسحاق: كانت الكعبة على عهد النبى ﷺ ثمانى عشر ذراعاً وأول من كساها بالديباج الحجاج بن يوسف.

وفى عهد يزيد بن معاوية حين غزى أهل الشام البيت وأحرقوه، خطب ابن الزبير فى الناس فى الحج وقال أيها الناس أشيروا على فى الكعبة؟ أنقضها ثم أبنى بناءها أو أصلح ما وهن منها؟ قال ابن عباس: إنى أرى أن تصلح ما وهن منها وتدع بيتا أسلم الناس عليها، وبعث عليها النبى ﷺ، فقال ابن الزبير: لو كان احترق بيته ما رضى حتى يجدد فكيف ببيت ربكم عز وجل، فنقضوا البيت حتى الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤها . . قال ابن الزبير: إنى سمعت عائشة رضى الله عنها تقول أن النبى ﷺ قال: «**لو أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى النفقة ما يقوينى على بنائه لكنت أدخلت فيه الحجر خمسة أذرع ولجعلت له باب يدخل الناس منه وباب يخرجون منه**» [رواه النسائى والبخارى ومسلم]. قال: فأنا أجد ما أنفق ولست أخاف الناس، قال فزاد عليه خمسة أذرع من الحجر حتى له أساً فنظر الناس إليه فبنى عليه البناء، وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً فزاد فى طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهم للدخول والآخر للخروج.

فلما قتل الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يستجيزه بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة. فكتب إليه عبدالملك إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شىء أما ما زاده فى طوله فأقره، أما ما زاد فيه من الحجر فرده

إلى بنائه وسد الباب الذى فتحه فنقضه وأعاده إلى بنائه[رواه مسلم والنسائى واللفظ لمسلم].

حجر إسماعيل (الحطيم) :

وهى المساحة التى لم تبنى من أصل مساحة الكعبة فى عهد سيدنا إبراهيم وهو فى الجهة الشمالية من الكعبة ويسمى الآن الركن العراقى وهذه المساحة ستة أذرع تقريباً يحاط بها جدار يرتفع عن الأرض بنحو نصف متر وهو من أصل الكعبة ويسمى أيضاً بالحطيم.

وبعد رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير من حاله كما ذكر أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدى. . سأل الإمام مالك عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله الزبير، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها!! فترك ذلك الرشيد . . [نقله عياض والنووى].

والكعبة المشرفة:

هو مبنى مكعب الشكل وذو أربع أضلاع سنذكرها فى اتجاه الطواف وهم (الركن الأسود - العراقى - الشامى - اليمانى) شكل رقم (١).

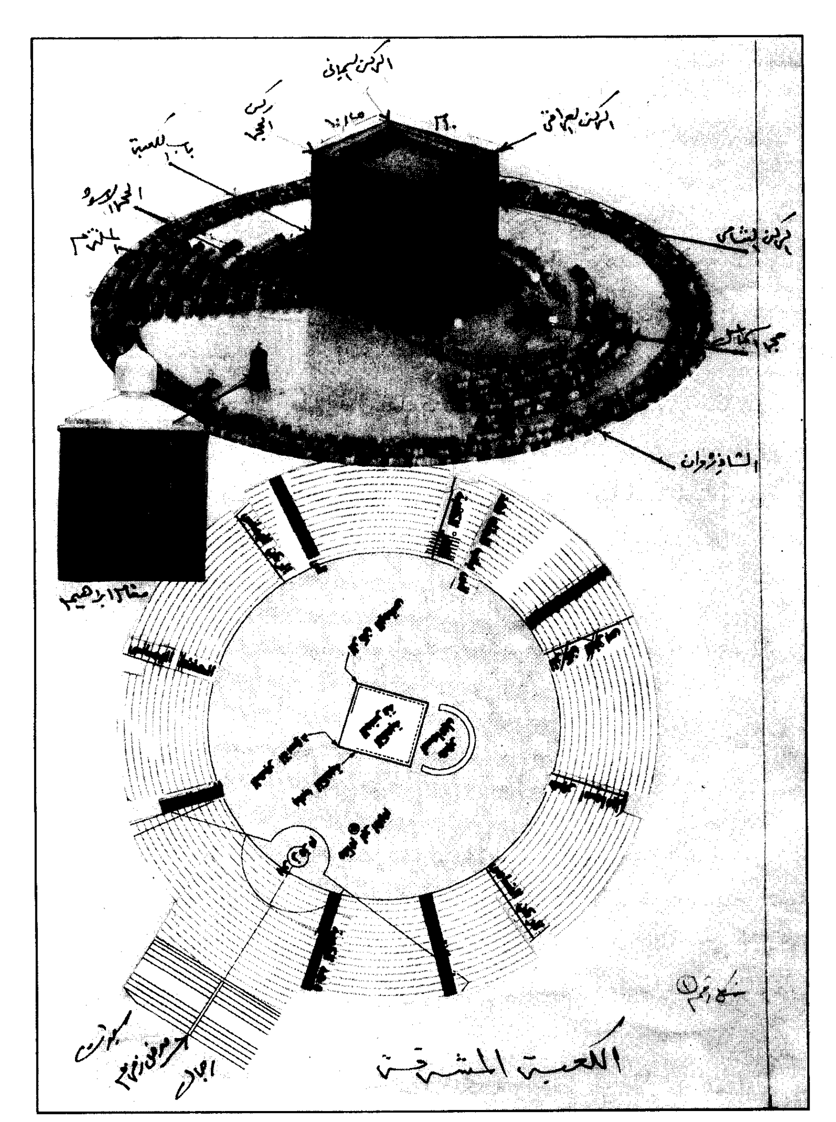
وأضلاعها الأربعة هى:

١ - الضلع الشرقى :

يبلغ طوله ١١,٨٨ متراً ويسمى الركن الأسود وزاويته جهة الجنوب أو ركنه «الحجر الأسود» وهو على ارتفاع أقل من القامة، لذلك لابد من الانحناء لتقبيله إجباراً كما ينحنى الناس لعظيم . وأرى أن هذا الارتفاع هو من الله حتى لا يكون هناك مشقة لقصيرى القامة والنساء والولدان، والله أعلم. . يلى الحجر مباشرة فى نفس الضلع.

أ - باب الكعبة : وهو الباب الوحيد للكعبة ويرتفع عن الأرض بمقدار مترين وهو محلى بالذهب.

ب - الملتزم : وهو المكان بين الباب والحجر الأسود.



شكل (١)
الكعبة المشرفة

٢ - الضلع الشمالى :

ويبلغ طوله ١٠ أمتار ويسمى الركن العراقى وبه حجر إسماعيل وهو جزء من الكعبة ويسمى أيضاً الحطيم.

٣ - الضلع الغربى :

وطوله ١٢,١٥ متراً ويسمى الركن الشامى وهو موازى للضلع الشرقى.

٤ - الضلع الجنوبى :

وطوله ١٠,١٥ متراً ويسمى الركن اليمانى.

ويحيط بالكعبة من أسفلها بناء من الرخام يسمى «الشازروان» تثبت فيه حلقات أستار الكعبة وهو من الكعبة ولا يجوز الطواف فوقه.

والكعبة بناء على شكل غرفة بارتفاع خمسة عشر متراً ولها سقفين المسافة بينهما ١,٣٥ متراً.

وفى شعبان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م تم الانتهاء من أعمال الترميم الشامل والتى شملت ترميم وتجديد سقف الكعبة والأعمدة الثلاثة وحوائط الكعبة من الداخل والخارج والأرضيات وتركيب رخام السطح والحوائط والأرضيات والسلم الداخلى والشازروان وجدار حجر إسماعيل وميزاب الكعبة.

وهكذا تجدد إلى آخر الزمان إلى أن يخربها «ذو السويقتين» من الحبشة كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»** [رواه البخارى ومسلم وأحمد]، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **«كأنى به أسود أفجع يقلعها حجراً حجراً»** [رواه البخارى وأحمد]؛ وعن مجاهد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة »** [رواه أحمد وأبو داود]، ويكون ذلك بعد خروج يأجوج ومأجوج، لما جاء فى صحيح

البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«ليحجنَّ البيت وليعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»**[رواه البخارى وأحمد].

وقد اهتم محمد على باشا والى مصر عندما سمع بهدم معظم أركان الكعبة نتيجة هطول الأمطار الشديدة عليها فقدم على إعادة بناء الكعبة واستمر البناء لمدة ستة أشهر بواسطة العمال والمهندسين المصريين وقد أنفقت أموال طائلة على هذا البناء سنة ١٠٤٠ هـ ، وفى عهد آل سعود اكتشف خلل فى سقف الكعبة وتصدع جدرانها فقام الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود برئاسة أعمال الترميم فتم تجديد السقف وترميم جدرانها ثم كسوتها (رجب / شعبان عام ١٣٧٧هـ).

الكسوة:

كانت كسوة الكعبة المشرفة تحضر من اليمن حتى عهد قصى بن كلاب فجعل على كل قبيلة نصيباً فى كسوة الكعبة بقدر طاقتها، ولما أثرى أبو ربيعة بن المغيرة المخزومى من تجارته مالاً كثيراً فكان يكسو الكعبة وحده سنة وتكسوها قريش كلها سنة . . لذا سميته قريش العدل.

وظلت قريش مسئولة عن كسوة الكعبة إلى أن جاء الإسلام فتحملت الدولة ذلك ولما ضعفت الدولة العباسية ، تولت مصر عمل الكسوة للكعبة وإرسال كل ما يلزمها سنوياً، وأنشأت دار الكسوة الشريفة فى الخرنفش حتى سنة ١٣٤٦هـ حيث أنشأ الملك عبدالعزيز آل سعود داراً لصنع الكسوة فى أجياد بمكة المكرمة، هذا وتغسل الكعبة المشرفة مرة كل عام ولا يزال الأمر جارياً على ذلك حتى الآن فى اليوم السابع من ذى الحجة من كل عام.

المسجد الحرام:

وقد ظلت الكعبة المشرفة فى الخلاء بلا أسوار أو مبان تحيط بها منذ بناها سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى عهد قصى بن كلاب الذى ترك حولها مداراً كافياً للطواف . . ثم بدأ ببناء دار الندوة حول مدار الطواف ودعا قومه إلى بناء دورهم حوله، ففعلوا ذلك تاركين أمكنة بين مبانى الدور للمرور منها إلى مدار الطواف، ظل

الحال حتى جاء الإسلام وانقضى عهد رسول الله ﷺ وعهد خليفته أبو بكر رضى الله عنه فى سنة ١٧ هـ وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخل الناس فى دين الله أفواجاً فازدادت أعداد الحجاج، فرأى سيدنا عمر رضى الله عنه أن يوسع الحرم، فاشترى الدور من حول الكعبة وهدمها وأدخلها فى حرم الكعبة وأحاطها بجدار مرتفع قامة الرجل ووضع عليه مصابيح لتضىء للطائفين والعاكفين بالليل.

وعام ٢٦ هـ وفى عهد عثمان بن عفان اشترى رضى الله عنه دوراً أخرى وزاد فيها من رقعة المسجد ومد إليها السور كما فعل عمر رضى الله عنه من قبل.

وفى سنة ٦٤ هـ فى عهد عبدالله بن الزبير اشترى رضى الله عنه دوراً وسع بها المسجد توسعة كبيرة من الجانبين الشرقى والجنوبى، ولم يزد على أن أحاط هذه الزيادة بجدار المسجد كما فعل من سبقه الخليفة عمر وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

وسنة ٧٥هـ أمر عبدالله بن مروان برفع الجدار وسقفت بخشب الساج الداكن اللون المتين وجعل فى رأس كل اسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب وكان تقليداً من الشاميين.

وزاد الوليد بن عبدالملك فى عمل أبيه بتوسعة المسجد وزخرف الساج الذى سقف به وأزر أسفل جدرانه بالرخام وجعل له شرفاً، كما نقل إليه أساطين الرخام وجعل بدلاً من الذهب صفائح من النحاس وزخرف أبواب المسجد بالفسيفساء.

سنة ١٤٠ هـ أمر أبو الجعفر المنصور العباسى زياد بن عبدالله الحارثى والى مكة فزاد المسجد فى مساحته لضعف ما كان عليه وزينه بالذهب والنقوش وبنى مئذنة بنى سهم، وفى نفس العام عندما حج أبو جعفر أمر بتغطية حجر إسماعيل بالرخام وتم ذلك فى نفس الليلة.

وحتى هذا الوقت لم تكن الكعبة تتوسط المسجد الحرام وبعد عهد المنصور مباشرة وفى ولاية المهدى أمر بتوسعة المسجد بحيث تتوسط الكعبة المسجد الحرام واكتملت التوسعة فى عهد ولده الهادى ولم يضف فى عهد العباسيين إلى المسجد

غير إضافتين جزئيتين تمتا فى عهد المعتضد العباسى ٢٨١هـ والمقتدر بالله العباسى ٣٧٦هـ.

وقد تنافس الحكام المسلمين فى تجديد وترميم وزخرفة المسجد الحرام وقد أسهمت مصر بالنصيب الأكبر فى عمارة المسجد الحرام.

وفى سنة ٩٨٠ - ٩٨٤ هـ ، ذهب والى مصر سنان باشا إلى مكة وأخذ معه المهندسين والعمال المصريين المهرة واستبدل السقف الخشبى المتآكل قباباً دائرة بالأروقة كما اهتم بتغيير بعض مجارى السيول ليحول دخولها المسجد، وهذه الزيادات والإصلاحات هو الذى نراه الآن من الدور الأرضى وهو القباب ذات اللون الضارب إلى الحمرة تمييزاً له عن التوسيعات الأخرى التى أجرتها المملكة العربية السعودية.

وفى سنة ١٣٧٥/ ١٩٥٥م أمر الملك سعود بن عبدالعزيز بإجراء توسعة شاملة للمسجد الحرام وعمارته حيث أقيم منذ سنة ١٣٧٥ إلى سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٥٥ حتى ١٩٦١م حتى صار كما بشكل رقم (٢).

١ - مجرى خاص لتصريف مياه السيول.

٢ - تم بناء أساس الرواق الجنوبى وكسيت جدرانه بالرخام كما تمت تكسية العقود والسقوف بالحجر المنقوش.

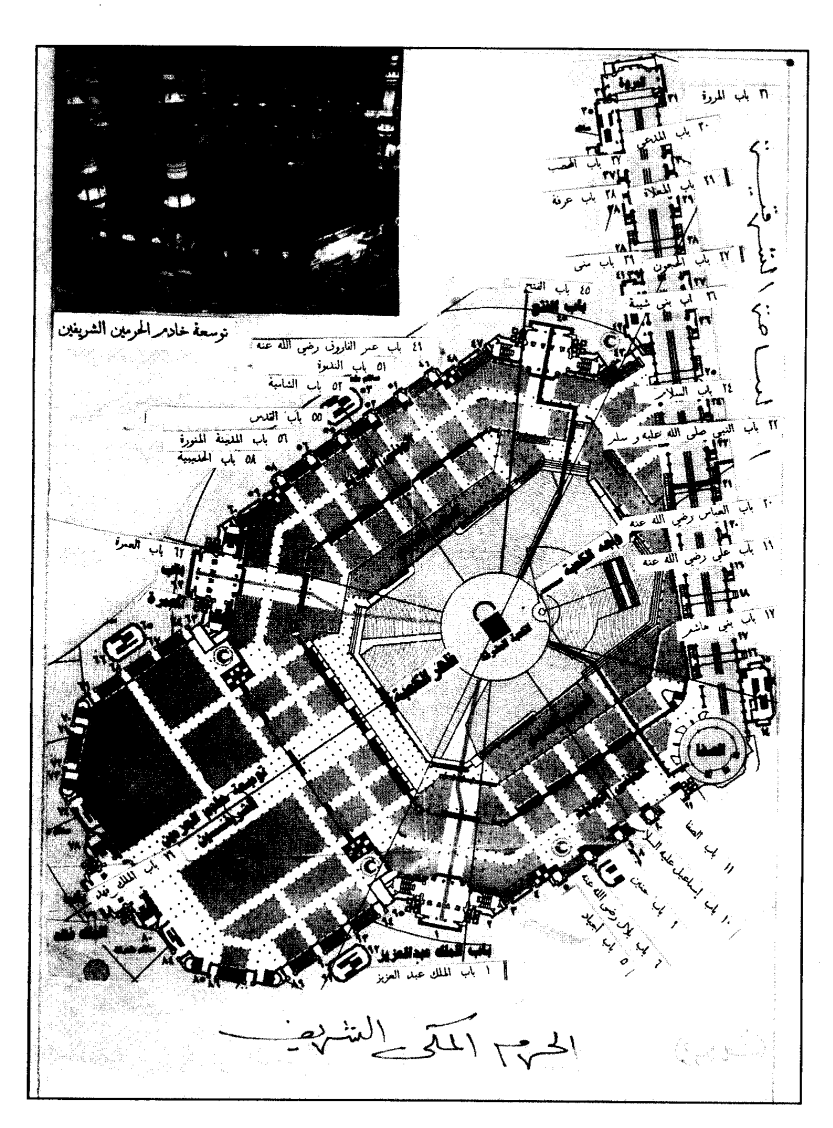
٣ - إقامة ممر دائرى على مستوى الطابق العلوى للرواق الجنوبى والمسعى ووصل بينهما بسقف مستدير مقبب وخصص هذا الممر للداخلين من باب الصفا الجديد إلى أحد الطابقين.

٤ - تم بناء القسم الثانى من الرواق الجنوبى الغربى وإكمال الطابق السفلى فى هذا الجانب.

٥ - بناء الرواق الشمالى فى الرقعة الممتدة من باب العمرة إلى باب السلام.

٦ - بناء الطابق السفلى الذى أقيم تحت جميع أبنية الحرم - عدا المسعى-.

٧ - إنشاء خمسة ميادين عامة حول الحرم وأصبح عدد أبواب الحرم أربعة وستون باباً.



شكل (٢)
الحرم المكى الشريف

٨ - حفر أنفاق فى جميع الاتجاهات مزودة بدورات مياه ومغاسل للوضوء.

٩ - ترميم الكعبة المشرفة.

١٠- توسعة المطاف.

١١- تجديد مقام سيدنا إبراهيم.

بناء على هذه التوسعات فقد زادت مساحة الحرم من ٢٩١٤٧م٢ إلى ١٩٣٠٠٠م٢ مما زاد استيعاب الحرم ٤٠٠٠٠٠ مصلى.

وفى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز تم توسعة المسجد الحرام إلى الآتى:

١ - تم إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد من الناحية الغربية فى منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبدالعزيز.

٢ - زادت مساحة أدوار الحرم المكى ٧٦٠٠٠م٢ موزعة على الدور الأول والبدروم والسطح حتى تتسع إلى ١٥٢٠٠٠ مصل.

٣ - تجهيز المساحات الخارجية بتبليطها بالرخام الأبيض بمساحة إجمالية تصل إلى ٢٨٥٨٠٠ تكفى لاستيعاب ١٩٠٠٠٠ مصل.

٤ - إضافة مدخل رئيسى جديد وثمانية عشر مدخلاً عادياً بالإضافة إلى المداخل السابقة البالغ عددها ثلاثة مداخل رئيسية وسبعة وعشرون مدخلاً عادياً كما أضيف مدخلين جديدين للقبو إضافة إلى المداخل الأربعة السابقة.

٥ - إضافة مئذنتين جديدتين بارتفاع تسعة وثمانون متراً تتشابه مع المآذن السبع الأخرى القائمة.

٦ - إضافة مبنيين للسلالم المتحركة أحدهما فى شمال مبنى التوسعة والآخر فى الجنوب مساحة كل منهما ٣٧٥م٢ بطاقة استيعاب ١٥٠٠٠ مصل/ساعة مع زيادة عدد السلالم المتحركة ٥٦ سلماً بالإضافة إلى مصعدين كهربائيين رئيسين ومصعدى خدمة المآذن ووصل عدد مبانى السلالم المتحركة إلى سبعة تنتشر حول محيط الحرم لخدمة رواد الدور الأول والسطح.

٧ - بلغت عدد الأعمدة ١٤٥٣ عموداً مكسوة جميعها بالرخام منها ١١٢٠ عامودا ذا تاج وقاعدة من الرخام بها فتحات تكييف، ٣٣٣ عاموداً عادياً وتبلغ ارتفاع أعمدة الطابق الأرضى ٤,٥ متراً والطابق الأول ٤,٧ متر أما قواعد الأعمدة فهى مسدسة الشكل ، كما تبلغ ارتفاعات الواجهات الخارجية للتوسعة ٢٢,٥ مترا وجميعها محلاة بالزخارف الإسلامية ومكسوة بتداخلات من الرخام والحجر الصناعى.

٨ - يشمل الحرم الآن ثلاثة طوابق القبو وارتفاعه ٤ أمتار والطابق الأرضى ٩ أمتار والدور الأول ٩ أمتار وقد تم تبليط سطح المسجد جميعه بالرخام لاستخدام المصلين.

٩ - إقامة ثلاث قباب للتوسعة تقع جميعها بالنصف تقريباً بموازاة المدخل الرئيسى مكسوة بالسيراميك وبارتفاع ١٣ متراً وتحتوى على فتحات بكامل محيطها وبشكل خارجى يماثل القباب الموجودة على سطح الحرم من قبل.

١٠- تقوية الإذاعة الداخلية القديمة مع وضع نظام صوتى للمسجد.

١١- إضافة نظام إنذار من الحريق.

١٢- نظام الهاتف.

١٣- نظام تهوية القبو ميكانيكياً بينما يتم تهوية الدور الأول والثانى بمراوح تقليب الهواء على الأعمدة مع دفع هواء بارد خلال أرضية مرتفعة وتوزيعه على مستوى مرتفع حول الأعمدة المربعة.

١٤- أقيمت محيطات التبريد ومضخات المياه المثلجة ومركز تشغيل وتحكم أوتوماتيكى بطاقة ١٣٥٠٠ طن تبريد فى منطقة أجياد بعيدة عن الحرم لتحاشى الضوضاء.

١٥- إنشاء مبنى دورات المياه شمال مساحات المسعى من دورين بمساحة إجمالية ١٤٠٠٠م٢ بالإضافة إلى السطح ، ويحتوى هذا المبنى على ١٤٤٠ دورة مياه،

١٠٩١ نقطة وضوء ، ١٦٢ نافورة للشرب مع إنشاء ممرات لتسهيل انتقال المصلين من القشاشية إلى مساحات الصلاة الجديدة دون تعارض مع حركة المرور مع إنشاء دورات خاصة بالنساء بمداخل منفصلة .

وصلت مساحة المسجد الحرام الكلية فى هذه التوسعة بالأسطح وكامل الساحات ٣٥٦٠٠٠م٢ تتسع لحوالى ٧٧٣٠٠٠ مصل فى الأيام العادية لتزيد فى المواسم لتستوعب أكثر من مليون مصل .

تتلخص التوسعة الجديدة فى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز :

البيـــــان	الوضع قبل التوسعة	التوسعة	الاجمالى
مساحة المسجد الحرام	١٩٣ ألف م٢	١٦٣ ألف م٢	٣٥٦ ألف م٢
عدد المصلين	٤١٠ ألف م٢	٧٧٣ ألف م٢	أكثر من مليون
المآذن	٧	٢	٩ مآذن
المداخل الرئيسية	٣	١	٤ مداخل
المداخل العادية	٢٧	١٨	٤٥ مدخلاً
مداخل البدروم	٤	٢	٦ مداخل
السلالم المتحركة	٧	٤	١١ سلماً
أبواب المسجد الحرام	٢٧	١٤	٤١ باباً
دورات المياه وأماكن الوضوء	٥٠٠٠	٤٠٠٠	٩٠٠٠ حمام وميضأ

ويشمل الحرم بخلاف الكعبة المشرفة على المعالم الأساسية الآتية :

مقام إبراهيم – زمزم – المسعى (الصفا والمروة) .

أولاً : مقام إبراهيم :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة : ١٢٥] .

وهو الحجر الذى وقف سيدنا إبراهيم عليه السلام وقد طبعت رجله الشريفة عليه بلا خف وكان يصعد وينزل عند بناء الكعبة عندما كان يناوله سيدنا إسماعيل أحجار الكعبة للبناء .

وكان إلى عهد عمر رضى الله عنه ملاصقاً للكعبة ولما ازدادت أعداد المسلمين ودخل الناس فى دين الله أفواجاً فقد أمر سيدنا عمر رضى الله عنه بتحريكه إلى المكان الذى هو فيه الآن ، ويقال عن مقام إبراهيم ليس هذا المكان فقط ولكن يشمل مقام إبراهيم أيضاً منطقة الطواف وما حولها بمبنى المسجد الحرام .

ووضع الحجر داخل مقصورة من الزجاج كما هو موجود الآن بجوار الكعبة المشرفة فى التوسعة الأولى للملك سعود بن عبدالعزيز ، شكل رقم(١) .

ثانياً : المسعى :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة : ١٥٨] .

وهو المكان التى جرت به سيدتنا هاجر بعد نفاذ التمر والماء وبكاء طفلها والمسعى هو المسافة بين أصل جبل أبى قبيس جنوب المسجد قرب الصفا والطرف الآخر مكان مرتفع من أصل جبل قعيقعان فى الشمال الشرقى للمسجد وكانت المبانى تفصل بين المسجد الحرام والمسعى قديماً وظل المسعى على مر العصور طريقاً ضيقاً على جانبيه الطريق يعلوه المساكن .

وفى عهد الملك سعود بن عبدالعزيز ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ (شكل رقم ٢) فقد تم الآتى :

١ – إزالة جميع المنشآت السكنية والتجارية التى كانت قائمة قرب المسعى وهدم المبانى القائمة شرق المروة.

٢ – شق طريق جديد يمر بجانب الصفا والمروة إلى حى الغرارة وحى الشامية.

٣ – تم تبليط المسعى بالكامل بالرخام.

٤ – أقيم وسط المسعى حاجز يقسمه إلى قسمين طويلين خصص أحدهما للسعى للصفا والآخر للمروة.

٥ – وضع ممر بين الطريقين لتسير العربات الحاملة للساعين غير القادرين.

٦ – دهن جزء المسعى أمام بطن وادى إبراهيم والمقابل لزمزم والكعبة المشرفة باللون الأخضر كما وضعت لمبات خضراء عند بدء ونهاية هذا الجزء ويسمى بالميلين ليتعرف عليها الساعون فيهرولون فى سيرهم بين العلامتين.

٧ – بناء المسعى من طابقين لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الساعين ويبلغ طول المسعى من الداخل ٣٩٤,٥ وعرضه ١٦ متر ويبلغ ارتفاع الطابق الأرضى للمسعى ١٢ مترا والطابق العلوى ٩ أمتار.

٨ – أنشأ للمسعى ١٦ باباً فى الواجهة الشرقية ، كما خصص للطابق العلوى سلَّمان من داخل المسجد أحدهما للصفا والآخر للمروة.

٩ – زادت مساحة المسعى بالمسجد ٨٠٠٠ متر للطابق العلوى ومثلهم ٨٠٠٠ متر للطابق الأرضى.

كما جرت توسيعات أخرى فى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز وهى كالآتى:

١ – زيادة مساحة ١٣٠ مترا لكل دورة من جهة المروة لتصبح الزيادة ٣٧٥ متراً مربعاً.

٢ – زاد عرض منطقة المروة ٢٦ متراً بدلاً من ١٦ متراً فى السابق.

٣ – إنشاء قبة على المروة بشكل ينسجم مع الشكل المعمارى لقبة الصفا.

٤ – إنشاء ستة أبواب جديدة بالدور الأرضى لتسهيل حركة الخروج للمصلين والمعتمرين ، إضافة إلى الباب المؤدى إلى الساحة الشرقية، كما أنشأ مدخلان للدور العلوى أحدهما للصفا والآخر للمروة.

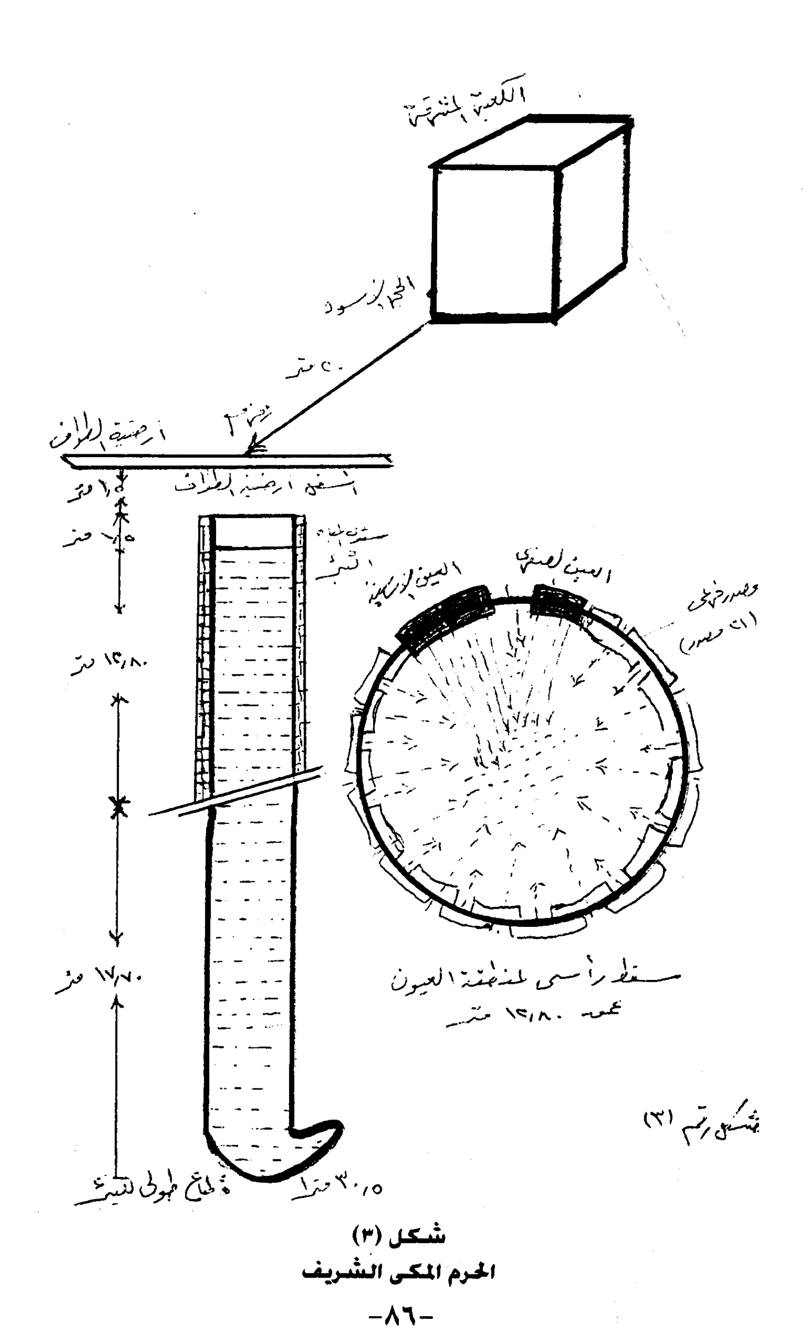
ثالثاً : زمزم :

هو نبع ماء يقع داخل المسجد الحرام من الجانب الشرقى بجانب باب بنى شيبة يوجد أسفل منطقة الطواف، وهو قديم قدم بناء الكعبة من عهد سيدنا إسماعيل عليه السلام حيث ضرب سيدنا جبريل عليه السلام بعقبة بجوار سيدنا إسماعيل وهو رضيع فتفجر النبع تحت قدمه الشريفة حيث نشأ مجتمع حول الماء من أولاد سيدنا إسماعيل الاثنى عشر من زوجته من جرهم، فلما طال عليهم العهد، ظلموا ونسوا تعاليم جدهم سيدنا إسماعيل حيث كان رسولاً نبياً حتى أدرك آخر زعمائهم أن دولتهم إلى زوال حيث بدأت زمزم فى الجفاف فعمد إلى كل ما هو ثمين وغال من تماثيل ذهبية وحلى وسيوف موجودة بالكعبة فوضعها فى البئر وردم عليها على أمل عودته يوما ما فيجدها. . واحتلت خزاعة مكة ثم ضعفت ودامت السيادة إلى قريش، ولم يعرف مكانها إلى زمن قبل مولد الرسول ﷺ.

حيث رأى عبدالمطلب – جد رسول الله ﷺ – فى المنام مكان زمزم وجاءه الهاتف مراراً افتح زمزم ، افتح برة . . وكانت العلامة هو أن غراب أسود سيبحث فى روث هدى ملقى بجوار البيت ، وبدأ عبدالمطلب وابنه الوحيد الحارث فى الحفر فى هذا المكان وسط دهشة أهل مكة واستهزائهم من هذا العمل وإنه وحيد ولا ولد له إلا الحارث فأقسم إن أعطاه الله عشرة من الأولاد ليذبح أحدهم هدياً إلى الله سبحانه وتعالى . . ثم استمر فى الحفر حتى ظهر الكنز المدفون وهو غزالين وسيوف من الذهب ، وخلافه ، ثم علقها على الكعبة حيث سرقت ، ولم تظهر مياه زمزم إلا فى عام الفيل وهو عام ميلاد سيد الخلق أجمعين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم واستمر تدفقها هذا وإلى يوم الدين إن شاء الله رب العالمين.

وتقع زمزم فى أقل بقعة انخفاضاً فى وادى إبراهيم وهو الوادى الممتد من العقبة الكبرى فى منى ومارا بالكعبة ثم إلى المسفلة ويعلو هذا الوادى قواعد البيت الحرام.

ونجد زمزم فى أسفل أرضية الطواف حول الكعبة المشرفة وليس على مستواها، وهى تبعد عن الحجر الأسود بمسافة ٢٠ متراً فى اتجاه الصفا ، وتبعد عن أسفل أرضية الطواف بحوالى ١,٥ متر حيث نجد فتحة زمزم (شكل رقم ٣).



شكل (٣)
الحرم المكى الشريف

١ - **طول البئر** : حوالى ٣٠ متراً من سطح البئر حتى قاعه ، ويعطى قاعه شكل قدم وليس به أى عيون جوفية وأسطحه صماء ليس بها أى عيون أو فتحات إلا فى منطقة واحدة فقط على بعد ١٢,٨٠ م من سطح البئر .

٢ - **العيون الأساسية** : توجد لبئر زمزم ثلاثة عيون أساسية كما ذكرها الإمام الأزرقى فى سنة ٢٦٣هـ فى وصف بئر زمزم حيث صلى فى قاعها فى عهد المأمون ويقال أيضاً عندما سرق القرامطة الحجر الأسود ، وهذه العيون أو الفتحات هى :

أ - العين الأساسية : وهى الفتحة الكبرى وهى فى اتجاه الكعبة وأمام الحجر الأسود بطول قدره ٧٥ سم وعرضها ٢٥ سم وهى أكثر العيون تدفقاً بالماء .

وقد سأل كعب الأحبار العباس رضى الله عنه عن أى العيون أغزر قال جهة الكعبة فقال له صدقت . . وهذا ما رأيته بنفسى .

ب- العين الثانية : وهى فتحة أصغر من الأولى وهى فى اتجاه المروة ناحية مقام سيدنا إبراهيم بطول قدرة ٤٥ سم وبعرض ٢٥ سم وهى أقل تدفقاً للماء .

جـ- العين الثالثة : وهى ناحية جبل قبيس فى اتجاه الصفا كما ذكرت فى تاريخ الإمام الأزرقى سنة ٢٦٣هـ أما الذى شاهدته فكانت هذه الجهة مغلقة بالحجارة ولكن وجدت ٢١ فتحة صغيرة تخرج الماء من بين الحجارة .

وتصب هذه المياه فى جسم البئر وهو ما يعطى شكل الجيب حيث تملأ بماء زمزم .

هذا ولا يوجد أى فتحات أخرى فى جسم البئر وسجل ذلك بواسطة غواصين بحريين بتصوير جميع أجزاء البئر بكاميرات مائية .

٣ - **قطر البئر** : يختلف أقطار البئر من فتحته إلى أسفل بأقطار تتراوح بين ١,٥ متر إلى ٢ متر .

٤ - **جدران البئر** : تختلف جدران البئر من قمته إلى أسفله فمن قمته عند فتحة البئر وحتى ١٢,٨٠م وهى ظهور الفتحات الأساسية أو العيون الأساسية كان الجدار

مغطى بالجص ولكن لا يعرف فى أى عهد حدث هذا مع غلق العين جهة الصفا؟ أما ما بعد ذلك فهو قطعة واحدة من الصخر بدون شروخ أو عيون أو فتحات أو طلاء أو خلافه صخر صلد فقط.

٥ - **مستوى الماء فى البئر** : مستوى الماء فى البئر ثابت بعد فتحة البئر بحوالى ١,٥ متر ولا يزيد الماء عن ذلك أبداً كأن بها عوامة تتحكم فى كمية الماء التى تصل إلى هذا البئر ولكن هذه الصفة من قدرة الله العلى العظيم القدير، ثم تنخفض عندما يسحب منها الماء حسب قوة الطلمبات الرافعة للمياه وأثناء عملية الضخ تسترد المياه قوتها وترتفع مرة أخرى مؤكدة حديث رسول الله ﷺ **«كلما أخذت منها أعطتك»**.

وتصل إلى بئر زمزم الآن بواسطة سلالم رخامية فى حارتين واحدة للرجال والأخرى للنساء تصل إلى أسفل وادى إبراهيم حيث ترى بئر زمزم محاطة بجدر زجاجية وأمامها فى كل قسم العديد من صنابير المياه التى تغذى من زمزم بواسطة طلمبات غاطسة داخل البئر تضخ المياه أعلى سطح الحرم حيث ترشح المياه مما يكون عالقاً بها من الرمال ثم تعقم بالأشعة فوق البنفسجية حتى لا يتغير طعمها ثم تضخ مرة أخرى فى مواسير حيث تبرد حيث يصل إلى صنابير للاستعمال المباشر.

وفى دراساتى ومشاهداتى أثناء العمل فى بئر زمزم ومعرفة تركيبه ومصادر المياه وتركيب المياه ميكروبيولوچيا - كيميائياً - هيدرولوچيا - مع أخذ العينات من المياه على فترات زمنية كبيرة وعلى أعماقها المختلفة وكذلك تحليل المياه من عيونها الأساسية وقبيل أنْ تصل إلى البئر فقد وجدت الآتى:

١ - إن بئر زمزم فى أكثر بقعة بوادى إبراهيم انخفاضاً أسفل أرضية الطواف الجهة الشرقية من الكعبة المشرفة ناحية الحجر الأسود وهى جيب بشكل رجل فى نهايتها قدم وهو ما يثبت أنه عقب سيدنا جبريل تصب منه المياه من عيون أساسية. أما ما يحيط بئر زمزم من آبار أخرى تصل أعدادها إلى أربعة جميعها مختلفة التركيب والمياه وتستخدم مياهها فى دورات المياه وخلافه.

٢ – ان مستوى الماء فى البئر ثابت عند مستوى ٥ , ١ متر من سطح البئر ينقص عندما يسحب منها الماء ولكن تزيد الماء مرة أخرى أثناء عمليات الضخ **«كلما أخذت منها أعطتك»** صدق رسول الله ﷺ.

وعندما يتلوث المصدر الأساسى وهو البئر نفسه تفور المياه حتى يتخلص من هذه الملوثات ثم ترجع إلى مستواها مرة أخرى بقدرة الله.

٣ – تتدفق الماء بغزارة من العيون خاصة من العين الأساسية وهى ناحية الكعبة أمام الحجر الأسود مباشرة وكما ذكرها العباس رضى الله عنه وكذلك كعب الأحبار.

٤ – أن العيون الأساسية التى رأيتها متوافقة مع ما وصفه الإمام الأزرقى ٢٦٣هـ حيث صلى فى قاعها فى عهد المأمون.

٥ – لا يوجد فى الوجود بئر يستمر عطاؤها أكثر من ١٤٠٠ سنة ومازالت إلا أنها آية من آيات الله الكونية.

ومن التجارب والنتائج العلمية نلاحظ آيات الله واضحة فيها وقد وضعت الافتراضات التالية بعضها يحتاج إلى تكملة البحوث العلمية لإثبات هذه النظرية، وهى:

(أ) المحتوى الميكروبى للمياه:

١ – وجد أن عينات المياه المأخوذة من العيون الأساسية من زمزم خالية تماماً من أى كائنات حية دقيقة (بكتريا وخلافه) متماثلة تماماً مع عينات تربة أخذتها من أرضية الطواف بجوار الكعبة المشرفة عند تغيير أرضية الطواف بالحرم، وكانت أيضاً خالية تماماً من هذه الكائنات وذلك عام ١٤٠٠هـ، مع العلم بأن أى تربة أو مياه فى الظروف العادية أو الطبيعية تحتوى على ميكروبات أو كائنات حية دقيقة حتى عمق خمسة كيلو مترات من باطن التربة.. فسبحان الله العلى القدير.

٢ - ومن عينات مياه أخذتها من البئر قبل تنظيفه من أحداث الحرم ١٤٠٠هـ فقد وجد أن ١سم٣ يحتوى على ٦٠ مليون ميكروب ممرض وقد شربنا من هذه المياه لمدة ٢٤ ساعة متواصلة وبدون طعام، ويجب أن ننوه هنا أنه لا يوجد تعارض أبداً بين العلم والدين فكان المفروض أن نصاب بالقيء والإسهال عندما شربنا هذه الكميات الكبيرة من المياه الملوثة ولكن لم يحدث. . ومن مشاهدتى فى مواسم الحج السابقة حيث منّ الله على بالحج لمدة اثنى عشرة عاماً متواصلة فقد شاهدت ثلاثة مواسم حج ظهر بها مرض الكوليرا ، وبالنظر فيما حدث فالعلم والتجربة تقول تحت الظروف الصحية والبيئية للحجيج أن يكون نتيجة هذا المرض موت من ٣٠٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف حاج من ٢ مليون حاج فى الموسم على الأقل ولكن لوحظ أن الذين يموتون من هذا المرض هم الحاملين لهذا الميكروب فقط والذين حملوه من بلادهم ولم ينتقل إلى الحجاج الآخرين ونقول لا تنتقل إلى الحجاج الآخرين حيث أن الوسيلة لنقل هذه الميكروبات عند استعمال صنابير مياه زمزم.

٣ - كما يلاحظ أيضاً أن دورات المياه الملاصقة للحرم الشريف وهى داخل الحرم ناحية المروة والقشاشية ناحية الصفا والأخرى ناحية المسفلة يستعملها مئات الآلاف من الحجاج يقضون حاجتهم وبدون غسل أيديهم بالصابون أو خلافه.

ويجب أن نذكر هنا حديث رسول الله ﷺ أن على الإنسان بعدما يقضى حاجته غسل يديه ثلاث مرات بالتراب.

وبالنظر إلى هذا الحديث الشريف يتبين لنا الآتى:

أ - إن فرك اليد بالتراب يزيل ميكانيكياً ما يعلق باليد من الخبث.

ب- إن التراب عند ملامسته بالماء يصبح طيناً وله خاصة التصبن وبالتالى يقلل من الجذب السطحى فيعمل على إزالة الميكروبات والقاذورات من اليد.

جـ- إن التراب يحتوى على معظم المضادات الحيوية التى تنتجها الكائنات الحية الدقيقة مثل البنسلين وبالتالى تعمل على تضعيف وقتل الميكروبات الملوثة للأيدى.

ولذلك فإن عدم غسل الحجاج لأيديهم والتوجه إلى زمزم واستعمال الصنابير مباشرة يجعل من هذه الصنابير أكثر الأماكن تلوثاً بالميكروبات.

وكما سبق أن ذكرت ليس لمياه زمزم أى تلوث لأنها خالية من هذه الكائنات الحية الدقيقة كما أن مياه زمزم تعقم حيث ترفع المياه من زمزم إلى أعلى الحرم وتمر على مرشحات فتنقيها من الرمال ثم تعقم بواسطة الأشعة فوق البنفسجية حتى لا يتغير طعمها ثم تضخ مرة أخرى فى الصنابير التى يستخدمها الحجاج، فيكون التلوث هنا من الحجاج وعدم اتباع سنة رسول الله ﷺ وكما ذكر الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١].

وتحت هذه الظروف فكان من المفروض أن يحدث حالات عديدة من الإسهال وخلافه نتيجة هذه الملوثات ولكن لم يحدث خلال فترة الحج منذ زمن بعيد.

ولذلك وضعت فرضية علمية بناء على ما حدث معى شخصياً وعلى مشاهداتى وبناء على ما هو حادث فعلاً إنه: عندما يلامس ميكروب ممرض مياه زمزم يفقد ضراوته بإذن الله، ليس هذا فحسب فإذا فقد الميكروب الممرض ضراوته أصبح ميكروبا مفيداً حيث ينتج فى الجسم مواد مضادة للميكروبات المرضية (فاكسين) فسبحان الله على قدرته فهو الخالق بيده الأمر كله وأنه على كل شىء قدير.

ب: المحتوى الكيميائى لمياه زمزم:

حللت مياه زمزم كيميائياً على مدى الأيام والأشهر والسنوات لمعرفة محتواها من الأيونات والكاتيونات المختلفة المذكورة فى الجدول الدورى للعناصر.

وبعد دراسة هذه النتائج فإنى أرى أنه لا توجد أى دلالات علمية على المحتوى الكيميائى لمياه زمزم وأثره على شفاء الأمراض.. فلم نلاحظ أن المحتوى الكيميائى له أثر على أعداد البكتريا أو نموها.

وإذا أردنا أن نعرف المحتوى الكيميائى لمياه زمزم لمعرفة تأثيرها فى شفاء الأمراض وخلافه، فقد لوحظ من النتائج والشواهد ما يلى:

أ - لم يحدث ظهور أى أعراض مرضية نتيجة استمرار شرب مياه زمزم وعلى الرغم من محتواها العالى من أيون النترات.

ب- لا يوجد أى علاقة بين التحليل الكيميائى وشفاء الأمراض لأن الأثر هنا هو الإيمان وليس التركيب الكيميائى فعلى سبيل المثال:

لو أن هناك أربعة حجاج مصابين بحصوة الكلى كبيرة ويلزمها إجراء جراحة للتخلص منها وقد شربوا من ماء زمزم للتخلص منها فيكون نتيجة شرب زمزم لمحتواها الكيميائى شفاء الجميع ونزول الحصوة، ولكن لوحظ الآتى:

(١) الأول يشرب زمزم بنية الشفاء وتفتيت هذه الحصوة وبدون إجراء عملية وأنه على يقين بقدرة الله فى الشفاء وأن مياه زمزم وسيلة لذلك واعتقدوا فى سنة رسول الله ﷺ حيث قال«**زمزم طعام طعم وشفاء سقم**» فيشفى بإذن الله وتتفتت الحصوة ولا يحتاج لهذه العملية.

(٢) الثانى شرب زمزم وسأل الله الشفاء بلا اهتمام أو يقين كأنه قالها بلسانه فقط فلا يحدث شيء ولا تتفتت.

(٣) الثالث شرب زمزم ولم يطلب الشفاء فهو كالثانى فلا تتفتت الحصوة.

(٤) الرابع وهو منافق شرب مقلداً وحباً للفضول فقط لمعرفة طعمها مثلا نجد أيضاً أن الحصوة لم تتفتت.

لذلك نقول عند شرب زمزم أن يشرب الحاج أو المعتمر بنية صادقة وبنية أن الله هو الشافى المعافى وأن ماء زمزم ما هى إلا وسيلة وكما قال رسول الله ﷺ فهى طعام طعم للجائع وشفاء سقم للمريض.. على أن يكون طاهراً تقياً فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعائه عندما يدعو الله «اللهم اشفنى من كل داء وسقم ما ظهر منه وما بطن».

(جـ) التركيب الهيدرولوجى:

من المشاهدة أيضاً وتدبرى فى أمر زمزم فإنى وجدت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يجعلها جيب بشكل قدم تصب فيها الماء من مصادر بعيدة كل البعد عن التلوث ونشاطات الإنسان بمصادر الله أعلم بها فى آية من آياته الكونية.

فلو كانت بئر زمزم كالآبار العادية الأرتوازية حيث تخرج الماء من باطن الأرض نتيجة الحفر على أبعاد تتراوح من ١٠ أمتار للمياه الراشحة أو ١٥٠٠ متر للمياه الجيولوچية وبذلك كانت ستعرف نوعية الصخور الحاملة لها ويمكن دراسة كميتها ومصدرها وعمرها وهل هى مياه متجددة أم لا . . وهكذا.

ولكن فى زمزم فلم نعرف عن مصادرها شيئاً ولا كميتها حيث أنها تعطى وفق السحب منها ولها مستوى محدد تقف عنده ولا تزيد إلا فى حالات التلوث . . أليست آية . . سبحان الله.

كما لوحظ أيضاً أنها لو كانت بئراً عادية وحدث تلوث كيميائى أو عضوى ادمصت هذه الملوثات على سطوح حبيبات التربة فى البئر وفى هذه الحالة لا يمكن التخلص منها ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى العيون الأساسية بعيدة عن مصادر التلوث وعند حدوثها تفور وتتخلص منها مباشرة . . كما أن المياه فى البئر تعطى حسب احتياجات الحجيج فإن زادت الأعداد زاد تدفق الماء بقدرة الله العلى القدير، وحيث قال رسول الله ﷺ **«كلما اخذت منها اعطتك»** هذا ويجوز نقل مياه زمزم خارج الحرم حيث أنْ مصدره متجدد بينما لا يجوز خروج أى شىء حتى الحصى من الحرم لأنه غير متجدد.

وقد قدرت كمية المياه المتدفقة من البئر يومياً بمقدار ١١,٥ مليون لتر/يوم.



الباب الرابع

الحج والعمرة فى الإسلام

الباب الرابع
الحج والعمرة فى الإسلام

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران : ٩٧] .

الحج شرعاً هو قصد البيت الحرام فى وقت معين فى مكان معين لأداء أفعال تعبدية على وجه الخصوص كالطواف والسعى والوقوف بعرفات وغيرها .

والحج فى اللغة هو القصد أو القدوم والإهلال إلى بيت الله الحرام والحج ركن من أركان الإسلام الخمس وهو فرض من الفرائض، فمن أنكر وجوبه ارتد عن الإسلام .

والحج هو ركن يختلف عن أركان الإسلام فى حركته فى مواقيت وأماكن معينة وهو اجتماع شامل للمسلمين من كل فج عميق، وهو هجرة إلى الله العلى القدير، وهو طاعة وتجرد من زينة الدنيا من ملابس وروائح وخلافه، هو عدم الرفث والفسوق والطغيان، هو رجم الشيطان الرجيم ورجم النفس الأمارة بالسوء، هو ركن التضحية بالمال والأنعام وجزء من الجسم بلا إراقة دماء، هو ركن الطواف والسعى والحلق والتقصير، هو ركن شرب زمزم والدعاء إلى رب كريم هو الأمان فلا صيد ولا إراقة دماء ولا قطع شجر أو نبات .

هو الوقوف بعرفة لتلقى تجليات رب رؤوف حليم غفور كريم لتتلقى رضوان الله وتقبل الدعاء والأعمال وغفران الذنوب والآثام، وتكون الجائزة الكبرى ترجع من هناك كما ولدتك أمك .

وعن سنة رسول الله ﷺ بين ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**»[رواه البخارى ومسلم] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: « **يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا** »، فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاث. قال: « **لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذرونى ما تركتم فإنما أهلك ما قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم مع أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه**» [رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: « **يا أيها الناس كتب عليكم الحج**» فقام الأقرع بن حابس فقال: أفى كل عام يا رسول الله؟ فقال: «**لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها. الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع**» [رواه ابن ماجه والدارمى وأبو داود والنسائى].

لذلك فالحج واجب على من توفرت فيه شروط وجوبه، والحج مرة فى العمر، وما يزيد فهو تطوع، وقد جاءت الآية الكريمة بحكم فرض الحج بصورة مطلقة لاتحدد مرات الحج.

وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ تحدد هذا الإطلاق وتقيده لمرة واحدة وهى حجة الإسلام حيث أنها الركن بينما الأنواع الأخرى من الحج هى:

أ - حج واجب نتيجة وفاء للنذر.

ب- حج تطوع وهو ما زاد عن حجة الإسلام وحجة النذر.

متى فرض الحج ؟

ثلاث آراء عن زمن فرض الحج فى الإسلام.

أولا: فى السنة السادسة من الهجرة حيث نزلت الآية الكريمة:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[**البقرة** : ١٩٦]

ثانياً : فى السنة التاسعة من الهجرة وهو رأى راجح وهو أول حجة فى الإسلام تحت أمرة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ثالثاً : فى السنة العاشرة من الهجرة حيث حج رسول الله ﷺ وهى حجة الوداع :

شروط وجوب الحج :

وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً فيكون الآذان الأول كان للناس كافة ولكن بعد ظهور الإسلام فالشروط التى يجب توافرها هى :

(١) الإسلام :

لا حج لغير المسلم ويصبح واجب عند إسلامه وإذا أنكره ارتد حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

[**التوبة** : ٢٨]

(٢) البلــوغ :

الحج يكون صحيحاً للإنسان البالغ ولا يجب الحج على الصبى غير المكلف وإن حج فحجه صحيح ولكن لا تسقط عنه حجة الإسلام عندما يبلغ ، كما يصح الحج للصبى المميز وغير المميز .

فقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ لقى ركبا بالروحاء فقال «**من القوم**»؟ فقالوا المسلمون فقالوا : من أنت ؟ «**فقال رسول الله**» ففزعت امرأة

فأخذت بعضد صبى فأخرجته من لحفتها فقالت : يا رسول الله أ لهذا حج؟ **«فقال نعم ولك أجر»** [رواه أحمد والنسائى ومسلم] .

(٣) العقل :

لا يكلف الحج مجنوناً أو معتوهاً ولا يصح عنه لو فعل .

(٤) الحرية :

لا يجوز الحج لعبد، ولو حج صح حجه ولا تسقط عليه حجة الإسلام لو أعتق .

(٥) العلم بفريضة الحج :

وهذا شرط لمن أسلم حديثاً ولا حج عليه إلا إذا بلغ .

(٦) الاستطاعة :

والاستطاعة التى يجب توافرها هى :

أ - القدرة الصحية :

أن يكون المسلم صحيح البدن قادراً على القيام بفرائض الحج وواجباته وألا يكون كبير السن، أو مريضاً مرضاً مزمناً أو عدم استطاعة السفر لأى سبب من الأسباب، ويرى أبو حنيفة أن الحج واجب على الأعمى الذى تتوافر فيه كل الشروط الواجبة ويجب أن يقوده فى الحج مرافق مع القدرة على دفع نفقته .

ب- القدرة المالية :

١ - قدرة المسلم على دفع نفقات الحج وكذلك ترك لمن يعولهم ما يكفى حتى رجوعه إليهم بلا جهد أو تقتير أو تضييق إلا إذا قبل من يعولهم ذلك عن طيب خاطر .

٢ - ويمكن للمسلم أن يحج وهو يعمل بالسعودية أو يقوم بالزيارة أو ما شابه ذلك للأماكن المقدسة .

٣ - والحج يكون واجب ويمكن أن يقدم الزواج عن الحج لو خاف على نفسه الوقوع فى الفاحشة.

٤ - لا يصح الحج لمدين للناس أو كان مديناً إلى الله كالنذر أو زكاة أو كفارة لذلك لا يصح الاقتراض لنفقة الحج لأنه سيكون مديناً للناس فعن عبدالله بن أبى قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الرجل لم يحج أو يستقرض للحج؟ قال: لا»[رواه البيهقى].

وقال الشافعى إن ترك شخص لوالده ما يتمكن به من الحج لزمه ولاضرر يلحقه، وإن كان الباذل قريباً أو أجنبياً وبذل هذه النفقة فإنه لا يصير مستطيعاً.

٥ - لا يصح الحج من مال حرام حيث يرى الإمام أحمد أنه لا يجزئ حيث يقول رسول الله ﷺ: « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا».

ويرى أكثر العلماء إن حج المسلم من مال حرام أجزأه ذلك ولكن بإثم بمعنى أن يسقط الفرض ولكن يلحقه إثم فضلاً عن أنه لا يناله أى ثواب منه.

جـ- الأمـن: أن يكون المسلم الحاج آمناً على نفسه وماله :

١ - يرى المالكية وجوب الحج حتى فى عدم أمان الطريق إلا بدفع رشوة أو إتاوة أو ضريبة ظالما وكان قادراً على دفع الأموال.

٢ - بينما يرى الشافعية أن الرشوة وخلافه عذر يسقط الحج وإن قلت لقول رســول الله ﷺ « لعن الله الراشى والمرتشى » [الترمذى وأبو داود وأحمد].

ولا يصح أن تأخذ حق أخيك فى الحج إن كان هناك قرعة بالرشوة.

٣ - عدم الحج للمحبوس أو المعتقل أو الخوف من سلطان ظالم يمنع الناس من الحج كما كان فى البلاد الشيوعية سابقاً، وهو الآن فى فلسطين المحتلة.

د - عدم استطاعة المرأة الحج إن لم تجد من تحج معه ولا يجب عليها حج .

والرفيق هو الزوج أو المحرم أو مجموعة من النسوة الثقات فى رفقة مأمونة .

وإن أراد المرافق أن تتحمل هى نفقته وجب عليها ذلك إذا كانت قادرة وإن حجت بدون ما سبق الإشارة إليه صحت حجتها وأثمت ، وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء .

يقول الشافعى إنه يجوز فى حجة الإسلام المرافقة تكون امرأة واحدة ثقة أما حج التطوع فلا يجوز الخروج بلا زوجها أو محرم .

والمحرم هو من حرم عليه زواجها مثل الجد والأب والعم والخال والأخ والابن والحفيد وليس من المحارم زوج الأخت أو زوج العمة أو زوج الخالة لأنه تحريم مؤقت وليس تحريماً مؤيداً .

ويجب استئذان الزوج فى حجة الإسلام فإن آذن لها خرجت وإلا خرجت بدون إذنه ولا إثم عليها، وكذلك فى حج النذر فهو واجب لأنه فى درجة حجة الإسلام، أما حج التطوع فلا يجوز لها أن تخرج إلا بإذن وللزوج أن يمنعها .

ولا يجوز للمرأة أن تحج وهى فى عدة الوفاة لأنها مأمورة بملازمة مسكنها كما يرى ذلك الإمام أحمد، أما عدة الطلاق الرجعى فهى فى حكم المتزوجة ويلزم استئذان ، أما فى عدة الطلاق البائن فإنها حرة فلا تمنع من الحج .

زمن وجوب الحج :

عندما يصل الإنسان المسلم إلى سن البلوغ ويكون بكامل عقله وحريته وتوافرت فيه الشروط السابق الإشارة إليها وجب عليه الحج وهناك رأيان فى وجوب الحج وهما :

أولاً : وجوب الحج على الفور:

يجب على المسلم القادر أن يؤدى فريضة الحج فور توافر الشروط اللازمة لحجه ولا يؤخرها وقد أخذ بهذا كل من أبى حنيفة ومالك وأحمد وأبو يوسف وبعض أصحاب الشافعى واستدلوا على ذلك لقول ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:« **من أراد الحج فليعجل ، فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتعرض الحاجة وتكون الحجة**» [رواه أحمد والبيهقى وابن ماجة] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :« **تعجلوا إلى الحج -يعنى الفريضة - فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له**»[رواه أحمد وأبو داود] .

ثانياً : وجوب الحج على التراخى :

ذهب الشافعى والثورى والأوزعى ومحمد بن الحسن أن الحج واجب على التراخى فيؤدى فى أى وقت من العمر ولا يأثم بتأخيره قبل وفاته لأن الرسول ﷺ آخر حجه إلى السنة العاشرة من الهجرة وكان معه أزواجه وكثير من أصحابه مع أن الحج قد فرض فى السنة السادسة من الهجرة ، فلو كان واجب على الفور لما آخر الرسول ﷺ .

وأصحاب هذا الرأى يحملون الأحاديث التى يستند إليها أصحاب الرأى الأول إلى الندب بحيث يكون من المستحب تعجيل الحج والمبادرة به متى استطاع المكلف أداؤه وهل يضمن الإنسان عمره وصحته ورزقه حتى يؤثره عند الاستطاعة؟ وفى زماننا لا يوجد ما يمنع الحج عند الاستطاعة .

وبالنظر إلى ما أثير فى موضوع الحج عن الوجوب والتراخى نجد أن ما يقال أن الحج فى السنة السادسة من الهجرة لا يستحب حيث أن مكة المكرمة كانت أهل كفر وتحيطها الأصنام من كل جانب فكيف للمسلمين أن يحجوا ومن يسمح لهم بذلك وكيف يسجدون أمام الكعبة حيث قد تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، كما أن رسول الله ﷺ قد حبس فى عمرة الحديبية حيث حفظه الله سبحانه وتعالى أن يسجد فى عمرته أمام الكعبة وكانت تحيطها هذه الأصنام .

فيكون الحج قد فرض فى السنة التاسعة للهجرة هو الأفضل حيث تم فتح مكة وأزيلت الأصنام وقد كان أول حج فى الإسلام فى السنة التاسعة للهجرة بإمارة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه بعدما أصبحت مكة المكرمة دار إسلام وسلام.

أما ما قيل أن الرسول ﷺ قد آخر حجه حتى العام العاشر للهجرة فهو أمر من الله سبحانه وتعالى حيث أن الرسول ﷺ لا يتكلم ولا يتحرك فى هذه الأمور الدينية إلا بوحى من الله سبحانه وتعالى فقد ادخر الله سبحانه وتعالى حج سيدنا محمد إلى هذا الميعاد إلى حكمته سبحانه وتعالى، فإذا استحضرنا لحظة حج رسول الله ﷺ نجد الآتى:

ملأت السماوات والأرض بالملائكة ونزل الله سبحانه وتعالى من ملكوته ويباهى ملائكته هؤلاء عبادى جاءونى شعثاً غبراً ضاحين مهللين ملبين مائة ألف حاج مع أفضل خلق الله أجمعين وينزل الروح الأمين على رسول الله ﷺ ويشهد الله والملائكة وأنسه وجنه ومخلوقاته على نزول آخر آية من القرآن العظيم وإنذار بانتهاء نزول الوحى واكتمال الرسالة الإسلامية العظيمة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾[**المائدة**:٣].

عرفنا لماذا آخر الرسول ﷺ الحج للسنة العاشرة حيث كان آخر أيامه مع الوحى ونعى للأمة الإسلامية جميعها للرسول ﷺ وقد علم الرسول بذلك أن أجله قد اقترب وبعد الحج مباشرة مرض مرض الموت وقابل ربه بعد حجه بشهور قليلة.

حكم من مات قبل أن يحج:

حتى لا يموت الإنسان قبل أن يحج حجة الإسلام وهو قادر على مبدأ الحج عن التراخى وتأجيله لأى سبب شرعى يكون كالآتى:

أولاً: القادر على الحج:

من مات وعليه حجة الإسلام وهو مستطيع وجب على ورثته أن يجهزوا من يحج عنه من ماله مثل ديونه سواء بسواء ومثل النذر ولم يحج.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما. ان امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: « إن أمى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أوأحج عنها؟ قال: **«نعم حجى عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا دين الله، فالله أحق بالوفاء»** [البخارى والنسائى وأحمد].

وفى الحديث دليل على وجوب الحج عن الميت الذى استطاع ومات قبل أن يحج سواء أوصى أو لم يوص لأن الدين يجب قضاؤه مطلقاً وكذلك الكفارة والزكاة والنذور ويجب أن تخرج من التركة قبل توزيعها.. هذا ما ذهب إليه كل من ابن عباس وزيد بن ثابت وأبو هريرة والشافعى وأحمد والحسن رضى الله عنهم أجمعين، ومن ظاهر الحديث يدل على أن نفقة الحج تقدم عن سداد دين الآدمى إذا كانت التركة لا تتسع للحج والدين معاً لقول رسول الله ﷺ فالله أحق بالقضاء.

وقال مالك وأبو حنيفة: إينما يحج عن الميت إذا أوصى، أما إذا لم يوص فلا يحج عنه لأن الحج عبادة بدنية تسقط بالموت، وأخذ بهذا الرأى فإن نفقة الحج تخرج من ثلث التركة كلها.

ثانياً: غير القادر على الحج:

يسقط عليه الفرض لأن الأساس هو حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، أما أن وسع الله على أولاده فيمكن لهم الحج عنه كنافلة له وليس لإسقاط فرض كما لو كان قادراً وتأخر الحج حتى الموت.

الحج عن الغير:

اتفق العلماء أن الاستطاعة شرط فى الحج كما بين ذلك من قبل وهذه الاستطاعة منها البدنية وشرطها صحة البدن لوجود الحج وبذلك يكون المشلول والمقعد ومقطوع الأطراف والأعمى وأمثالهم ممن يعجزون عن الحج بأنفسهم لا يجب عليهم حجاً ولا يلزمهم أن يحج الغير عنهم فى حياتهم أو بعد مماتهم بشرط ألا يكونوا قد وجدت عندهم الاستطاعة قبل العجز مثل كبر السن والمرض وخلافه فإن الحج فرض عليهم باتفاق العلماء كما أن عليهم أن يقوموا بتوفير نفقة الحج لغيرهم لأدائها بدلاً عنهم حتى تسقط الفريضة.

وهناك اختلاف فى الرأى بين العلماء فى من قدر على الحج مالياً فى وقت العجز دائماً حتى الموت.

أبى حنيفة والشافعى وأحمد يرون وجوب الحج وما عليه أن يبعث من يحج عنه رجلاً كان أو امرأة ودليلهم حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت: يارسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة؟ فأحج عنه؟ قال: «**نعم**» وذلك فى حجة الوداع. [الترمذى حسن صحيح]. وان بعث مريض بمرض مزمن من يحج عنه وشفاه الله من مرضه بعد ذلك فلايجب عليه الحج مرة أخرى لأن الواجب لا يتكرر حيث سقط عنه حج واجب بإحجاج غيره، هذا رأى أحمد وإسحاق بينما الشافعى والأحناف وابن منذر افتوا بأن يلزمه الحج لأن حج غيره عنه عن بينة إن مرضه ميئوس منه فلما تبين له غير ذلك فيجب عليه الحج بنفسه.

ولا يجوز الحج عن الغير إذا كان حياً إلا بإذنه سواء كان ذلك حجة الإسلام أو نذر أو تطوع لأنها عبادة تصلح فيها الأنابة، أما عن الميت فتجوز عنه بغير إذنه، كما يجوز أن يحج عنه الولى وغيره من الأجانب على الأصح.

ويجوز حج الرجل عن المرأة والعكس لأن النبى ﷺ أمر المرأة أن تحج عن أبيها كما يجوز حج المرأة عن المرأة.

ويشترط من يحج عن الغير أن يكون قد أسقط عن نفسه أولا حجة الإسلام حيث روى ابن عباس رضى الله عنهما أن الرسول ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة فقال ﷺ «**من شبرمة**» **قال أخ لى أو قريب فقال** ﷺ: «**احججت عن نفسك**»؟ قال: لا. قال: «**فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**» [رواه أبو داود وابن ماجة].

ويجوز أن يحج الإنسان عن غيره متطوعاً، كما أنه لا خلاف فى أن يتحمل من أناب غيره بالحج عنه نفقات حجه.

ولا يجوز أخذ الأجر عن الحج للغير خلاف نفقات الحج كما أفتى بذلك أبو حنيفة وإسحاق والزهرى وعطاء ورواية عن أحمد بينما مالك والشافعى وابن المنذر ورواية عن أحمد فقد أجازوا أخذ الأجر خلاف النفقة.

أما من حج تطوعاً ولم يسقط حجة الإسلام أو وفاء النذر فإن الحج صحيح ولكن تحسب كحجة الإسلام أولاً وكذلك من حج تطوعاً وعليه نذر وقع الحج عن النذر لأنه وأجب كحجة الإسلام ويرى ذلك كل من ابن عمر والشافعى وأنس وأحمد بينما يرى مالك والثورى وأبو حنيفة وإسحاق وابن المنذر ورواية عن أحمد أن الحج يقع وفقاً لنية الحاج فإن نوى تطوعاً وقع تطوعاً وإن نوى نذراً وقع نذراً.

وسيلة النقل فى الحج :

أيهما أفضل فى الحج سائراً أم راكباً.

يفضل الحج راكباً أسوة برسول الله ﷺ حيث حج راكباً.. وقد اختلف الفقهاء فى ذلك حيث أقر أفضلية الحج ركوباً الشافعية والأحناف وأكثر الفقهاء.. بينما قال الآخرون المشى أفضل لأن فيه مشقة وبقدرها يكون الأجر كما قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها قالت: يا رسول الله لم يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك فقيل لها : « **انتظرى فإذا طهرت فاخرجى إلى التنعيم فاهلى ثم أئتينا بمكان كذالكنها على قدر نفقتك أو نصبك**» [رواه ومسلم والنسائى وأبو داود].

وروى ابن عباس رضى الله عنهما قوله : ما ندمت على شىء فى شبابى إلا أنى لم أحج ماشياً، وروى أن الحسن ابن على رضى الله عنهما قد حج خمس وعشرين مرة ماشياً.

وفى هذه الأيام يتعذر الحج ماشياً من بلدك ولكن إن أردت الجمع مع الحج راكباً وماشياً، فأنت تصل إلى الحرم راكباً ولكن عندما تؤدى مناسك الحج فيمكن أن يكون حجك ماشياً وهو سهل المنال حيث تحدد قبل يوم التروية مكان الإقامة بمنى مع المطوف أو المسئول عن الحج فى مجموعتك ثم تبدأ الحج بالنفرة من منى يوم التروية ماشياً حتى عرفات ثم تنفر من عرفات ماشياً متخذاً الطريق رقم ١ مشاة وتقف فى

المشعر الحرام وتقضى الليلة فى المزدلفة ثم تنفر فى الصباح إلى منى حيث ترمى الجمرات وتستقر ثم تستكمل مناسك الحج، والمسافات بين هذه المناطق تتراوح ما بين ستة كيلو مترات بين كل مرحلة وأخرى تقريباً . . والله يتقبل حاجاً ماشياً أو راكباً.

ميعاد الحج :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾[البقرة :١٩٧] .

وقد حدد هذه الشهور بأنها أشهر شوال وذى القعدة والعشرة الأوائل من ذى الحجة كل من أبى حنيفة والشافعى فى الجديد وأحمد بينما ذهب كل من مالك والشافعى فى القديم وابن حزم أنها أشهر شوال وذى القعدة وذى الحجة بتمامه وتجمع الأئمة على أن أركان الحج يجب أن تقع فى هذه الأشهر ولم يختلفوا إلا فى الإحرام حيث يرى أبو حنيفة ومالك وأحمد فى جواز الإحرام بالحج قبل هذه الأشهر مع الكراهية.

أركان الحج :

أركان الإسلام خمسة وكل ركن من أركانه له أيضاً أركان فالصلاة لها أركانها والطهارة والوضوء والنية واستقبال القبلة. والصوم له أركان والزكاة لها أركان ، وكذلك للحج أركان ، وأركان الحج فيها ما هو أساسى وما هو واجب وما هو سنة وتعرف على النحو التالى:

١ - الركن الأساسى :

هو الفعل الذى يتوقف عليه صحة الحج ويبطل الحج عند تركه ولا يجيز تركه دم أو صوم أو خلافه . . وهو شرط قوى كالوقوف بعرفة.

٢ - الركن الواجب :

هو ما يصح الحج بدونه مع جبر من تركه أن يضحى بدم سواء تركه عامداً أو سهواً غير أن العامد يأثم بالترك مثل المبيت بمنى أيام التشريق الثلاثة.

٣ - الركن السنة :

هو ما يصح الحج بدونه وتنقسم إلى :

أ – سنة مؤكدة وهى فى مرتبة الواجب وقوته .

ب– سنة غير مؤكدة من تركها فلا إثم عليه فى كمال حجه والأفضل الإتيان بها كالنفرة من منى إلى عرفات .

وأركان الحج هى:

الإحرام – الوقوف بعرفة – السعى – طواف الإفاضة – وهى عند المالكية وأحمد بينما يضيف الشافعى الحلق أو التقصير والترتيب أى تتابع أداء الأركان فلا يسبق ركن ركناً آخر فى الأداء .

كما أن هناك أفعال أخرى يختلف فيها الفقهاء من حيث كونها ركناً أو أقل من الواجب وهى :

الإحرام من الميقات – رمى الجمار – والجمع بين الليل والنهار عند الوقوف بعرفات إذا أمكن ذلك والمبيت بالمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع .

أما السنن وما سبق بيانه فى أركان الحج فسوف تذكر فى حينها مع شرحها .

العمرة فى الإسلام :

تعنى العمرة فى اللغة الزيارة . . زيارة بيت الله الحرام وتعنى العمرة شرعاً زيارة بيت الله الحرام فى أى وقت فى السنة لأداء أفعال تعبدية كالطواف والسعى والحلق أو التقصير .

وهى مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فمن أنكرها فقد كفر وارتد عن الإسلام ، ولذلك نجد العمرة مقرونة بالحج فى الآيتين الآتيتين ولم تفرد آية للعمرة فى القرآن العظيم .

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[البقرة:١٩٦] .

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١٥٨] .

ويرى مالك وأبو حنيفة أن العمرة سنة مؤكدة تؤدى فى العمر مرة على الأقل حيث لم يذكر الله سبحانه وتعالى عندما فرض الحج العمرة.

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران: ٩٧] .

بينما يرى الشافعى وأحمد أنها فرض يؤديها الإنسان مرة فى العمر وذلك لكل من وجب عليه الحج ، وهم يستدلون على ذلك بأدلة كثيرة لم تسلم واحد فيها من مطعن.

ويجوز تكرار العمرة أكثر من مرة فى العام الواحد ويرى ذلك الشافعى وأبو حنيفة وأبو سلمان وابن حزم وقالوا كذلك يستحب الإكثار من العمرة بلا أى عدد محدد - لما فى ذلك فضل عظيم - حيث ورد من أن النبى ﷺ أعمر عائشة رضى الله عنها مرتين فى شهر واحد وعن أنس بن مالك رضى الله عنه كان يعتمر ثم يحلق رأسه وكلما جم رأسه خرج واعتمر.

متى فرضت العمرة :

هى عبادة قديمة مع الحج وقد جاء فرض مشروعيتها فى الإسلام استناداً للتعبد بها فى دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأول ما نزل فيها من القرآن قوله تعالى:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[**البقرة**:١٩٦]

ولكن ذلك فى السنة السادسة للهجرة وهو نفس ميعاد الحج، عندما خرج النبىﷺ من المدينة قاصداً مكة وكانت عمرة الحديبية التى أراد الله بها أن يعقد صلحاً بين المسلمين وكفار قريش، وقد اعتبر الرسول ﷺ أنها عمرة فنحر هديّه وحلق رأسه وتحلل من إحرامه وأمر المسلمين بذلك ففعلوا مثله.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ اعتمر أربع مرات وحج حجة واحدة أداهن جميعاً فى شهر ذى القعدة على القول الصحيح.

الأولى: عمرة الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة.

الثانية: عمرة قضاء عمرة الحديبية تنفيذاً لصلح الحديبية فى السنة السابعة من الهجرة.

الثالثة: عمرة فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة.

الرابعة: عمرة قران فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة.

وقت أداء العمرة:

أداء العمرة جائز بلا كراهية فى جميع أيام السنة قبل الحج وبعده فقد قال ابن عمر رضى الله عنهما: (لا بأس على أحد أن يعتمر قبل الحج فقد اعتمر النبىﷺ قبل الحج) [أخرجه أحمد والبخارى].

ويجوز للمعتمر فى أشهر الحج أن يترك الحرم بدون أن يحج، فقد اعتمر سيدنا عمر رضى الله عنه فى شهر شوال ورجع إلى المدينة دون أن يحج.

ويرى الأحناف أن هناك كراهة للعمرة فى خمسة أيام فى السنة وهى:

يوم عرفة - يوم النحر - وثلاثة أيام التشريق.

أما أفضل أوقات العمرة هى شهر رمضان لحديث النبى ﷺ عندما سألته أم معقل فقال: «**عمرة فى رمضان تعدل حجة**» [رواه أحمد وابن ماجه وأبو داود].

أنواع العمرة:

نجد أن مشروعية العمرة بأنها كالفرض وليست سنة مؤكدة فقط، فأنواع الحج ثلاثة تصنف بناء على وضع العمرة بالنسبة للحج وتقسم العمرة إلى ثلاثة أنواع:

١ - عمرة تطوع : وهى فى أى وقت من السنة كما أنها تتبع الحج المفرد ولا يلزمها نحر هدىّ.

٢ - عمرة تمتع : تؤدى من أوائل شهر شوال حتى يوم الثامن من ذى الحجة، وهى قبل الحج وتؤدى بإحرام خاص وتحلل خاص ويلزم من يؤديها أن يذبح هدىّ وإن لم يستطع فعليه بالصيام.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[**البقرة**: ١٩٦]

٢ - عمرة قران : وتؤدى هذه العمرة مقترنة مع الحج بإحرام واحد وطواف وسعى واحد ولا يتحلل إلا يوم النحر ويلزم ذبح هديّ ، وهى العمرة التى أداها رسول الله ﷺ فى حجة الوداع.

أركان العمرة:

كما للحج أركان فللعمرة أركان أيضاً وهى ثلاثة:

الإحرام – الطواف – السعى بين الصفا والمروة ، وأضاف الشافعى الحلق أو التقصير .

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام حيث قال رسول الله ﷺ : «**أركان الإسلام خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان** »[رواه البخارى ومسلم] .

وعلاوة على أن الحج والعمرة من الفرائض التى ذكرت بالقرآن العظيم بالتفصيل إلا أن هناك أحاديث نبوية شريفة عديدة تحث المسلمين على أداء هذه الفريضة ، ووجوب أدائها على الفور وفضل الحج والعمرة نذكر فيها :

فضل الحج والعمرة :

روى ابن جريج بإسناد حسن عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ : « **هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإذا رده رده بأجر وغنيمة**» .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم**» [رواه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما] .

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:« **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كما ولدته أمه**»[رواه البخارى ومسلم] .

الحج المبرور :

الحج المبرور هو الحج الذى لا يخالطه إثم وعلامته أن يعود الحاج وقد تزود بالتقوى فلا يدع أمر يحبه الله ورسوله إلا فعله ولا أمر يبغضه الله ورسوله إلا اجتنبه وهناك أحاديث كثيرة تتناول الحج المبرور وهى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أى العمل أفضل؟ قال : «**إيمان بالله ورسوله**» قيل : ثم ماذا؟ ، قال : «**جهاد فى سبيل الله**» قيل : ثم ماذا؟ ! قال : « **حج مبرور**» [رواه البخارى ومسلم] .

وعن ابن حبان فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال:« **أفضل الأعمال إيمان لا شك فيه وغزو لا غلول فيه وحج مبرور**».

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« **تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينقيان الفقر والذنوب كما ينقى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[رواه الترمذى].

عن ابن هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« **العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما والحج المبرور ليس له جزءا إلا الجنة**»[رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة].

وزاد الأصفهانى على ما تقدم «**وما سبح من تسبيحة ولا هلل من تهليلة ولا كبر من تكبيرة إلا بشر بها تبشيرة**».

وعن جابر رضى الله عنه قال عن النبى ﷺ قال:« **الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»، قيل : ومابره قال:« **إطعام الطعام وطيب الكلام**»[رواه أحمد والطبرانى بإسناد حسن].

الحج جهاد الضعفاء والنساء:

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد؟ قال:« **لكن أفضل الجهاد الحج المبرور**» [رواه البخارى ومسلم ورواه ابن خزيمة فى صحيحه ولفظه قالت: قلت يارسول الله هل للنساء من جهاد؟ قال: «**عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة**».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: عن الرسول ﷺ قال:«**جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة**» [رواه النسائى وأحمد بإسناد حسن].

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى جبان وإنى ضعيف فقال:« **هم إلى جهاد لا شوكة فيه الحج**» [رواه عبدالرازق والطبرانى].

الحج يجب ما قبله :

عن ابن شماسة رضى الله عنه قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سباق الموت فبكى طويلاً وقال: فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أبسط يمينك لأبايعك . فبسط يده فقبضت يدى فقال: **«مالك يا عمرو؟»** قال: أردت أن أشترط قال: **«تشترط ماذا؟»** قال: أن يغفر لى، قال: **« أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما قبله»**[رواه ابن خزيمة فى صحيحه مختصرا ورواه مسلم مطولا ورواه أحمد] .

العمرة فى رمضان :

العمرة فى رمضان تعدل حجة تطوع ولا تسقط حجة الإسلام فعن ابن عباس رضى الله عنهم قال: أن النبى ﷺ قال: **« عمرة فى رمضان تعدل حجة»** [رواه أحمد وابن ماجه] والحج والعمرة متلازمان فى القرآن العظيم فمن حج البيت أو اعتمر ومن تمتع بالعمرة إلى الحج . . كما نجد أن أعمال العمرة مشتركة فى بدايتها مع أعمال الحج ولافرق بينهما كالإحرام ومحظوراته ، التلبية، الطواف، السعى بين الصفا والمروة ، والحلق والتقصير، وتزيد أعمال الحج عن العمرة بالمبيت بمنى والوقوف بعرفة ورمى الجمار وذبح الهدىّ إن وجب وطواف الإفاضة .

كذلك نجد أن أنواع الحج الثلاثة قد ارتبطت بالعمرة فى أشهر الحج وارتبط أيضاً وجوب ذبح هدىّ من عدمه واختلاف وقت التحلل من الإحرام وذلك فى أشهر الحج .

فالحج المفرد حج يتبعه عمرة تطوع وليس عليه ذبح هدىّ ويتحلل يوم النحر .



الباب الخامس

مناسك الحج والعمرة

الباب الخامس
مناسك الحج والعمرة

مناسك هى جمع منسك.

والمنسك هى العبادة والطاعة ويقول ابن عباس رضى الله عنهما أى المنسك أو الشريعة والمنهاج لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨] وهى أعمال العبادات أو أعمال ركن من أركان العبادة حيث قالا سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾[البقرة:١٢٨].

وكذلك أوحى الله سبحانه وتعالى إلى كل نبى من الأنبياء ولكل أمة من الأمم شرائعهم ومنهاج تعبدهم حيث قال سبحانه:

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾[الحج:٦٧].

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾

[الأنعام:٣٤].

ونؤكد هذا أيضاً أن المناسك هى الأعمال التعبدية والمنهاج.

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

[البقرة:٢٠٠]

ولذلك سنتناول فى هذا الباب مناسك الحج والعمرة وهى الأعمال التعبدية الخاصة بهذا الركن الأساسى فى الإسلام وهى فى الموضوعات التالية:

١ - الإحرام.

٢ - الطواف .

٣ - السعى بين الصفا والمروة .

٤ - الحج .

أ - من يوم التروية إلى يوم النحر :

(١) المبيت بمنى .

(٢) الوقوف بعرفة .

(٣) المبيت بالمزدلفة .

ب- من فجر يوم النحر حتى طواف الإفاضة :

(١) أعمال يوم النحر .

(أ) رمى الجمرة الكبرى .

(ب) نحر الهدىّ .

(جـ) الحلق أو التقصير .

(د) التحلل الأصغر .

(هـ) طواف الإفاضة .

(و) التحلل الأكبر .

(٢) أعمال أيام التشريق .

(أ) رمى الجمار أيام التشريق .

(ب) النفرة من منى .

(جـ) طواف الوداع .

أولاً : الإحرام :

لم يتجلى الله سبحانه وتعالى لأحد من خلقه إلا لرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وذلك عند سدرة المنتهى فى يوم أسرى به إلى بيت المقدس ثم أعرج به عليه

الصلاة والسلام بصحبة الروح الأمين حتى وصلا إلى سدرة المنتهى وعند هذا الموقف العظيم قال سيدنا جبريل لصاحبه الأمين.

إنى إذا اخترقت احترقت.

أما أنت إذا اخترقت اقتربت ، وقد كان.

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾[النجم:١١-١٨].

وفى هذا المكان العظيم كان رسول الله ﷺ نوراً بطاقة أكبر من نور سيدنا جبريل عليه السلام حتى يصل إلى هذه المنزلة الكبرى.

كما أن الله سبحانه وتعالى يتجلى أيضاً على عباده الممتثلين لأوامره وأطاعوا رسله وجاءوا إليه شعثاً غبراً ضاحين ابتغاء مرضاته فيشهد ملائكته إنه سبحانه وتعالى قد غفر لهم.

ولكى نتقبل هذه الهدية الكبرى من الله سبحانه وتعالى ونستقبل تجلياته فى هذا الموقف العظيم ولاستقبال أجمل هدية فى الوجود من رب غفور ودود . . لذا وجب على المسلم الذى يريد أن يحج أو يعتمر أن يجهز طبقاً لمناسك قد فرضها الله علينا وبينها لنا فى قرآنه العظيم وسنة نبيه الكريم ﷺ وهى مناسك معينة بطريقة معينة وبتلبية معينة وفى أماكن معينة وأزمنة معينة بل فى ساعات من ليل أو نهار معين منذ عهد سيدنا إبراهيم الخليل وإسماعيل الحليم حيث دعا ربهما وقالا: « ربنا أرنا مناسكنا وتب علينا» واستكملت هذه المناسك وصححت وأضحيت خالية من كل شوائب الأزمان الغابرة إلى يوم الدين فى رسالة أفضل خلق الله أجمعين المرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه الصلاة وأفضل التسليم وذلك أيضاً استجابة دعوة الخليل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حيث دعا الله سبحانه وتعالى ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

ولكى يجهز الإنسان المسلم لهذا الموقف العظيم سنذكرها ملخصة فى هذا المقام حيث ستذكر بالتفصيل فى حينها إن شاء الله رب العالمين حتى يكون الموضوع

متكاملاً وبلا تكرار . . فيبدأ المعتمر أو الحاج بقص شعر رأسه وإزالة شعر العانة والأبط وحف الشارب والاستحمام بنية الإحرام والتطيب قبل الإحرام ولبس ملابس الإحرام وصلاة ركعتى سنة الإحرام ثم تحديد النسك عمرة أو حجاً ونوع الحج الذى سيؤديه ثم يحرم جسده وشعره وجلده بصيغة معينة ثم يلبى بصيغة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

الإحرام هو الركن الأول من أركان الحج والعمرة ولا يصح حج أو عمرة بدونه لقول الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[البينة : ٥] .

والحديث رسول الله ﷺ حيث قال: «**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى**» [رواه السبعة]

وقد أجمع العلماء على وجوب النية وفرضيتها فى الحج والعمرة كما يحدث فى نية الصلاة والزكاة والصوم . . فجميع الفرائض لا تستكمل إلا بالنية لإثبات صحتها .

ويعرف الإحرام بنية الحج والعمرة أو كلاهما معا هذا ما ذكره كل من مالك والشافعى وأحمد .

وتعرف النية :

أ - عقد النية وما يراد أدائه من نسك كعمرة أو نوع الحج المراد أدائه .

ب- التلبية بصيغة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهى لبيك اللهم لبيك . . والتلبية هى أحد أركان الحج والعمرة المتواردة من عهد سيدنا إبراهيم وإسماعيل عندما طلبا من الله عز وجل أن : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ لذلك نجد التلبية على ملة إبراهيم حنيفاً وهى لا إله إلا الله والحمد لله . . والتلبية من لبيك بمنزلة التهليل من لا إله إلا الله ، ومعنى لبيك أى دوام الطاعة ، دوماً على طاعتك يا الله ، والتلبية هى إعلان من المسلم بأنه سمع آذان سيدنا إبراهيم بالحج ملبياً لآذانه ممتثلاً

لأوامر الله سبحانه وتعالى ومتبعاً سنة رسوله الكريم محمدﷺ لأداء كل ركن من أركان الإسلام حجا إلى بيت الله الحرام ويرجو رحمته ويخشى عذابه.. مقراً بوحدانية الله فى الوجود فلا شريك له ولا صاحبة ولا ولدا ولا شريك له فى ملكه من مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض أحد.

حكم التلبية:

أجمع الفقهاء على أن التلبية مشروعة فى الحج والعمرة، وعن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول« **يا آل محمد من حج منكم فليهل فى حجه أو حجته»** [رواه أحمد وابن حبان].

ويرى الشافعى وأحمد أن التلبية سنة، ويستحب أن تتصل بالإحرام.. فلو نوى المحرم النسك ولم يلب صح نسكه دون أن يلزمه شىء لأن الإحرام عندها ينعقد بمجرد النية بينما يرى الأحناف أن التلبية شرط.. فلو أحرم المسلم ولم يلبى فلا إحرام له، أما مالك فيرى أن التلبية واجب يلزم تركها دم.

فضل التلبية:

التلبية هى النية وهى بدء الدخول فى النسك وفضل التلبية عظيم فى مناسك الحج والعمرة وقد بينت أحاديث رسول الله ﷺ فضلها فى الأحاديث الآتية:

عن سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال« **ما من ملب يلبى الا يلبى من على يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا»**

[رواه ابن ماجة والبيهقى والترمذى والحاكم]

عن ابن ماجة عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من محرم يضحى لله يومه يلبى حتى تغيب الشمس إلا غابت ذنوبه فعاد كما ولدته أمه»**

[رواه ابن ماجة]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« ما أهل مهل قط إلا بشر ولا كبر مكبر قط إلا بشر»** قيل: يانبى الله بالجنة، قال: **«نعم»** [رواه الطبرانى].

وقت التلبية :

رأى جمهور الفقهاء أن وقت التلبية الثابت عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فى الحج من وقت الإحرام إلى وقت رمى الجمرة الكبرى، أما العمرة فوقت التلبية من الإحرام حتى استلام الحجر الأسود، فيقطع التلبية هذا هو رأى أبى حنيفة والشافعى وأحمد وجمهور الفقهاء.

ويلبى الحاج أو المعتمر باستمرار، وعند الانتقال من حال إلى حال فيلبى عند:

١ - عقب كل صلاة.

٢ - إذا ارتفع الحاج من مكان أو هبط منه وعند ركوبه وسائل المواصلات والنزول منها.

٣ - عند مقابلة إخوانه من الحجاج.

٤ - إذا دخل فى وقت السحر.

٥ - عندما يعجبه شىء يقول لبيك إن العيش عيش الآخرة.

الجهر بالتلبية :

يستحب الجهر بالتلبية وليس فى ذلك رياء.

فعن زياد بن خالد أن النبى ﷺ قال: « **جاءنى جبريل عليه السلام فقال: مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج**» [رواه ابن ماجة وأحمد وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح الإسناد].

ويستحب رفع الصوت فى التلبية فى كل مكان، رفعاً لا يضر بالملبى ولا بغيره وهذا ما ذهب به مالك وأبو حنيفة والشافعى فى الجديد وابن حزم.

ويكره للمرأة أن ترفع صوتها بالتلبية، وإنما عليها أن تلبى فتسمع صوتها ومن يليها ويرى ابن حزم أن المرأة ترفع صوتها بالتلبية كالرجل. وساق أدلة على ذلك: بأن رفعت أمهات المؤمنين أصواتهن، كما رفعت السيدة عائشة رضى الله عنها صوتها بالتلبية، وذكر أن ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم من أن المرأة لاترفع صوتها بالتلبية لا يصح كدليل.

لفظ التلبية:

هو اللفظ المتوارد من سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهى:

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

قال نافع إن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما زاد على ذلك: لبيك.. لبيك.. لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل.

وقد استحب العلماء جميعا الاقتصار على تلبية رسول الله ﷺ واختلفوا فى الزيادة وأجمعوا على أنه لا توجد كراهة فى الزيادة لأن صيغة التلبية عن رسول الله ﷺ ليست واحدة وكان رسول الله ﷺ يسمع الزيادة من أصحابه ولا يقول شيئاً[رواه أبو داود والبيهقى].

أنواع الإحرام:

النية بالإحرام تكون بالقلب والعقل وتهيئة النفس واستحضار بيت الله أمامك وذلك قبل النطق باللسان.. فجميع خلايا جسدك والتى تشع بنور الله فهى كائنات مسبحة بذاتها تفرح لأنها ستؤدى هذا النسك معك لذلك وجب عليك أن تحدد ما تريده وتعرف ما أنت مقبل عليه.

وللإحرام أنواع تختلف باختلاف النسك الذى تريد أن تؤديه:

١	الإحرام بالحج وحده	منفرداً	يتبعه عمرة
٢	الإحرام بالحج مقروناً بالعمرة	قارناً	حج مقرون بعمرة
٣	الإحرام بالحج مقروناً بالعمرة	متمتعاً	عمرة تسبق الحج ثم الحج
٤	الإحرام بعمرة فقط	—	ليس لها علاقة بأعمال الحج

واختلف الفقهاء فى أفضلية نوع الحج الإفراد أم القران أم التمتع ، وكل له وجهة نظر مختلفة ، وأقوى الآراء وأيسرها وأسهلها على غير القادرين على أن يسوق الهدى معه يكون حج التمتع هو الذى له الأفضلية يليه القران ثم الإفراد.

وحج التمتع هو الذى تمناه الرسول ﷺ وأمر به أصحابه الذين لم يسوقوا معهم الهدىّ وهو الأسهل للمصريين وأمثالنا ممن لا يستطيعوا أن يسوقوا الهدىّ من بلادهم، بينما يرجح الآخرون أن القران أفضل لمن ساق الهدى معه وذلك تأسياً بعمل رسول الله ﷺ فى حجته الوحيدة «وهى حجة الوداع» ويكون إحرام أهل مكة بالحج فقط وليس عليهم إحرام بقران ولا إحرام بتمتع وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[**البقرة**:١٩٦]

ويرى مالك والشافعى وأحمد يجوز للمكى أن يتمتع ويقرن بدون كراهة ولا شىء عليه.

كما أن أهل مكة لهم أن يحرموا بعمرة من مكة مباشرة.

وينوى المحرم بما يريده من عمرة أو خلافه بقلبه وجسده وعقله ونفسه وأخيراً بلسانه مهللاً اللهم إنى أريد العمرة « أو تسمى ما تريد أداءه من النسك» فيسرها لى وتقبلها منى ثم يلبى بالصيغة صيغة التلبية ثم يصلى على رسول الله ﷺ بما شاء من الدعاء لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نصلى على النبىﷺ.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[**الأحزاب** : ٥٦].

كما أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلى على رسله.

﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الصافات : ١٨١ ، ١٨٢].

كما أبلغنا الله سبحانه وتعالى فى سورة غافر أن ملائكته وحملة عرشه والحافين حول عرشه يستغفروا لنا كما يدعو لنا عند الله سبحانه وتعالى بالمغفرة ودخول جناته فالأحرى بنا أيضاً أن نصلى عليهم.

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[غافر :٧-٩].

فتكون صلاتك على النبى ﷺ مقرونة بصلاتك على الأنبياء والرسل وملائكته أجمعين.

صيغة الإحرام:

بعد تحديد نوع الحج أو العمرة أو كلاهما يهل كما سبق أن بيناه فى لفظة التلبيَة عن رسول الله ﷺ

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

اللهم إنى أحرم لك شعرى وجلدى ودمى وخلايا جسدى وقلبى وصدرى وعقلى ونفسى عن كل شىء حرمته على المحرم.

اللهم إنى أحرم لك شعرى وجسدى من المسك والطيب وكل شىء حرمته على المحرم ابتغى ذلك وجهك الكريم.

اللهم إنى أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك وغضبك والنار.

اللهم اجعلنى من الذين استجابوا لك ولرسوك فآمنوا بك ووفوا بعهدك ووثقوا بوعدك واتبعوا أوامرك.

اللهم اجعلنى من وفدك الذين رضيت عليهم.

اللهم يسر لى أداء ما نويت وتقبل منى يا كريم ما أديت واعنى على مناسكك على الوجه الذى يرضيك.

اللهم اجعل ذرات جسدى وعقلى ونفسى مسبحة بحمدك ومسبحة بـ لا إله إلا الله مع سمواتك وأرضك وجبالك وما بينهما وما تحت الثرى حتى أذوب فى ملكوتك وأكون من منظومة المسبحين من خلقك إلى يوم الدين.

اللهم صل وسلم وبارك على أفضل خلق الله أجمعين والمرسل رحمة للعاملين وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه، وعلى جميع أنبيائك ورسلك آدم وإدريس ونوح وهود وصالحاً وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ويوسف، وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وذى النون وذا الكفل، وأيوب واليسع وآل ياسين، وآل عمران وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم والخاتم محمد وعلى جميع ملائكتك وحملة عرشك والحافين فيه حول عرشك وملائكتك المقربين.

اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين أنك حميد مجيد.

الاشتراط عند الإحرام :

الاشتراط فى الإحرام أن يقول من يريد الإحرام

اللهم إنى أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج معاً ومحلى حيث تحبسنى .

ويكفى هذا الاشتراط منطوقاً وملفوظاً عند الإحرام ومعنى هذا أنه ينوى ما يريد أداءه من حج أو عمرة على أن يكون له فك الإحرام أو التحلل منه والخروج من النسك فى أى مكان يحبس فيه ويمنع عن إتمام النسك ، وهو جائز أكان المشترط فى العمرة حاجاً مفرداً أو متمتعاً أو قارناً . . لقول سيدتنا عائشة رضى الله عنها : دخل رسول الله ﷺ على صياغة بنت الزبير فقال لها: « **اردت حجا ؟** » قالت : والله ما أجدنى إلا وجعت . فقال لها : « **حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى** » [البخارى والنسائى وأحمد] .

وإن نوى الإحرام وفى نيته الاشتراط ولم يتلفظ به فقال البعض بصحته وقال الآخرون ببطلان الاشتراط مع صحة الإحرام .

الإطلاق فى الإحرام :

مما سبق ذكره من ذكر نوع الإحرام ، وما ينوى المحرم بما سيلتزم به من عمرة أو حج أو كلاهما معاً يسمى ذلك بالتعيين فى الإحرام .

وهو مستحب عند مالك والشافعى وأحمد لأن النبى ﷺ عين عند إحرامه وأرشد الصحابة إلى التعيين وهناك من يريد أن ينوى أن يصير محرماً صائحاً لأداء النسك سواء أكان هذا النسك حجاً أو عمرة أو هما معاً دون تغيير واحد منها وهى ما يسمى «الإطلاق فى الإحرام» وهو جائز وينعقد به الإحرام صحيحاً ، لأن الإحرام يصح مع الإيهام فيصبح من باب أولى على الإطلاق .

وبعد أن يحرم إحراماً مطلقاً يصير المحرم مخيراً فى أن يصرف لإحرام بعد ذلك إلى أى نسك يريد أداءه قبل البدء فى أى عمل آخر ، ولا يعتد بأى عمل إلا بعد التعيين ، فلو أنه بدأ الطواف مثلاً قبل أن يعين ويصرف الإحرام إلى ما يريد بطل الطواف ويكون عليه التعيين أولاً ثم إعادة الطواف من جديد .

تغيير نية الإحرام :

من أحرم بنية نسك معين وأراد العدول عنه إلى نسك آخر فلابأس من ذلك بشرط أن يكون العدول قبل طواف القدوم وألا فلا يجوز . . كما أحرم بالحج مفرداً ثم أراد أن يتمتع أو يقرن أو بالعكس . . الإحرام بعمرة وحدها .

تؤدىَ العمرة فى أى وقت من السنة غير أشهر الحج ويمكن أن تؤدى فى أشهر الحج بدون أداء فريضة الحج وكذلك تؤدى بعد أعمال الحج سواء حجاً مفرداً أو مقترناً أو متمتعاً .

وينوى المحرم بالعمرة كما سبق أن بينا ويقول اللهم إنى أريد العمرة فيسرها لى وتقبلها منى ثم يلبى ويستكمل كما سبق أن ذكرنا فى صيغة الإحرام ثم يصلى على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

أماكن الإحرام للحج والعمرة :

وهى الأماكن التى يحرم منها من يريد الحج أو العمرة أو هما معاً ولا يجوز تجاوزهما دون أن يحرم ويدخل فى النسك من النية والإحرام . . وخلافه كما أن للحج مواقيت زمانية هى أشهر الحج فإن للحج والعمرة مواقيت مكانية وقد بينها رسول الله ﷺ وهى خمسة أماكن وهى ملخصة شكل (٤) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: وقّتَ رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الخليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم، فهن لهن ولمن أتى من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة، فمن أراد دونهن فَهُهِلُّهُ من أهله وكذلك حتى أهْلُ مكة منها . [صحيح البخارى] .

١ - **ذو الحليفة «أبيار على» :** ميقات أهل المدينة وكل من يمر به وهو موقع فى الجنوب الغربى للمدينة ويبعد عن المسجد النبوى الشريف ١٥ كم وشمال مكة المكرمة ٤٥٠ كم ومنه أحرم الرسول ﷺ .

٢ - **الجحفة «رابغ» :** وهو ميقات أهل مصر والشام والشمال الأفريقى وهو موقع على الساحل الشرقى للبحر الأحمر وتبعد عن مكة المكرمة ٢٠٤كم .

٣ - ذات عرق : ميقات أهل العراق وهو فى الشمال الشرقى لمكة المكرمة وتبعد ١٠٠كم من مكة .

(٤) قرن المنازل : ميقات أهل نجد والكويت والإمارات ومن سلك طريقهم وهو جبل مطل على عرفات شرق مكة يميل قليلاً إلى الشمال وهو على بعد ٩٤كم من مكة .

(٥) يلملم : وهو ميقات أهل اليمن ومن سلك طريقهم وهو جبل جنوب مكة على بعد ٩٤ كم من مكة .

ومن سلك طريقاً برياً أو بحرياً أو جوياً بين ميقاتين فعليه أن يجتهد ويحرم إذا حاذى أى منهما والأبعد من مكة أولى بالإحرام منه بينما يرى ابن حزم إن كان الإنسان طريقه لا يمر بهذه المواقيت فليحرم حيث يشاء براً أو بحراً .

وإحرام أهل مكة والمغتربين عنها وكذلك المتواجدين بها وأراد الحج فإنه يحرم من حيث هو لا يذهب إلى الميقات ويستوى فى ذلك من كان داخل الحرم ومن كان خارجه أما فى حالة العمرة فيحرم حيث هو إن كان فى الحل أما إذا كان فى الحرم فوجب عليه أن يخرج للحل ويحرم منه وأقرب مكان حل بمكة المكرمة هو «التنعيم» ويبعد ٦ كم من مكة وتقع شمالاً (طريق المدينة) .

ويمكن دخول مكة لغير الحاج أو المعتمر وكذلك يجاوز الميقات إن كان له حاجة عمل فى الحرم ولا إحرام عليه لمن كان خارج الميقات أما إن كان من مكان الميقات فإنه أيضاً يحل له دخول مكة بدون إحرام وحدود الحرم :

الجهـة	حدود الحرم
حد الحرم من جهة المدينة	التنعيم
حد الحرم من جهة اليمن	العكيشية «إضاءة لبن»
حد الحرم من جهة الطائف	بطن نمرة «ذات السليم»
حد الحرم من جهة العراق	المقطع «ثنية الخل»
حد الحرم من جهة جـدة	الحديبية
حد الحرم من جهة الجعرانة	المستوفرة

وبالنظر إلى وقت ومكان وجوب التلبية والإحرام نجدها تبدأ من المواقيت المكانية آبيار على، يلملم، رابغ . . وبدراسة المسافات بين مكة المكرمة وهذه الأعلام نجد أقل مسافة بينهما هى ٩٤ كم وهى متوسط المسافة بين ثلاث نقاط من خمس.

فإذا درسنا سرعة الجمل منذ عهد الرسول ﷺ لقطع هذه المسافة ٩٤ كم نجد أن الجمل يقطعها فى عشر ساعات على الأقل، وهى المسافة التى لا بد أن يلبى فيها المعتمر أو الحاج بدون انقطاع حتى يصل إلى الكعبة المشرفة إذا كان معتمراً أو أكثر من ذلك إذا كان حاجاً.

وكما سبق أن بين لنا رسول الله ﷺ أن الحجر والشجر المدر يلبى مع الحاج فقد ذكر الله سبحانه وتعالى لنا فى القرآن العظيم:

﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً** ﴾[الإسراء:٤٤].

لذلك نجد أن خلايا أجسامنا كلها مسبحة وملبية بذاتها حتى جسد الكافر والمشرك بينما لا يسبح فى جسم الإنسان هو العقل والنفس فقط.

﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ**

وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[الكهف: ٢٩، ٣٠].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾[البقرة: ١٥١، ١٥٢].

وكما علمنا الله سبحانه وتعالى أن العقل فى القلب والعقل هو الأمانة وهو المنوط بالإيمان وحث النفس على الفضائل والتقوى ويعمل العقل على تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى.

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران: ١٧٩].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[الحج: ٤٦].

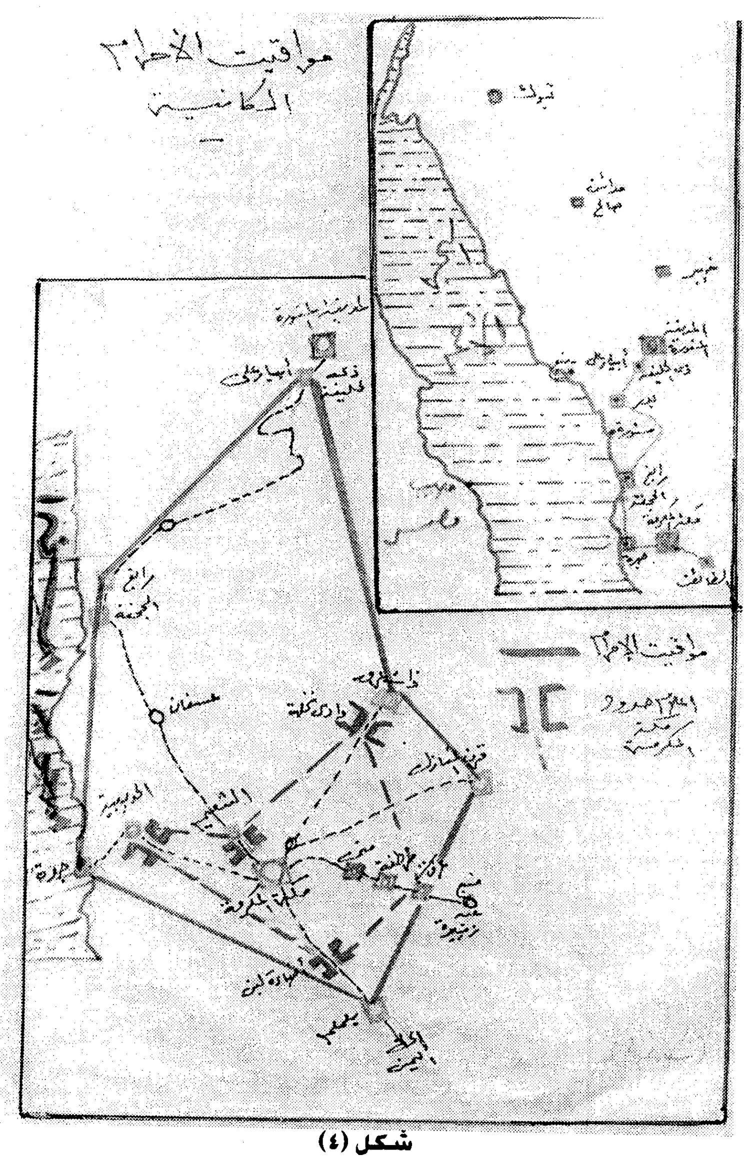
وكما علمنا الله سبحانه وتعالى فى قرآنه العظيم أيضاً أن الإنسان له قلب واحد وعقل واحد.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[الأحزاب: ٤].

ولذلك نجد أن العقل فى الإنسان دائماً مشغول بالدنيا بما توسوس به نفسه وعدم الذكر مع الشرك الأصغر وكل الأعمال التى لا يرضاها الله سبحانه وتعالى.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[الشمس: ٧، ٨].

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[الكهف: ٢٨].



شكل (٤)
مواقيت الإحرام المكانية

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[آل عمران : ٨] .

وكما أن الله سبحانه وتعالى ألهم النفس الفجور وألبسها لباس التقوى ومن تعرى من لباس التقوى يتعرى من لباس البدن فويل للإنسان من الفجور وكذلك يحذرنا الله سبحانه وتعالى فى الحج والعمرة من الرفث والفجور والجدال فى الحج .

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾[البقرة :١٩٧] .

وبالتدبر فى صيغ التلبية والإحرام نجدها إقرار من الإنسان الحاج بعبوديته الكاملة لله وحده وإعلاناً بوحدانية الله وأن الملك لله وحده والحمد لله وحده .

كما يحرم الإنسان شعره وبشرته ودمه وأقول هنا جميع خلايا جسده وكذلك عقله ونفسه فى كل شىء حرمه الله على المحرم لذلك عند نطق الإنسان بالتحريم والتلبية تكون جميع خلايا جسده قد لبت معه ودخلت فى النسك كل خلية بذاتها وكذلك النفس والعقل وبذلك يكون جسدك كالحرم محرماً كحرمة مكة المكرمة والدليل على ذلك أن منطقة الحرم بمكة يحرم فيها قتل أى شىء إلا الفواسق الخمس -سيذكر ذلك فى حينه- كما لا يقطع منها أو يخلع أى نبات فكل كائن حى فى الحرم آمن وإذا قتل إنسان أى شىء فى الحرم أو اقتلع نباتاً يسمى ذلك جريمة ويعاقب بذبح هدىّ ليذوق وبال عمله ، وهكذا المحرم إذا قص ظفراً أو قلع شعراً من رأسه فقد أتى جريمة يستحق عليها ذبح هدى للحرم أيضاً وذلك لأنه قد قتل خلايا من جسده أو قلع شعراً قد دخلت فى النسك لبت معك وبالتالى فلا يحق لك بعد ذلك أن تمنعه أو تخرجه من هذا الفضل العظيم .

والدليل الآخر على ذلك أن الوطء (وهو عملية جماع الإنسان بزوجته) حلال فيما عدا وقت الإحرام حيث بعتبر جريمة كبرى وذلك لخروج ملايين الملايين من خلايا جسد كل من الزوج والزوجة من مناسك الحج والتلبية مجبرين عند هذا

الجماع، ولذلك نرى المشرع يقول يفسد الحج ويستكمل ويذبح كل منهما بدن ويعاد الحج فى السنة التالية ويفرق بينهما فى رحلة الحج حتى لا يتكرر هذا الجرم مرة أخرى. . أليس هذا داعياً لنا أن نعرف أن خلايا جسدنا كلها تدخل فى هذا النسك وتصبح مهللة ملبية مسبحة للّه رب العالمين ولذلك يكون خروجها من هذا النسك بالوطء جرماً عظيماً.

والدليل أيضاً من سنة الرسول ﷺ حيث أبلغنا أن الحجر والشجر والمدر تلبى معك عند مرورك عليها. . أليس أولى بهذه التلبية وهذا التهليل خلايا جسدك وشعرك ودمك وعقلك .

ألا ترى معى الآن بالإحرام والتلبية أصبح جسدك كله حرماً آمناً لا يجوز لك أن تقتل خلية أو تخلع شعراً أو تؤذى عضواً من جسدك . . سبحان الله الذى سبح له كل شىء فى الوجود إلا الإنسان كان ظلوماً جهولاً، وذلك لإغفال القلوب والعقول عن ذكر الله وفجور النفس والفسوق والعصيان والنسيان غواية من الشيطان الرجيم.

﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾[الإسراء: ٤٤].

لذا كان لزاماً للحاج والمعتمر التلبية للمدة التى يستغرقها المعتمر أو الحاج من وقت الإحرام حتى يصل إلى مكة المكرمة كما سبق أن ذكرنا ١٠ ساعات على الأقل حتى يتم إزاحة ما فى قلب الإنسان ونفسه من شرك أصغر وفسوق وفجور وعصيان ونسيان أمر الدنيا وما فيها من أموال وأزواج وأولاد ويحل محلهم جميعاً تلبية جميلة يشارك فيها اللسان بالقول وبالسمع وبالعقل وبالنفس وبجميع الجوارح تلبى وتقر أن الله واحد والملك له وحده لا شريك له. . وأن الحمد لله وحده متناغماً ومتناسقاً ومتوائماً مع جميع خلايا جسدك المسبحة بذاتها والتى لبت معك فهللت لدخولها فى هذا النسك العظيم وتكون بذلك قد جهزت حتى إذا وصلت الكعبة المشرفة تدخل فى منظومة جميع مخلوقات الله المسبحة بذاتها فى ملكوت السماوات والأرض.

آداب الإحرام :

مما سبق وجدنا أن الإحرام والنطق به يدخل جسدك كله فى النسك وتصبح حرما متحركاً لذلك يتطلب مراعاة الآداب والمتطلبات التى يجب مراعاتها فى الإحرام وما يباح لك وما هو المحظور حتى يكون نسكك سليماً بلا شوائب أو مخالفات فيقبله الله منك إن شاء الله.

أولاً : متطلبات الإحرام :

١ - النظافة :

الإسلام دين نظافة لذا فرض عليك الوضوء خمس مرات فى اليوم وكذلك الغسل من الجنابة وغسل الجمعة مع نظافة البدن والملبس وأن تأخذ الزينة عند كل مسجد. . لذا وجب على المسلم أن يكون نظيف البدن والملبس من أراد أن يدخل فى الإحرام أن يتبع الآتى فى النظافة :

أ - قص أظافره فهى مخابئ للميكروبات والقاذورات وحتى لا تطيل أثناء الحج وتؤلمك ولا نستطيع التخلص منها بعد ذلك، حيث كان الحج قديماً بالأشهر.

ب - قص شعر الرأس والعانة والإبط والشارب حتى لا تستطيل أكثر من اللازم لتعطى روائح العرق المنفرة وكذلك لمنع نقل القمل من موطن الحاج الأصلى إلى مناطق الحج ، وكماهو معروف فالقمل هو ناقل للأمراض ماصاً للدماء، مؤذى للجسم ، وسبحان الله نجد أن هناك قملاً للرأس يختلف عن قمل الأبط ويختلف الاثنان عن قمل العانة.

جـ- أما أصحاب الشعر الطويل الذين يتركوه بلا قص فيندب لهم بعد الغسل والتمشيط وخلوه من هذه الحشرات ثم التطيب أن يلبد الشعر بمادة مناسبة لتماسكه حفاظاً له من الشعث والانتشار وجمع الأوساخ بداخله ويكون مخابىء للحشرات. قال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ «يهل مُلَبّداً» [أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى والبيهقى].

هـ- الوضوء .

٢ – التطيب :

يسن التطيب فى البدن والثوب الذى سيحرم فيه قبل الإحرام وأن يبقى عليه أثر الطيب بعد ذلك .

وأضيف هنا أيضاً أن للحاج الذى يشكو من التصاق الفخذين والشديدى السمنة من الرجال والنساء أن يضعوا بعد الاستحمام كريماً أو مرهماً فى مناطق الأفخاذ حتى يسهل حركته مع انزلاق الفخذين بلا حدوث التهابات .

وفى الطيب قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم، ولإحلاله قبل أن يطوف بالبيت[أخرجه الشافعى والجماعة] .

أى بعد التحلل الأصغر والذى يجوز فيه للمحرم فعل ما كان محرماً عليه فيما عدا الاتصال بزوجته وقبل التحلل الثانى . . طواف الإفاضة .

ويسن التطيب قبل الإحرام حيث قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : كنا نخرج مع رسول الله ﷺ . . فنضخ جباهنا بالمسك عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها فيراه النبى ﷺ فلا ينهاها .[رواه أحمد وأبو داود] .

كما يكره التزين للمرأة لأنه محظور فى الإحرام ، بينما التزين للرجال قبل الإحرام مستحب وأن بقى أثره بعد ذلك فإذا خلع المحرم ثوب الإحرام ثم أعاد لبسه وكانت عليه آثار الطيب فإن عليه فدية للمخالفة حيث أنه منهى عنه إحداث أو لبس أى شيء به طيب أثناء الإحرام .

٣ – التجرد :

التجرد هو التخلص من أى ملابس أو أشياء تميزك عن الآخرين متجرداً للّه وحده كما خلقك فى بطن أمك وتوهب لك الحياة فلا لبس ولا ذهب ولا حلى . . وخلافه فيكون جسدك محرراً من أى قيود أو مظاهر متناغماً مع جميع مخلوقات الله الحرة .

والتجرد للرجل يكون من الثياب المخيطة والمحيطة ولبس ملابس الإحرام هى :

أ - إزار يلف به النصف الأسفل من البدن ويكون بقسم الإزار إلى نصفين متساويين بعد لفه حتى منتصف الوسط من الخلف، والطرفين الأماميين من الإذار يقسما أيضاً إلى النصف ويطبقا إلى الداخل مع وضع مشبك لمسك طرفى الإزار عند البطن ثم ثنى نهاية الإزار إلى الأسفل فنجد الإزار ممسكاً على بطنك مع تحريك الأرجل بحرية كبيرة.

ب- إزار آخر يلف به النصف الأعلى من الجسم دون الرأس مع تثبيت طرفيه فى الإزار بالمشبك.

وبالنظر إلى الإزارين ولبسهما نجدهما يماثلان (كفن) الإنسان الذى يلف به الموتى، فأنت ترتدى كفنك ذاهباً إلى ربك سائلاً العفو والمغفرة والرحمة وقبول الأعمال إن شاء الله.

جـ- لبس النعلين فى القدم مثل الصندل، ولا بد من ظهور الكعبين.

د - أما لبس المرأة فهو لباسها العادى بشرط ألا يظهر منها إلا الوجه والكفين.

٤ - صلاة سنة الإحرام :

بعد الإحرام يصلى ركعتين فى غير وقت كراهة «عند الغروب أو شروق الشمس» ينوى بهما سنة الإحرام «يقرأ فى الركعة الأولى الكافرون وفى الثانية سورة الإخلاص».

قال ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى ﷺ يركع بذى الحليفة ركعتين وهو مصلى فى الميقات . إن كان هناك مسجد وإلا صلاها حين يحرم. وتكون صلاة سنة الإحرام قبل الإحرام أى قبل عقد نية أداء ما يريد من نسك (عمرة أو أى نوع من الحج).

ثانياً: ما يباح للمحرم:

كما سبق القول عندما يحرم الإنسان تحرم معه خلايا جسده وعقله ونفسه ويستمر هذا الإحرام حتى التحلل منه وفى هذه المدة طالت أم قصرت يراعى فيها المحرم ما هو مباح وما هو محظور وسنورد هنا ما هو مباح للمحرم من أفعال مثل:

١ – الاغتسال وتغيير الإزار والرداء :

فلا يوجد اختلاف بين الأئمة فى وجوب اغتسال المحرم من الجنابة كما أجازوا جميعاً تغيير ثياب الإحرام بأخرى لأى سبب.

وفى الاغتسال للنظافة يرى جمهور الفقهاء ومنهم الشافعية والحنابلة والأحناف وداود . . أنه يجوز للمحرم أن يغسل بدنه ورأسه برفق حتى لا يسقط منه شعر.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، أنه دخل حمام فى الجحفة وهو محرم، قيل له أتدخل الحمام وأنت محرم؟ قال : إن الله ما يعبأ بأوساخنا شيئاً، والثابت أن رسول الله ﷺ أنه اغتسل وهو محرم وأنه ﷺ حرك رأسه بيده حال الاغتسال.

وعن الشافعية والحنابلة أشاروا بأنه يجوز نقض الشعر وامتشاطه، والدليل على أن رسول الله ﷺ قد أمر أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها **«انقضى راسك وامتشطى»** [رواه مسلم].

كما يجوز استعمال الصابون وغيره من الوسائل التى تزيل الأوساخ، كما يجوز استخدام الصابون له رائحة عند الشافعية وأحمد، غير أن المنع أحوط لأن استعمال الطيب محظور.

بينما يخالف مالك هذه الآراء ويمنع الاستحمام لأجل النظافة أو الابتراد لأن فى رأيه يذيل الوسخ والمشروع للمحرم تحمل الوسخ وغيره حتى التحلل من الإحرام.

٢ – النظر فى المرآة :

جاء عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما أنه يجوز للمحرم النظر فى المرآة بدون تحديد الغرض من النظر.

٣ – لبس الساعة وحمل النقود :

يجوز لبس الساعة فى اليد وشد كيس النقود حول وسطه ولبس النظارة والخاتم فى الأصبع واتخاذ موضع لحفظ النقود فى الإزار أو الحزام ونحوه، وهذا عند الشافعية والأحناف والحنابلة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال: لا بأس بالهميان والخاتم للمحرم، وقد رواه البيهقى عن السيدة عائشة رضى الله عنها. . والهميان هو حُزام لحفظ النقود يربط ويعقد.

٤ – التظلل :

يجوز للمحرم أن يستظل بمظلة أو ثياب أو نحوه مما يدفع عنه حر الشمس أو سقوط المطر أو ضرر وعن أم الحصينى رضى الله عنها قال: حججت مع رسول اللهﷺ حجة الوداع فرأيت أسامة بن زيد وبلالا وأحدهما أخذ بخطام ناقة النبىﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة [أخرجه أحمد ومسلم].

وقال عبدالله بن عامر: خرجت مع عمر رضى الله عنه فكان يطرح القطع على الشجرة فيستظل به وهو محرم [أخرجه ابن شيبه].

وفى الحالات السابقة جميعها تكون الوسيلة مرتفعة عن الوجه والرأس غير ملتصق بهما مثل المظلة أو ما فى حكمها من ثوب أو نحوها والخيمة والسيارة والقطار والطائرة وغير ذلك من وسائل المواصلات.

٥ – التداوى :

يجوز للمحرم الحجامة للضرورة . لأن النبى ﷺ احتجم وهو محرم :

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: احتجم الرسول ﷺ وهو محرم [رواه البخارى ومسلم والترمذى] وقد أجمع العلماء على ربط الجرح وخلع الضرس أو عصر الدمل وكذلك وضع القطرة فى العين إلى غير ذلك من التداوى الذى تستدعيه الضرورة، إذ لم يكن فيه ارتكاب محظور فى الإحرام، ولا فدية على المحرم.

٦ – قتل الحشرات :

عن عطاء أن رجلا سأله عن القرادة والنملة ندب عليها وهو محرم فقال: ألق عنك ما ليس منك.. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: لا بأس أن يقتل المحرم القرادة والنملة كما يجوز للمحرم نزع القرادة من البعير.

وعن عكرمة أن ابن عباس رضى الله عنهما: أمره أن يقرد البعير «ينزع القراد منه» وهو محرم فَكرِه ذلك عكرمة، قال قم فانحره، فنحره. قال: لا أم لك، لا يقصد الذم «كم قتلت فيها من قرادة وحلمة وممناته».

وفى حالة البراغيث والقمل فإن للمحرم إلقاؤها عنه أو قتلها ولا شيء عنه وإلقائها أهون من قتلها.

٧ – قتل الدواب (الفواسق الخمس) :

وهى الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور.

فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خمس فواسق يقتلن فى الحرم الفأرة والعقرب والغراب والكلب العقور والحديا**»

[رواه البخارى ومسلم والترمذى]

ومعنى العقور: كل ما عقر من الناس وأخافهم وبالقياس على ذلك يمكن قتل الأسد والنمر والفهد والذئب والضبع وما شابه ذلك.

قال ابن تيمية: للمحرم أن يقتل ما يؤذى بعادته كالحية والعقرب والفأرة [لأنها ناقلة للطاعون] والغراب والكلب العقور، وقال كذلك، فإن للمحرم أن يرفع ما يؤذيه من الآدميين والبهائم وله الحق أن يدافع عن نفسه بالقتال فإن النبى ﷺ قال: «**من قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون حرمته فهو شهيد**».

ثالثاً: محظورات الإحرام:

كما حلل الشارع للمحرم أشياء ذكرناها سابقاً، فإن الشارع أيضاً حرم علينا أشياء لا نقع فيها ونتجنبها وإلا تعرضنا إما إلى فساد النسك أو نحر أضحية كفارة لهذا الذنب وهى:

١ – الوطء ودواعيه محظور :

وهو مغلظ الذنب وهو محرم على المحرم وكل ما يتصل به كالتقبيل واللمس بشهوة والحديث فى هذا الشأن.

٢ – الخروج عن طاعة الله :

مثل فعل السيئات واقتراف المعاصى وأى عمل قبيح نهى الله ورسوله عنه فى غير الإحرام فما بالك لو فعله الإنسان وهو محرم فهو أقبح ، وأشدها قبحا أن تكون محرما ووصلت الحرم وفعلته ، كالغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والسرقة وخلافه.

٣ – المجادلة والمخاصمة :

فهو محظور بنص قرآنى كل من المجادلة والمخاصمة مع الرفقاء والأتباع وغيرهم والجدال بغير علم أو جدال الباطل أما الجدال فى طلب الحق فهو واجب والأصل فى التحريم لقول الله تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾[البقرة :١٩٧] .

٤ – لبس المخيط :

أ – للرجال : المخيط أو أى شىء يفصل بخياطة على قدر الجسم أو جزء منه كالقميص والجلباب والسروال والحلة وهو كل ما يحيط الجسم أو ببعضه، وقد حرمه رسول الله ﷺ كما رواه الزهرى عن سالم عن أبيه سأل رجل رسول الله ﷺ ما يترك المحرم من ثياب فقال ﷺ :« **لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ولا ثوبا مسه ورس ولا زعفران ولا خفين إلا أن يجد نعلين فليقطعهما حتى يكونا أسفل الكعبين**»[رواه البخارى ومسلم وأبو داود] .

القميص ولا العمامة ولا البرنس : كل ثوب رأسه منه .الورس : نبات طيب الريح.

ومن لم يجد ملابس الإحرام من الرجال فيمكنه لبس السراويل أو النعلين حيث روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب بعرفات وقال: «**إذا لم يجد المسلم إزاراً فليلبس السراويل، وإذا لم يجد النعلين فليلبس الخفين**» [رواه أحمد والبخارى ومسلم].

وفى رواية لأحمد عن عمر بن دينار أن أبا الشعثاء أخبره أن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يخطب يقول: « **من لم يجد إزاراً ووجد سراويل فليلبسها**، ومن لم يجد نعلين ووجد خفين. فليلبسها» قلت: ولم يقل يقطعهما؟ قال: لا.

وإلى هذا ذهب أحمد فأجاز للمحرم الذى لا يجد النعلين والإزار لبس الخف والسراويل على حالهما استدلالا بحديث ابن عباس ولا فدية عليه. وقد رجح ابن القيم هذا الرأى.

كما ذهب جمهور العلماء إلى اشتراط الخف دون الكعبين لمن لا يجد النعلين لحديث ابن عمر المتقدم.

كما يرى الأحناف جواز لبس السراويل لمن لا يجد الإزار مع شقها وفتقها وإذا لبسها على حالها لزمته الفدية وقال مالك والشافعى : لا تفتق السراويل ويلبسها على حالها ولا فدية عليه.

والقاعدة العامة فى الملابس المحظورة هو اللباس المعتاد، فلو شق القميص وجعله إزار أو رداء جاز وكذلك الإزار، ولو كان فيهما خياطة لأن الخياطة ليس هى الممنوعة، وإنما الممنوع هى الخياطة بتفصيل على قدر الجسم أو العضو منه أى المحيط.

ب- للنساء : تلبس المرأة ما تشاء بشرط ألا يظهر منها إلا الوجه والكفان لأن إحرامها فيهما. ولا يحرم إلا الثوب الذى مسه الطيب والنقاب والقفازان، قال ابن عمر رضى الله عنهما : « **نهى رسول الله ﷺ النساء فى إحرامهن عن القفازين والنقاب وما مس الورس والزعفران من الثياب ولتلبس بعد ذلك ما أحب من ألوان**

الثياب معصفراً أو خزاً أو حلياً أو سراويلاً أو قميصاً أو خفاً»[رواه البخارى وأبو داود والبيهقى والحاكم].

المعصفر : اللون الأصفر ، وخز : الحرير.

وللمرأة أن تلبس ما تشاء من ألوان الثياب، بشرط ألا تفوح منه رائحة الطيب، مما قد يكون موجوداً فى صباغاتها وتلوينها.

٥ – ستر الوجه :

أجمع الفقهاء على حرمة ستر المرأة لوجهها، فيما عدا الجزء الذى لا يتم ستر الرأس إلا به ، ولها أن تسدل ثوباً أو نحوه على وجهها لا يكون ملاصقاً له إذا دعت الحاجة إلى ذلك مثل شدة الحر والبرد ونحوه، قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: كان الركب يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه. [رواه أبو داود وابن ماجة].

أما إذا غطت وجهها عمداً لزمتها فدية.

أما الرجال فلهم تغطية وجوههم بخلاف المرأة لأن عثمان بن عفان رضى الله عنه غطى وجهه وهو محرم فى يوم صائف وبذلك قال ابن حزم.

٦ – ستر الرأس :

يحرم على الرجل ستر الرأس كله أو بعضه بأى شىء مما يستر به عادة مثل الثوب والطاقية والطربوش والقبعة والعمامة أما ستره بغير المعتاد كالطبق أو القفة واليد فلا شىء فيه عند الأئمة الثلاثة ما عدا مالك يحرم كل ساتر هذا بخلاف التظلل الذى سبقت أحكامه فيما يباح للمحرم.

٧ – إزالة الشعر :

لا يجوز للمحرم إزالة الشعر بلا عذر مقبول لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** ﴾ [البقرة:١٩٦].

ويحرم إزالة الشعر هنا كالحلق والقص والنتف وغيره للحية أو الشارب والإبط والعانة وشعر سائر البدن، كما يجب على ولى الصغير منعه من إزالة شعره أيضاً.

أما فى حالة الإيذاء من الشعر كوجود شعره فى عينه أو من شعر حاجبيه داخل جفنه فيجوز إزالتها ولا فدية عليه. . كما يحرم على المحرم مشط لحيته ورأسه إذا أدى سقوط شيء من الشعر فإن لم يؤد إليه ذلك لم يحرم وإن كان مكروهاً. . أما الشعر الذى ينسل يسقط بنفسه لا فدية عليه، ولو حلق المحرم رأس غير المحرم فلا شيء عليه عند مالك والشافعى وأحمد ويرى الأحناف وجوب الفدية عليه.

٨ - تقليم الأظافر :

يحرم على المحرم أخذ ما طال من ظفره بغير عذر، أما إذا انكسر الظفر فإن له إزالته من غير فدية، كما يشترط ألا تقص أكثر مما انكسر ، وإن حدث مرض فى أظافره فأزالهما فلا فدية عليه وإن احتاج إلى مداواة قرحة تحت الظفر فلا يمكنه إلا بقص الظفر فقصها فعليه الفدية وقال البعض فلا فدية عليه.

٩ - التطيب :

لا يجوز للمحرم أن يتطيب ، كما لا يجوز له مس الطيب يستوى فى ذلك الذكر والأنثى ، سواء كان هذا الطيب للبدن أو الشعر أو حتى فى الفراش أو الملابس.

وقال ذلك الشافعى وأحمد بعدم جواز للمحرم شم حتى ما يتخذ منه طيب كالورد والبنفسج والفل والياسمين ونحوه، بينما يرى الأحناف ومالك جواز ذلك مع الكراهة وبدون فدية، ويباح شم ما لا يستخدم للطيب كالتفاح وخلافه فإنه يشبه سائر النبات فى أنه لا يقصد للطيب ولا يتخذ منه روائح.

ولا يجوز للمحرم أن يقوم بعمل بهدف شم الطيب كأن يجلس بجوار عطار لهذا الغرض أو يحمل عُقد به طيب يشم ريحها.

ولو جعل شيء فى مأكول أو مشروب ولم تذهب رائحته فإنه لا يجوز للمحرم تناوله نيئا كان أو مطبوخاً وهذا قول الشافعى وأحمد.

أما مالك والأحناف فإنهما أجازا المطبوخ الذى مسه نار وإن بقيت رائحته وطعمه ولونه لأن الطبخ استحال كونه طيب .

والأصل فى المنع تحريم الطيب ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ« **الحاج الشعث التفل**» [رواه البزار] ويقول رسول الله ﷺ « **أما الطيب الذى بك فاغسله عنك ثلاث مرات**»[البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: يقول رسول الله ﷺ عن من مات محرماً «**اغسلوه بماء سدر وكفنوه فى ثوبين لا تخمروا راسه ولا تمسوه طيباً فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً**»[رواه البخارى] .

ولا يجوز للمحرم ذكراً كان أو أنثى لبس الثوب المصبوغ بما له رائحة طيبة، إلا أن يغسل بحيث لا تظهر له رائحته، فعن نافع بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال:« **لا تلبسوا ثوباً مسه ورس أو زعفران إلا ان يكون غسيلاً**»[رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى] .

١٠- عقد الزواج :

لا يجوز للمحرم عقد الزواج لنفسه أو لغيره بولاية أو وكالة، وإن فعل ذلك فالعقد باطل ولا يترتب عليه آثاره الشرعية وهذا قول عمر وعثمان وعلى وابن عمر وزيد بن ثابت وابن عباس ومالك والشافعى وأحمد، كما أن شهادة المحرم على زواج الغير محرم جائز .

١١- التعرض للصيد والأكل منه :

يجوز للمحرم أن يتعرض لصيد البحر وأن يرشد عنه وأن يأكله ، ويحرم عليه صيد البر بالقتل أو الذبح أو حتى الإشارة إليه وإن كان مرئياً أو أن يدل عليه إن كان غير مرئى. كما يحرم عليه تنفيره أو إزعاجه أو إفساد البيض وكذلك بيعه أو شراؤه أو حلب لبنه والدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[**المائدة**:٩٦]

ويرى الجمهور تحريم القتل سواء للحيوانات المأكولة أو الغير مأكولة إلا ما استثناه الحديث الشريف الخاص بقتل الفواسق الخمس .

روى المطلب عن جابر أن النبى ﷺ قال: «**صيد البر لكم حلال وأنتم حرم، ما لم تصيدوه أو يصد لكم**» [رواه أحمد والترمذى].

أما إذا صاده غير محرم لنفسه - ولم يقصد الحرم - ثم أهدى لحمه أو باعه إليه لم يحرم عليه ، فعن عبدالرحمن التيمى قال: خرجنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حرم وأهدى له طير وطلحة راقد فمنا من أكل ومنا من تورع فلما استيقظ طلحة وفق «أى صوب» من أكل وقال: أكلناه مع رسول الله ﷺ [رواه أحمد ومسلم].

أحكام محظورات الإحرام:

يلاحظ أن محظورات الإحرام هى ما نهى عن فعله الحاج أو المعتمر، وأن من يرتكب إثماً أى أتى عملاً من أعمال محظورات الإحرام السابق الإشارة إليها فقد ارتكب ذنباً يؤاخذ عليه وعلى ذلك فإنه ارتكب جناية على الإحرام وتختلف المؤاخذة باختلاف الجناية التى ارتكبت فى الإحرام ومدى أثر هذه الجناية على الإحرام.

وتقسم الجنايات إلى الآتى:

١ - جناية ارتكاب أى من المحظورات فيما عدا الوطء وقتل الصيد.

٢ - جناية الوطء أو ما يحيط به.

٣ - جناية قتل الصيد.

(أ) حكم ارتكاب أى من المحظورات:

إذا ارتكب الفرد المحرم أى من الجنايات المحظورات فيما عدا الوطء وقتل الصيد حيث أن جرمهما أكبر جاهلاً بالتحريم أو ناسياً لم تلزمه الفدية.

والدليل على ذلك ما ذكره ليلى بن أمية ، قال أتى رسول الله ﷺ رجل بالجعرانة وعليه جبة ومصفر اللحية والشعر فقال: أحرمت بعمرة وأنا كما ترى فقال الرسول ﷺ: «**اغسل عنك الصفرة وانزع عنك الجبة وما كنت صانعاً فى حجك فاصنع فى عمرتك**» [رواه الجماعة إلا ابن ماجة].

وقال عطاء إذا تطيب أو لبس جاهلاً أو ناسياً فلا كفارة عليه . [رواه البخارى].

وهذا هو رأى الشافعى وابن حزم كذلك بينما يرى الأحناف ومالك ورواية عن أحمد فأنه لا يعذر وعليه كفارة.

وارتكاب أى من هذه المحظورات بعذر أو بغير عذر لا يبطل الحج أو العمرة ويختلف الفقهاء فى الكفارة تبعاً للجناية التى ارتكبت لعذر أو لغير عذر.

(أ) فالمخالفة لعذر لا يكون آثماً أو مذنباً وإنما تصبح رخصة مشروعة من الله سبحانه وتعالى وان كانت تلزمه كفارة.

(ب) المخالفة لغير عذر فإن المخالف له الخيار بين أمور ثلاثة:

(١) يذبح شاة فى الحرم أو

(٢) صيام ثلاثة أيام فى الحج ولو متفرقة أو

(٣) التصدق بإطعام ستة مساكين وهو ملأ كفيه أو ما يوازى أكثر من نصف كيلو قليلاً تمرا لكل مسكين.

عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجوة. أن رسول الله ﷺ مر به زمن الحديبية فقال: «**لعلك آذاك هوامك**»، قال: نعم يا رسول الله، فقال النبى ﷺ: «**احلق ثم اذبح شاة نسكاً أو صم ثلاثة أيام أو اطعم ثلاثة آصع من تمر على ستة مساكين**» [رواه البخارى ومسلم وأبو داود].

وهذا الحديث تفصيل لقول الله تعالى:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[البقرة:١٩٦]

وفى الصدقة أو النسك فهى للمساكين وإعطائهم حقوقهم فى ذلك ولا يكفى دعوتهم لتناول الطعام لدى المتصدق أو الناسك بل تصل حقوقهم إليهم.

أما من ارتكب أى من هذه المحظورات بدون عذر فإنه يعتبر مذنباً وآثماً وأنه لا بد أن يتوب إلى الله مما وقع فيه من ذنب وخطيئة وهو على علم بها لعل الله أن يتوب عليه ويغفر له هذا علاوة على ما يلزمه من كفارة ، وهى نفس كفارة من ارتكب هذه المحظورات لعذر كذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين وذلك عند الشافعية والحنابلة وأكثر المالكية بينما عند الأحناف وغيرهم فيجب عليه الفدية دون خيار للصوم أو الصدقة.

(ب) حكم جناية الوطء وما يلحق به :

وهى جناية عظيمة حيث من قام بارتكابه لها ينقض تلبية وحج جميع خلايا جسده ونفسه وعقله فذنبها عظيم ولذلك يبطل الحج وتقسم إلا ثلاثة أنواع :

أ - الوطء الصحيح.

ب- شبه الوطء.

جـ- مقدمات الوطء.

أ - الوطء الصحيح :

وهى جريمة الجماع الكامل وهى جريمة بالنسبة للمحرم وهى حلال لغير المحرم وإن حدثت فى مراحل الحج المختلفة فمن.

(١) قبل الوقوف بعرفة فسد الحج للزوجين وعليهما بالآتى :

(أ) المضى فى إكمال الحج إلى نهايته مع فساده.

(ب) وجوب الإعادة فى عام قابل حتى وإن كان حج تطوع.

(جـ) التفريق بينه وبين زوجه فى حج الإعادة وهو تفريق مندوب وليس واجب.

(د) الفدية بشاة عند الأحناف أما مالك والشافعى وأحمد فالفدية ببدنة كاملة.

(٢) بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق وطواف الإفاضة يفسد الحج أيضاً وعليهما:

(أ) المضى فى إكمال الحج إلى نهايته مع فساده.

(ب) وجوب الإعادة فى عام قابل.

(جـ) عليه فدية شاة ولا يفسد الحج استناداً لحديث الرسول ﷺ الحج عرفة بينما الشافعى عليه ذبح بدنة كاملة تقدم طعاماً للمساكين أو الصيام.

(٣) بعد رمى جمرة العقبة وقبل طواف الإفاضة:

فيرى أحمد أنه يفسد الحج وعليه عمرة وتذبح شاة أما عند المالكية والأحناف والشافعية فالحج صحيح وعليه فدية واختلفوا فى نوع الفدية فعند المالكية شاة بينما عند الشافعية بدنة حسب فتوى ابن عباس رضى الله عنهما.

(٥) الوطء فى العمرة:

وأحكامه أيضاً تختلف حسب وقت الوطء من العمرة.

(أ) قبل الطواف: تفسد العمرة وتستكمل ثم تعاد ولزمه شاة.

(ب) بعد الطواف: تفسد العمرة وتستكمل ولزمه شاة.

(جـ) بعد السعى وقبل الحلق لا تفسد العمرة ويلزمه شاة.

(٥) الوطء من القارن:

نظراً للمخالفة فى هذه الحالة فى حالتى الحج والعمرة معاً فيرى المالكية والشافعية والحنابلة أن الحج يفسد وكذلك العمرة ولزمه المضى فى المناسك وعليه بدنة للوطء وشاة للقران وذلك قبل أو بعد عرفة وقبل التحلل الأول، وعند القضاء لزمه شاة أخرى حتى وإن حج مفرداً وذلك لعدم سقوط دم القران.

وتطبق هذه الأحكام فى الوطء الصحيح سواء أنزل أم لم ينزل سواء أكان ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً أو نائماً فإن الحكم واحد، ويشترك الاثنان الزوج والزوجة فى فساد الحج أما مسألة الفدية عليهما فهناك أكثر من رأى:

(أ) إذا طاوعت الزوجة زوجها كان عليها فدية مثل الرجل.

(ب) وإن أكرهها أهدى عنها (عند مالك) أما الشافعى قال يلزمه بدنة واحد عنهما بينما الأحناف يرون أن المرأة عليها الفدية مثل الرجل حتى ولو أكرهت.

أما إذا تكرر الوطء قبل الوقوف بعرفة فى مجلس واحد فى ليل أو نهار فحكمه حكم وطء مرة واحدة، أما إذا تعددت المجالس لزمه لكل مجلس جامع فيه كفارة «عن أبى حنيفة» بينما يقول مالك لا يجب على الوطء الثانى شىء (لأن الحج يفسد) لأن الوطء الأول فسد الحج.

(٦) جناية شبه الوطء:

لا يفرق الشافعية والحنابلة بين الوطء وشبه الوطء فالجناية واحدة والأحكام واحدة.

(٧) جنايات مقدمات الوطء:

لا حرمة ولا فدية إذا لمس المحرم زوجته أو قبلها بدون شهوة أما إن فعل أى فعل ولزمه شهوة قبل التحلل الأصغر فيعتبر آثماً إن كان عامداً ويجب عليه التوبة وعليه فدية.

أما ابن حزم فقد رأى أن القبلة واللمس المباشر مباح ما لم يولج لأن الله سبحانه وتعالى لم ينه إلا عن الرفث والرفث هو الوطء فقط.

(جـ) حكم جناية قتل الصيد :

قتل الصيد منهى عنه بنص قرآنى وبأمر من الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾[**المائدة** : ٩٥] .

لو تدبرنا هذه الآية الكريمة نجد أن الصيد وأنت محرم جرم عظيم لأنك شغلت نفسك وعقلك وجميع جوارحك وكذلك خلايا جسدك التى قد دخلت فى التلبية والنسك بغير ذكر الله والتلبية وبذلك خرجت من النسك إلى الدنيا مرة أخرى ومشاغلها ضارباً ما نهى الله عنه فى الإحرام عرض الحائط ولذلك فى الخطيئة الأولى عفا عنك أما فى التصميم على المخالفة فيذكرك الله سبحانه وتعالى أنه سينتقم منك وهو عزيز ذو انتقام .

والجريمة الثانية أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الحيوانات فى هذه الأماكن آمنة وفى حماية الله سبحانه وتعالى وبقتلها فإنك تعديت على حدود الله فقد آثم قلبك ونفسك .

وفى قتل الصيد المتعمد والناسى سواء فى وجوب الجزاء عليه وذلك لتأثيم القرآن حيث يقول الله سبحانه ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ كما جاءت السنة تؤكد هذا بوجوب الجزاء فى الخطأ والنسيان، ومن فعل ذلك وارتكب جريمة الصيد فى الإحرام فى حالتى :

أ – الصيد المتعمد يكون آثم بفعله ومرتكباً خطيئة ويحتاج إلى توبة لينال عفو الله سبحانه وتعالى فى الحالة الأولى ، أما فى الحالة الثانية وهو القتل المتعمد للمرة الثانية فينتقم الله منه .

ب– القتل الخطأ أو الجاهل أو الناسى فلا إثم عليه .

الجزاء هو أن يقدم حيوانا مماثلاً للذى اصطاده أو ذبحه وهى إما :

١ - شراء مثل هذا الصيد والتصدق بلحمه.

٢- تقدير قيمة الصيد والتصدق بها على المساكين "الشافعى ومالك".

٣ - صيام يوم عن كل نصيب مسكين.

وقد حكم السلف الصالح كما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ بأن: النعامة والحمار الوحشى والبقر الوحشى وذكر وأنثى الوعول تعادل بدنة أو بقرة، الوبر والحمامة والقمرى والدجاج بعنز أما الثعلب بجدى والجربوع «شكل الفأر» بعنزة «والعنزة عمر أربعة أشهر» والأرنب بعناق.

أما إذا اشترك جماعة فى الصيد عامدين فليس عليهم جميعاً إلا جزاء واحد، فجزاء مثل ما قتل من النعم.

ويطبق الجزاء أيضاً فى حالة إتلاف البيض وشرب اللبن وهكذا.

وقتل الصيد لا يفسد الحج ولا العمرة ولكن موجب للجزاء فقط.

رابعاً: التحلل من الإحرام:

بعد أداء النسك كما يحبه الله ورسوله ويرجع الإنسان كما ولدته أمه من تجليات الله عليه وتناغم عقله ونفسه مع خلايا جسده بالتسبيح بحمد الله وتوحيده ومتناغماً مع الكون كله ولكن يبدأ الإنسان فى رحلة الحياة يبدأ فى التحلل من الإحرام الذى حرم جسده ونفسه عليه وذلك فى الأوقات الآتية:

١ - التحلل الأصغر:

وهو ما بعد ما ينتهى الحاج من رمى جمرة العقبة الكبرى ونحر الهدى إن كان واجباً ثم الحلق أو التقصير ولم يطف طواف الإفاضة أو آخر سعى الحج إلى بعد الحج بذلك فقد حل له ما كان محرماً عليه بالإحرام لمس الطيب ولبس الثياب وتقليم الأظافر.. وجميع محذورات الإحرام السابقة فيما عدا أن يتصل بزوجته وما يحيط بذلك من محظورات.

ب - التحلل الأكبر أو التحلل الأخير :

وهو بعد طواف الإفاضة والسعى بين الصفا والمروة عند تأخيره وبذلك يكون قد أتم جميع مناسك الحج فيما عدا رمى الجمرات فى أيام التشريق وبذلك يكون مباح له ما كان محرماً عليه من إتيان النساء وكل ما يتصل به . . أما إذا كان آخر طواف الإفاضة إلى بعد أيام التشريق الثلاث فالتحلل الأكبر فى هذه الحالة يكون بعد هذه الأيام.

دخول مكة المكرمة :

مكة المشرفة	التى شرفت بالبيت العتيق .
مكة المكرمة	أحب بلاد الدنيا إلى قلب أشرف خلق الله أجمعين .
مكة المحرمة	على كل كافر مشرك أثيم إلى يوم الدين .
مكة الآمنة	التى آمن فيها جميع مخلوقاته من أنس وجن ودواب ونبات أجمعين .

فيجب عند دخولها أن تكون خاشعاً ملبياً ذليلاً لربك لأنك فى حرمه ومتوجهاً إلى بيته لأنك تؤدى نسك عظيم .

وأن تدخل مكة مباشرة بعد الإحرام وبوقت كاف قبل يوم التروية حتى تؤدى المناسك باطمئنان وسكينة وخشوع فتقوم بطواف القدوم وتسعى بين الصفا والمروة وأن تكثر من الصلاة فى الحرم الشريف ، ألم يبشرك الرسول الكريم أن الصلاة فيه بمائة ألف فيما سواه فاغتنم الفرصة وأكثر من النظر والتمتع إلى الكعبة المشرفة ولا يشغلك إلا الصلاة والاستغفار والتسبيح لا إلى المشتريات والجدال والأعمال التى لا تفيد، واغتنم الحسنات فى هذه الأيام عسى أن يتقبلك الله ويتغشاك برحمته، ولكى يتسنى لك حضور خطبة يوم السابع فى الحرم وتبيت فى منى يوم التروية حتى تنفر منها إلى عرفة اقتداء لسنة الرسول الكريم ﷺ .

ويستحب أن تدخل مكة المكرمة وأنت مغتسلاً بنية دخول هذا البلد الأمين مكثراً من التلبية والتهليل، وأن تدخل مكة بقدر المستطاع من الثنية العليا التى تشرف على الحجون وتسمى ثنية كداء ويمكن أن تدخل مكة ليلاً أو نهاراً.

وتذكر أن الحجيج هم ضيوف الرحمن فلا يزاحم الكبير والصغير والمرأة وتَرَحَمْ بهم وساعدهم قدر الاستطاعة وتجنب إيذائهم وتذكر أن الرحمة لا تنزع إلا من شقى حتى ولو كان حاجاً واحضر جلال البلد الذى حللت فيه ضيفاً على رب كريم وتدعو دعاء دخول مكة المكرمة أسوة بسنة رسول الله ﷺ قال عندما دخل مكة: « **اللهم البلد بلدك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك وأؤم طاعتك متبعاً أوامرك راضياً بقدرك مبلغاً لأمرك اسألك مسألة المضطر إليك والمشفق من عذابك أن تتقبلنى وتتجاوز عنى برحمتك وأن تدخلنى جنتك** ».

وأن تبدأ بالبيت كما فعل رسول الله ﷺ حيث بدأ به ولم ينشغل عنه بأى شىء حتى طاف، ونظراً للظروف والأسباب التى تحول ذلك الأن لوضع الأمتعة والتعرف على المكان فليفعل حتى لا ينشغل بعد ذلك إلا بالطواف ولا إثم عليه.

ويبدأ الدخول إلى الحرم من باب شيبة ويسمى الآن باب السلام برجله اليمنى ملبياً متواضعاً خاشعاً قائلاً:

أعود بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى باب رحمتك.

وأول ما يقع نظرك على الكعبة المشرفة ترفع يدك قائلاً:

اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وأمناً وزد من شرفه وعظمه تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام، ثم تدعو بما تحب حتى تصل إلى الكعبة لاستلام الحجر الأسود.

أولاً : الطواف :

الطواف هو الدوران حول الكعبة فى اتجاه يماثل دوران الإلكترونات حول النواة فى الذرة ودوران الأرض حول الشمس فى المجرة ودوران السيتوبلازم حول النواة فى الخلية وهو الدوران فى اتجاه الطواف حول الكعبة والتى كنا فى القريب نقول الدوران عكس عقارب الساعة الله سبحانه خلق جميع مخلوقاته بنظام واحد يتكون من الذرات والذرات تتكون من الإلكترونات تطوف حول النواة فى اتجاه الطواف وتتكون الخلايا فى الكائنات أيضاً من هذه الذرات والجزيئات والعضيات وخلقها الله أيضاً وجعلها تطوف حول النواة فى الخلية فى اتجاه الطواف وخلق المجرات وجعلها أيضاً تطوف حول بعضها فى اتجاه الطواف فالكل يطوف بقدرة الله سبحانه وتعالى فى اتجاه الطواف حول الكعبة .

ولما كان الإنسان هو الكائن الوحيد وخليفة الله فى الأرض الذى له الاختيار فى التسبيح حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[**الكهف**] . على الرغم أننا جميعاً شهدنا على أنفسنا أنه هو الله الخالق عندما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قلنا بلى .

فنجد أن خلايا جسدنا مسبحة بذاتها فى حركة طواف مستمرة فى اتجاه طواف الكعبة وكذلك الملائكة الطائفين حول البيت المعمور فى نفس الاتجاه فيكون الشىء الوحيد الذى لا يسبح الله هو النفس والعقل فى الإنسان لذلك كان تجهيز الجسد كما سبق وأن ذكرنا قبل الوصول إلى الكعبة فى التلبية لمدة عشر ساعات على الأقل حتى يملأ قلبك بذكر الله والتوحيد ويلبى عقلك ونفسك نداء لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك مختارين التسبيح للّه وحده والحمد لله وحده لا يشغلهم فى الوجود إلا أن يكونوا مسبحين متناغمين مع خلايا أجسامهم. حضوراً لكى يطوفوا حول البيت العتيق كما تطوف ذرات خلايا أجسامهم . . فتتناغم النفس والعقل والجسد فى التسبيح والطواف مع جميع مخلوقات الله من ملائكته والطائفين حول الكعبة والطائفين حول البيت المعمور ومع أنسه وجنه ودوابه وأنعامه ونباتاته وجباله الكل طائف ومسبح لله الواحد الأحد

البارئ المصور فى حركة متوازنة فى اتجاه واحد هو اتجاه الطواف حول الكعبة المشرفة شاهدين على أنفسهم أن الله واحد لا شريك له ذائبين فى ملكوت الله طوافين مسبحين .

الطواف حول الكعبة يكون هو إعادة ترتيب ذرات وخلايا جسدك مع نفسك وعقلك وقلبك فى حركة واحدة فى اتجاه واحد مسبحين لله وحده متناغمين فى التسبيح والحركة مع جميع مخلوقات الله فى سمائه وأرضه وجباله وما بينهما وما تحت الثرى وملائكته وحملة عرشه والحافين حول عرشه وملائكته المقربين وأصبح في منظومة الطوافين فى السماوات والأرض . . آملين من الله الرحمن الرحيم أن يرحمنا وأن يشملنا بنور رحمته وعطفه ويرضى عنا إنه سميع مجيب .

أ - شروط الطواف :

نظراً لأن الطواف ركن فلابد من الحرص على أن يؤدى على أكمل حال حتى لانقع فى محظور ولكى يكون الطواف صحيحاً فيجب توافر الشروط التالية :

(١) الطهارة :

فلا يصح طواف من غير وضوء والخبث ولا الحائض ولا نجس الثوب أو البدن حتى ولو كان سهواً ولا المشى على مكان نجس أثناء الطواف، أى يكون طاهراً طهارة كاملة وذلك لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما . أن النبى ﷺ قال :

«الطواف صلاة ، إلا أنكم تتكلمون فيه . فمن تكلم فلا يتكلمن إلا بخير»

[رواه الترمذى والدراقطنى وصححه الحاكم]

وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ دخل عليها وهى تبكى فقال : **«انفست؟»** قالت : نعم **«قال إن هذا شىء كتبه الله على بنات آدم ، فاقضن ما يقضى الحاج غير ألا تطوفى بالبيت حتى تغتسلى»**[رواه مسلم] .

وعنها قالت : أن أول شىء بدأ به النبى ﷺ حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف بالبيت . [رواه الشيخان] .

أما طهارة النجس فى الثوب والبدن والمكان فهى سنة مؤكدة عند الأحناف لايبطل الطواف بدونها ولا يلزم لوجودها دم أو غيره.

وباتفاق العلماء لا شيء على من كان به نجاسة لا يمكن إزالتها كمرض سلس البول وكالمستحاضة التى لا ينقطع دمها.

(٢) ستر العورة :

من شروط الطواف ستر العورة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعثنى أبوبكر الصديق فى الحجة التى أمَّره عليه رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

[رواه الشيخان والنسائى]

(٣) البدء من الحجر الأسود :

يبدأ الطواف باستقبال الحجر الأسود بوجهه وأن يجعله كله على يمينه حتى يتأكد أن طوافه كله يبدأ من الحجر ثم يستدير يميناً ويبدأ الطواف جاعلاً الكعبة على يساره حتى ينتهى من الأشواط، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ.

(٤) النيـة :

يجمع الفقهاء على اشتراط النية فى كل طواف تطوع أما طواف الحج والعمرة فنية النسك تسرى على الطواف.

(٥) تكملة الأشواط :

الأشواط سبع كاملة يبدأ كل شوط من الحجر الأسود وينتهى إليه ولو ترك الطائف شوطاً من السبع لم يحتسب طوافه وان انصرف عن مكة ولا يجيز بدم أو غيره.

(٦) المولاة بين الأشواط :

يشترط الموالاة بين الأشواط فى الطواف، بمعنى عدم الفصل بين الشوط والذى يليه وداخل الشوط نفسه ويرى ابن حزم بطلان الطواف عند قطعه عامداً.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يطوف بالبيت فأقيمت الصلاة فصلى مع القوم ثم قام فبنى على ما مضى من طوافه داخل الشوط واستكمال الأشواط ويرى الأحناف والشافعية وابن حزم، أنه إذا أحدث الطائف أثناء طوافه «خروج الريح» ولو عمداً فإن طوافه لا يبطل وعليه أن يقطعه ويتوضأ ثم يبنى - بعد الوضوء - على ما مضى منه.

(٧) الطواف داخل المسجد وخارج حجر إسماعيل :

لا يجوز الطواف خارج المسجد بالإجماع، ولا يجوز الطواف داخل حجر إسماعيل حيث أنه جزء من الكعبة لأن الطواف حول البيت لا داخله وكما يكون الطواف خارج الحجر لا داخله، ولا يصح طواف إن طاف داخل حجر إسماعيل.

ب- سنن الطواف :

للطواف سنن يجب اتباعها حيث يرى بعض العلماء أنها واجبة وسنن الطواف هى:

(١) استلام الحجر الأسود :

استلام الحجر بمعنى مسحه باليد، ومسه كمس السلام ويستحب تقبيله عند بدء الطواف مع التهليل والتكبير ورفع اليدين كرفعهما فى الصلاة واستلامه بهما بوضعهما عليه وتقبيله تقبيلاً خفيفاً بدون صوت إن أمكن ذلك، ويمكن أن يمسه بيده ثم يقبلهما أو يمسه بشىء معه كمنديل مثلاً ويقبله ويمكن أن يشار إليه بعصا ونحوها ويقبلها، فقال قال ابن عمر رضى الله عنهما: استقبل رسول الله ﷺ الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه يبكى طويلا فإذا عمر يبكى طويلاً، فقال : «**يا عمر هنا تسكب العبرات**» [رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد].

وقال ابن نافع رأيت ابن عمر رضى الله عنهما ، استلم الحجر بيده ، ثم قبل يده وقال: ما تركته حتى رأيت رسول الله ﷺ يفعله [رواه البخارى ومسلم].

وقال سويد بن غفلة رأيت عمر رضى الله عنه قبل الحجر والتزمه وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفياً (أى مهتماً ومعنيا)[رواه مسلم].

ولا يجوز للطائف أن يزاحم على الحجر حتى لا يتضرر الناس من الزحام فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال له: « **يا عمر إنك رجل قوى لا تزاحم على الحجر فتؤذى الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر**»[أخرجه الشافعى وأحمد].

كما لا يجوز للرجل أن يدخل بين النساء ويدافعهن أو يلاصقهن فإن ذلك يوقعه فى إثم وذنب ويكفى الإشارة إلى الحجر وليس التزاحم عليه أو لمسه لمسة خفيفة بيده أو أى شىء آخر ويقبله أو يقبل ما يشير به.

كما لا يجوز للنساء مزاحمة الرجال على استلام الحجر وعليهن تحرى الأوقات التى يقل فيها الرجال وإن تعذر ذلك فينفذن سنن الرسول ﷺ بالإشارة إليه باليد وتقبيلها.

ويلاحظ أن يكون الحجر كله فى بدء الطواف مستقبلاً وجهه بالكامل ويكون على يمين الطائف ولا يكون أى جزء منه شمال، حتى إذا استدار يميناً للطواف فيكون قد استلمه بالكامل ولم يترك جزء لم يطف به فى أول الطواف فيبطل الشوط الأول.

(٢) المشى عند الطواف :

المشى فى الطواف واجب على القادر عليه فى المالكية والأحناف ورواية لأحمد وجائز لغير القادر أن يحمل، فإن حمل بغير عذر يصح طوافه وعليه دم عند مالك أما أبو حنيفة فعليه الإعادة طالما بمكة وإن سافر فعليه دم.

بينما يرى الشافعى وابن منذر فى رواية لأحمد أن الطواف الماشى أفضل وجائز طواف الراكب لأن النبى ﷺ طاف راكباً ، لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالطواف مطلقاً ولم يقيده بشىء، والآن لا يمكن الركوب فى الحج.

(٣) الاضطباع عند الطواف فى الرجال :

وهو أن يجعل الطائف وسط إزاره تحت إبطه الأيمن وطرفيه على كتفه الأيسر ويبقى كتفه الأيمن مكشوفاً ، وهو سنة عند جمهور العلماء لأن ثبت أن رسول اللهﷺ طاف مضطبعاً وعليه برد أخضر. [أخرجه الترمذى].

بينما أشار مالك أنه ليس مشروعاً ولا يسن الاضطباع.

(٤) الرمل :

هو الإسراع فى المشارب مع تقارب الخطوة وتحريك المنكبين من غير وثب وهو سنة عند الرجال فى الأشواط الثلاثة الأول بالإجماع، فقد ثبت أن النبى ﷺ رمل فى حجة الوداع من الحجر إلى الحجر فى الأشواط الثلاثة الأولى.

والرمل لا يكون إلا فى طواف العمرة وطواف القدوم والإفاضة، ولو ترك الطائف الرمل فى هذه الأشواط الثلاثة لا يقضيه فى الباقى ولا شىء عليه.

والأصل فى الرمل ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم الحمى، فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا فيها شراً، فأطلع الله نبيه ﷺ على ما قالوا فلما قدموا قعد المشركون مما يلى الحجر، فأمر الرسول ﷺ أصحابه أن يرملوا فى الأشواط ثلاثة ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم فلما رأوهم رملوا قال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد منا. وقال ابن عباس، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط السبعة كلها إلا الإبقاء عليهم [حديث متفق عليه وقد كان ذلك فى عمرة القضاء].

(٥) استلام الركن اليمانى :

الركن اليمانى قبل ركن الحجر الأسود وهو الركن الغربى الجنوبى بينما ركن الحجر الأسود هو الجنوبى الشرقى ويقال لهما الركنان اليمانيان، وسن استلام الركن اليمانى كما يسن استلام ركن الحجر الأسود، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: ما تركت استلام هذين الركنين اليمانى والحجر الأسود منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما فى شدة ولا فى رخاء. [أخرجه مسلم والنسائى والبيهقى].

وقال ابن عمر لم أر النبى ﷺ يمس فى الأركان إلا اليمانيين [أخرجه السبعة إلا الترمذى].

والسبب فى اقتصاره ﷺ على استلام هذين الركنين هو أن الركن الحجر الأسود فيه فضيلتان:

أولهما : كونه على قواعد إبراهيم ، وثانيهما : وجود الحجر الأسود فيه ولذا يتسلم ويقبل.

والركن اليمانى فيه فضيلة واحدة، هى كونه على قواعد إبراهيم ، ولذا يستلم فقط ، أما الركنان الآخران فليس فيهما شىء من ذلك.

(٦) القرب من الكعبة :

يسن الاقتراب من الكعبة أثناء الطواف بشرط عدم المزاحمة ورمل الرجال ولو على البعد أفضل من تركه مع القرب من الكعبة. والأفضل للنساء الطواف فى أطراف المطاف حتى لا يلتصقن بالرجال ولا يزدحمن بهم فيقعن فى الحرام ومن الخير لهن تحرى الأوقات الخالية من الرجال.

فقد كان نساء النبى ﷺ يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال[أخرجه البخارى].

جـ- الدعاء أثناء الطواف :

يستحب للطائف أن يذكر من الدعاء والتسبيح ويتخير منها ما يشرح صدره له دون التقيد بما يقوله المطوفون أو ما هو مكتوب فى بعض كتب الأدعية ، وليس هناك ذكر ألزمتنا به السنة المشرفة.

أما الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ وصحابته.

(١) عند استلام الحجر الأسود :

عند استلام الحجر الأسود تقول: «**باسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتبك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ**».

(٢) الدعاء عند الطواف :

فإذا ما أخذ الطواف قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا قوة إلا بالله [رواه ابو داود والشافعى].

(٣) الدعاء عند الركن اليمانى :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول بين الركنين: «**اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة بخير**» [رواه سعيد ابن معلوم والحاكم].

(٤) عند الحجر الأسود فى الطواف :

قال الشافعى ويستحب كلما حاذى الحجر الأسود أن يكبر وأن يقول فى رمله (اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكورا).

كما يدعو فى الطواف فى غير ما ذكر من هذه الأماكن قائلاً :(رب اغفر وارحم واعف وتكرم واعف عما تعلم فأنت تعلم ما لم نعلم وأنت الله الأعز الأكرم، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وتكرر هذه الأدعية فى كل شوط من الأشواط السبعة.

ويقال لا بأس من قراءة القرآن فى الطواف لأن الطواف إنما شرع من أجل ذكر الله، والقرآن أفضل الذكر (الأحناف والشافعية وأحمد).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمرات لإقامة ذكر الله عز وجل**» [رواه أحمد وأبو داود و الترمذى وقال صحيح حسن].

بينما مالك وفى قول آخر لأحمد أنه يكره قراءة القرآن فى الطواف هذا، وفى القرآن العظيم كثير من الآيات هى فى حد ذاتها أعظم صيغ وعبارات الدعاء، وللطائف أن يدعو بما شاء ليس فى الطواف فقط بل فى كل عمل من أعمال مناسك الحج والعمرة.

د - مكروهات الطواف :

يكره للطائف فعل الآتى:

١ - ترك سنة من سنن الرسول ﷺ.

٢ - المبالغة فى الإسراع فى الرمل.

٣ - الأكل والشراب أثناء الطواف ، وكراهية الشرب أخف لأن النبى ﷺ شرب ماء أثناء الطواف.

٤ - تشبيك الأصابع وقرقعتها أو وضع اليد فى الفم.

٥ - مدافعة البول أو الغائط أو الريح أو الجوع الشديد شأنه فى ذلك شأن الصلاة.

٦ - الكلام بغير ذكر الله أو إنشاد وشعر.

٧ - البيع والشراء.

٨ - أن يطوف عن الغير قبل الطواف عن النفس.

٩ - طواف المريض بمرض معدى كالمجزوم والدرن وخلافه مثل الأنفلونزا ويكون حريصاً لعدم نقلها للطائفين كلمس الحجر الأسود وتقبيله والوقوف بالملتزم ويكون الطواف فقط فى طواف الواجب الذى يخشى فواته صيانة للنفس من مضاعفة المرض وحماية للآخرين.

هـ- أعمال ما بعد الطواف:

بعد الطواف يصبح جسدك وعقلك ونفسك وقلبك فى توازن تام مع الكون كله طوافين شاكرين للّه موحدين داعين ذاكرين ثم يستكمل بعض الأعمال هى من السنن الكريمة ولكن ليست جزءاً من الطواف وهى على التوالى:

١ - الوقوف بالملتزم.

٢ - دخول الكعبة أو الصلاة فى حجر إسماعيل.

٣ - صلاة ركعتين عند مقام إبراهيم.

٤ - الشرب من زمزم.

(١) الوقوف بالملتزم:

الملتزم هو جزء من الكعبة الواقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة ويحرص الناس على التزامه أثناء الطواف وهو خطأ ويستحب فقط الانتهاء من طواف الوداع حيث يكون الدعاء بما تحبه وأن ترجع إليه مرة أخرى.

روى البيهقى عن ابن عباس : أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول ما بين الركن والباب (ويدعى الملتزم) لا يلزم ما بينهما أحد يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه.

وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله ﷺ يلصق وجهه وصدره بالملتزم.

ويرى بعض الفقهاء أن الوقوف بالملتزم لا يكون عقب كل طواف، وإنما يكون فقط عقب طواف الوداع داعياً من الله خيرى الدنيا والآخرة متحسرا على فراق البيت ووداعه.

(٢) دخول الكعبة أو الصلاة فى حجر إسماعيل :

عن سالم بن عبدالله عن أبيه رضى الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ الكعبة هو وأسامة ابن زيد وعثمان بن طلحة فأغلقوا عليهم ، فلما فتحوا أخبرنى بلال أن رسول اللهﷺ صلى فى جوف الكعبة عند الركنين اليمانيين. [رواه الشيخان والنسائى].

وقد استدل بذلك على أن دخول الكعبة سنة وقالوا: ليس من دخول الكعبة منسكا من مناسك الحج ولكنه سنة عن رسول الله ﷺ ، يقول ابن عباس رضى الله عنهما : أيها الناس إن دخولكم البيت ليس من حجكم فى شىء. [رواه الحاكم].

وينبغى لداخل الكعبة، أن يكون خاشعاً خاضعاً لقول السيدة عائشة رضى الله عنها : عجباً للمرأ المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع رأسه قبل السقف!! يدع ذلك إجلالاً لله تعالى وإعظاماً. [أخرجه البيهقى والحاكم].

دخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها.

ودخول الكعبة ليس بالأمر المستطاع، ولا هو بالأمر الممكن فى هذه الأيام ويستعاض عن ذلك الدخول فى حجر إسماعيل والصلاة فيه فإنه جزء من الكعبة، روى أحمد بسند جيد عن سعيد بن جبير عن عائشة رضى الله عنها قالت: يا رسول الله كل أهلك قد دخل البيت غيرى فقال: «**ارسلى شيبه فيفتح لك**»، فأرسلت إليه، فقال شيبة: ما استطعنا فتحه فى جاهلية ولا إسلام بليل فقال رسول الله ﷺ

«صلى فى الحجر فإن قومك استقصروا عن بناء البيت حين بنوه» [الشيخان ومسند أحمد] شيبة بن عثمان بن طلحة كان بيده مفتاح الكعبة.

وحتى دخول حجر إسماعيل والصلاة فيه لم يعد بالأمر المستطاع للغالبية العظمى من الحجيج فلا تندفع ولا تضايق الحجاج والاحتراش بهم وذلك عند دخولك فى الحجر والصلاة فيه.

(٣) صلاة ركعتين عند مقام إبراهيم :

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة: ١٢٥].

فعن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ حين قدم مكة طاف بالبيت سبعاً وأتى المقام فقرأ: **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** فصلى خلف المقام ثم أتى الحجر الأسود فاستلمه [رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح][ورواه النسائى وفيه، فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت].

وتؤدى هذه الصلاة ركعتين بنية سنة الطواف وعند الأحناف وفى قول مالك والشافعى إن هذه الصلاة واجبة ومن تركها ليس عليه دم، وهى سنة عند أحمد والأصح عند الشافعية، بينما رأى مالك إنها تابعة للطواف فإن كان واجباً فهى واجبة وإن كانت سنة فهى سنة، والسنة فيهما هى قراءة سورة الكافرون بعد الفاتحة فى الركعة الأولى وسورة الإخلاص فى الثانية.

وتؤدى هذه الصلاة فى جميع الأوقات حتى أوقات النهى، وعن جابر بن مطعم أن النبى ﷺ قال: **«يا بنى عبدمناف لا تمنعوا أحد طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل ونهار»** [رواه أحمد وأبو داود والترمذى] كما أنها تجوز الصلاة خارج المسجد الحرام. فقد روى البخارى عن أم سلمة رضى الله عنها: أنها طافت راكبة فلم تصل حتى خرجت، كما يستحب الدعاء خلف المقام عقب صلاة الطواف بما يحب المرؤ من خيرى الدنيا والآخرة.

(٤) الشرب من مياه زمزم :

بعد الانتهاء من أعمال الطواف وما بعده يكون خلايا جسمك قد تواءمت مع عقلك ونفسك وقلبك وأصبحت من الطائفين فى ملكوت الله المسبحين والملبين ومن الراكعين الساجدين ، وقد فقدت كثيراً من الماء من جسدك عرقاً.

ثم تصل إلى زمزم آية الله الكونية فى بيت الله المحرم والتى انفجرت تحت قدم نبى الله ورسوله إسماعيل ثم انفجرت مرة أخرى عند ميلاد رسول الله الكريم محمد عليه الصلاة وأتم التسليم، فإذا شربت منها فاشرب منها كما ينبغى وكما علمنا الرسول الكريم وما هو الذى ينبغى عمله.

١ - يستحب الشرب أن يكون على ثلاثة أنفاس وأن يستقبل القبلة.

٢ - التضلع به حتى يمتلأ شبعاً ورياً حتى يبلغ الماء أضلاعك وتحمد الله وتدعوه بما تشاء فعن أبى ملكية قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال من أين جئت: قال : شربت من ماء زمزم، قال ابن عباس أشربت كما ينبغى؟ قال وكيف ذلك يا ابن عباس؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة واذكر الله، وتنفس ثلاثاً وتضلع منها فإذا فرغت فاحمد الله ، فإن رسول ﷺ قال:

«آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم» [رواه ابن ماجة والدارقطنى والحاكم].

وكان ابن عباس رضى الله عنهما : إذا شربت من ماء زمزم قال: اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء وسقم.

وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ شرب من ماء زمزم وأنه قال: **«إنها مباركة ، إنها طعام طعم وشفاء سقم»** (طعام طعم أى يشبع عند شرب ماء زمزم) .

وروى الطبرانى فى الكبير وابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **« خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام طعم وشفاء سقم»**.

وقال المنذرى ورواته ثقات.

يسن أن ينوى الشارب عند شربه من ماء زمزم الشفاء ونحوه بما هو خير فى الدنيا والآخرة، فإن رسول الله ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له**»[رواه أحمد والبيهقى].

عن سويد بن سعيد قال رأيت عبدالله ابن المبارك بمكة: أتى ماء زمزم واستسقى منه شربة ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن أبى المنكدر عن جبار أن رسول الله ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له**» وهذا أشربه لعطش يوم القيامة. [رواه أحمد والبيهقى].

مما سبق أن شرب ماء زمزم يختلف عن شرب الماء العادى لما ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة ولو تدبرنا فى هذا الموضوع نجد أن رسول الله ﷺ قال بالنسبة للشرب العادى، ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه وإن كان فثلث لطعامك وثلث لشرابك وثلث لنفسك.

بينما الشرب من ماء زمزم حتى التضلع يعنى أكثر من الكفاية فتأخذ مكان الشرب والطعام وحتى النفس كما قال الرسول ﷺ: « **فماء زمزم طعام طعم**» والطعام هنا بمعنى أنه سيذهب إلى كل خلية من خلايا جسدك.

واستكمال لتهيئة خلايا جسدك وتواؤمها مع نفسك وعقلك وقلبك نجد أن الحاج أو المعتمر أزال عنه الدنس والنجاسة الظاهرية والباطنية بالغسيل والاستحمام وبالتلبية والطواف، نعم ولكن الدناسة الداخلية التى مست خلايا جسدك أثناء الحياة العامة، فالخلايا مسبحة بذاتها نعم ولكن بعضها مسخر كخلايا جسدك العادية وبعضها مذلل كخلايا اليد والأرجل والأعين والأذن والمخ والقلب والصدر وجميعها اشتركت معك فى إتيان المعاصى والآثام وما يغضب الله وما اقترفته من الذنوب، ألم تشارك معك فى النظرات الآثمة وسماع ما يغضب الله وما نطقت به من كذب وخلافه وما اقترفت يداك من البطش والكيد.. وحركت رجلك إلى الأماكن التى لا يحبها الله والقلب الغافل عن ذكره المريض اللاهى المخيب، والنفس الأمارة بالسوء والفجور والعصيان والنسيان فهذه الخلايا بقدرة الله العلى القدير يصل إليها جزيئات ماء زمزم، كما قال رسوله الكريم «طعام طعم» فيزيل ما بها من دنس ونجاسة فيطهرها ويذهب عنها كما

ذهبت النجاسة من بدنك وملابسك وأصبحت بعد زمزم عبداً طاهر النفس والعقل والقلب والجسد وحتى جميع خلايا جسدك .

سبحان الله بقدرته وعظمته وكل حركة فى هذا النسك له ما يفسره .

وهذا يفسر لنا حديث رسولنا الكريم صلوات الله عليه أن زمزم شفاء سقم ألم نر أن جزيئات ماء زمزم قد وصلت إلى كل خلية من خلايا جسدك وأعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى نفخ فيك من روحه ففى كل خلية من خلايا جسدك به قبس من روح الله فإن شربت باليقين إن الله هو الشافى المعافى وأن قدرته ليس لها حدود وأن نشرب شرب اليقين بالشفاء فإن الله سبحانه وتعالى يشفيك من كل داء وسقم .

وأعلم أيضاً أن الإمام الشافعى رضى الله عنه قد شرب من زمزم بنية الحفظ فكانت ذاكرته قادرة على حفظ ما يقرأه وأن نشرب زمزم بأى نية نريدها كما علمنا رسولنا العظيم «زمزم لما شرب له» .

فاشرب بنية زيادة الرزق يرزقك الله من حيث لا تدرى ولا تحتسب .

فاشرب بنية العلم يعلمك الله سبحانه من علمه فلا علم إلا ما علمتنا يا الله .

فاشرب بنية الشفاء فالله بيده الأمر كله وأنه الشافى وأنه على كل شىء قدير .

فاشرب بنية أن يبارك الله فى رزقك وأولادك وزوجتك فمن بيده الأمر إلا الله .

فاشرب بنية أن تروى يوم القيامة من حوض نبيك محمد عليه الصلاة والسلام كما شرب صلوات الله وسلامه عليه لعطش يوم القيامة .

فاشرب بنية أن يحرم جسدك من عذاب القبر .

فاشرب بنية أن يحرم عقلك ونفسك وجسدك من عذاب جهنم يوم القيامة فأنه هو الرحمن الرحيم .

فاشرب حتى تتضلع مع اليقين بأن الله على كل شىء قدير فأنت ضيفه وهو الله الكريم الحليم فلا يرد ضيفه مضام .

ثانياً: السعى بين الصفا والمروة:

أصل مشروعية السعى هو التذكير بآيات الله فى قصة سيدتنا هاجر مع سيدنا إبراهيم وابنها إسماعيل عندما تركها سيدنا إبراهيم قالت له : أ الله أمرك بهذا؟! قال: نعم. قالت: لا يضيعنى الله أبداً.. فكانت من المؤمنات العابدات التى رضيت بقضاء الله وامتثالاً لأمر الله الذى يشكرنا على بعض خطوات كما سارتها السيدة الجليلة هاجر فى بحثها عن الماء.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٥٨].

الله شاكر عليم لبضع خطوات تخطوها بين الصفا والمروة فهل أنت شكرت الله على نعمه.

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[إبراهيم: ٣٤].

فصار هذا السعى من شعائر الله ومن أهم مناسك الحج والعمرة.

وبالتدبر فى أعمال الحج والعمرة أيضاً نجد أن السعى يأتى مباشرة بعد الشرب من ماء زمزم، حيث يصعد الحاج أو المعتمر ربوة جبل قبيس عند الصفا مهللاً ذاكراً آية الله.

ثم ينوى السعى ويهبط مهرولاً بين الميلين سائراً رملاً حتى يصل إلى المروة وهكذا سبعة أشواط قاطعاً مسافة حوالى ٢٨٠٠ متر ليجد الإنسان نفسه متصبباً عرقاً حتى فى الشتاء، ألم تلاحظ أن الرسول ﷺ قال لك اشرب زمزم حتى تتضلع وأنه طعام طعم فتصل مياه زمزم إلى كل خلية من خلايا جسدك فيغسلها من الدنس والنجاسة التى ألمت بها قبل هذه المناسك وهذا العرق الذى يتصبب منك طارداً النجاسة والدنس من جميع خلايا جسدك إلى خارج جسمك عن طريق مسام جلدك حيث تزيلها بالاستحمام أو الوضوء.

الآن والآن فقط أصبحت طاهر البدن والنفس والعقل والقلب والصدر فى الظاهر والباطن ومن الطائفين مع ملائكته ومع الكون ومن المسبحين الراكعين الساجدين جاهزاً وفى انتظار المقابلة الكبرى وتجليات الله سبحانه وتعالى عليك فى يوم عرفة حيث ينزل الله سبحانه إلى السماء الدنيا فتشرف بلقائه فعندما يقول الله سبحانه وتعالى : أنى قد غفرت لهم فترجع كما ولدتك أمك حقاً.

حكم السعى :

السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ويقال عليه أيضاً الطواف بين الصفا والمروة لأنه فعلاً طواف كطواف الكعبة.

ويعتبر السعى بين الصفا والمروة ذهاباً شوط والعودة من المروة إلى الصفا شوط آخر، وهكذا تبدأ من الصفا وينتهى الشوط السابع عند المروة.

وقد ذهب ابن عمر وجابر وعائشة من الصحابة ومالك والشافعى وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين أن السعى ركن من أركان الحج والعمرة بحيث لو ترك الحاج أو المعتمر السعى بين الصفا والمروة بطل الحج والعمرة ولا يجيز دم ولا غيره، وذلك لما رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: طاف رسول الله ﷺ وطاف المسلمون - يعنى بين الصفا والمروة - فكانت سنة، ولعمرى ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة، لأنهم يرون أن السعى بين الصفا والمروة، نسك فى الحج والعمرة. فكان ركنا فيهما كالطواف بالبيت وأخذ بهذا الرأى فإن لم يطف بين الصفا والمروة حتى خرج من مكة، فإذا ذكر وهو قريب رجع وطاف وإن لم يذكر حتى أتى بلاده بطل حجه أو عمرته لأن كل من الحج والعمرة لايجوز إلا به.

بينما ذهب ابن عباس وأنس وابن الزبير وابن سيرين إلى أنه سنة لا يبطل الحج أو العمرة بتركه ولا يلزم بتركه شىء.

أما أبو ضيفة والثورى والحسن قالوا : أنه واجب وليس ركن ولا يبطل الحج والعمرة بتركه.

شروط السعى:

سواء السعى بين الصفا والمروة ركن أو غير ذلك فإن له شروط يجب اتباعها:

(أ) يكون بعد طواف صحيح:

الطواف بالكعبة عبادة مستقلة بذاتها بينما السعى عبادة تابعة للطواف وليست مستقلة، فيستحب الإكثار من الطواف بدون سعى ، حيث أن سنة البيت الطواف أما بالسعى فهو تابع بعد طواف حج أو عمرة فقط فإن سعى بعد طواف باطل فإن سعيه يكون باطلاً أيضاً.

ويرى الأئمة الثلاثة ما عدا الأحناف أن السعى بين الصفا والمروة بعد الطواف واجب ومن سعى قبل الطواف صح سعيه ووجب عليه دم.

والسعى يكون ركناً فى الحج أو العمرة، كما يجوز أن تسعى بعد أى طواف حتى لو كان طواف تطوع، كما يستحب التعجيل به مخافة ما قد يطرأ من ظروف يجعل إتمامه مستحيلاً أو صعباً.

وإذا سعى المعتمر بعد طواف العمرة أعقب ذلك الحلق أو التقصير وينتهى بذلك أعمال العمرة أو الحج ومن حج مفرداً فسعى بعد طواف القدوم لا يلزمه طواف آخر، فإن لم يسع بعد طواف القدوم وجب عليه السعى بعد طواف الإفاضة.

ومن حج قارنا فسعى بعد طواف القدوم فإنه لا يلزمه سعى آخر بعد طواف الإفاضة.

ومن حج متمتعاً فإنه يسعى للعمرة بعد طواف القدوم ثم يتحلل ثم يعيد الإحرام بالحج يوم التروية ويلزمه سعى آخر ويكون بعد طواف الإفاضة.

(ب) البدء بالصفا:

لصحة السعى يبدأ بالصفا وبالتالى يكون الشوط السابع منتهياً بالمروة ومن فعل غير ذلك يبطل سعيه ولا يجيز هذا البطلان شىء.

(جـ) السعى فى المسعى بالكامل :

يجب على الساعى ألا يترك أى جزء من المسعى وإلا بطل سعيه ولا يترك أى مسافة بين الصفا والمروة بغير سعى وترك جزءاً ولو بسيطاً وحتى لو كان محمولاً فلابد أن تصل عجلات العربة لكل من جبل الصفا والمروة. كما يجوز السعى فى الطابق العلوى تفادياً للزحام.

(د) أن يستكمل سبعة أشواط :

من نسى عدد الأشواط فى السعى بنى على الأقل ومن ترك شوطاً وجب عليه أن يتمه وإلا بطل سعيه ، وهكذا فعل رسول الله ﷺ .

سنن السعى :

للسعى بين الصفا والمروة سنن عديدة بعضها واجب وكثير فيها غير ذلك وهى كالتالى:

١ - الطهارة

فالطهارة مرغوبة شرعاً عند أداء المناسك ولذلك يجب على الحاج أو المعتمر أن يكون طاهراً من النجاسة متوضأ ، ولكن ذهب أهل العلم بأن الطهارة ليست شرطاً فى السعى وذلك لقول رسول الله ﷺ لعائشة حين حاضت «**فاقضى ما يقضى الحاج ، غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تغتسلى**» [رواه الشيخان].

وإن طافت المرأة وأتمت صلاة ركعتى الطواف ثم حاضت قبل السعى فلها أن تسعى قبل الطهارة من الحيض ولا شىء عليها . . حيث قالت السيدة عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما.

إذا طافت المرأة بالبيت وصلت ركعتين ثم حاضت فلتطف بين الصفا والمروة.

[رواه سعيد بن منصور]

ولكن المستحب لمن قدرت على الطهارة فلا تسعى إلا طاهرة.

٢ - ستر العورة:

يجب على الساعى أن يكون مستور العورة، لأن كشف العورة حرام شرعاً.

٣ - الصعود على كل من الصفا والمروة:

يسن الصعود على الصفا والمروة كلما وصل إليهما وأن يستقبل الكعبة فى كل شوط داعياً إلى الله وهو عليها بما أحب.

٤ - الرمل بين الميلين:

يمشى الساعى متمهلاً حتى يصل إلى بدء الميلين فيبدأ الرمل بينهما إلا لعذر، والميلين هو بطن الوادى (وادى إبراهيم وهو الجزء من المسعى الذى يقابل زمزم والكعبة) وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يسرع بين الميلين وكان يسمى ما بينهما بطن الوادى.

ولا يندب الرمل للمرأة بل تمشى مشياً عادياً. فقد روى الشافعى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: وقد رأت نساء يسعين وكن يسرعن بين الميلين (أما لكن فينا أسوة حسنة؟ ليس عليكن سعى) أى رمل، إذ لا خلاف إطلاقاً فى وجوب السعى بين الصفا والمروة عليهن.

ومن كان سعيه مصاحباً زوجته أو محرما ثم خاف وقوع ضرر أو ضياع إن هو أسرع بين الميلين وتركها فدفعا للضرر - أن يدع الرمل ويلازم زوجته أو من أحرم معها.

٥ - الموالاة فى السعى:

نظراً لأن السعى جزء من الطواف حول البيت وليس عبادة مستقلة فلزم الموالاة مباشرة بعد الطواف بالبيت والانتهاء من أعمال ما بعد الطواف أن يسعى.. وكذلك الموالاة بعد الأشواط كما حدث فى الموالاة بين أشواط الطواف.

ويكون ذلك بعد الطواف والصلاة وشرب زمزم أن يذهب مباشرة إلى الصفا ليبدأ السعى لوجوب عدم الفصل بين الطواف والسعى عند الشافعى بينما يرى الآخرون غير ذلك ويرون بجواز الفصل.

كما أن الموالاة بين أشواط السعى السبعة هو تتابع أداء الأشواط فلا فاصل بينهما إلا لعارض مرض مثل يمنعه من مواصلة الأشواط أو إقامة الصلاة فله أن يقطع السعى حتى إذا فرغ من الصلاة أو زال مما عرض له بنى عليه وأكمله.

عن ابن عمر رضى الله عنهما : أنه كان يطوف بين الصفا والمروة ، فأعجله البول فتنحى ودعا بماء فتوضأ ثم قام فأتم على ما مضى. [رواه سعيد بن منصور].

وروى سعيد ابن منصور أيضاً أن سورة زوجة عروة بن الزبير سعت بين الصفا والمروة فى ثلاثة أيام وكانت ضخمة.

٦ - الذكر فى السعى:

أفضل الذكر والدعاء هو القرآن العظيم واتباع سنة رسوله الكريم ﷺ وصحابته كما للساعى أن يدعو فى جميع مراحل السعى بما يريد من الدنيا والآخرة، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا عزيز يا غفار، وسنلخص بعض أدعية الرسول الكريم ﷺ والسلف الصالح.

أ - بعد خروجه من زمزم والاتجاه إلى الصفا وهو قريب منها يقول: أعوذ بالله العلى العظيم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جناتك وأعذنى من الشيطان الرجيم.

ب- عند الدخول من باب الصفا : وعند صعود ربوة جبل قبيس وهو الصفا يقول الآية الكريمة : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ اللَّه فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨].

جـ- عند الاستقرار على جبل الصفا : استقبل القبلة ثم قل:

الله أكبر الله أكبر والحمد لله على ما هدانا ، الحمد للَّه على ما أولانا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده صدق عبده وأنجز وعده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخصلين له الدين ولو كره الكافرون، ثم يدعو كما يحب من خيرى الدنيا والآخرة.

د - عندما يهبط من الصفا يقول: اللهم استَعْمِلَنى بسنة محمد ﷺ وتوفنى على ملته وأعذنى من معضلات الفتن يا أرحم الراحمين.

هـ- عند الرمل بين الميلين : يقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لم نعلم، إنك أنت الله الأعز الأكرم . . نجنا من النار سالمين وادخلنا الجنة آمنين ربنا أتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا عزيز يا غفار.

و - عند الصعود على المروة : أثناء الصعود إلى المروة يتلو الآية الكريمة : إن الصفا والمروة حتى إذا استقر على ربوة المروة استقبل القبلة ويحمد الله ويثنى عليه ويدعوه كما دعا على الصفا.

ويكرر كل ما تقدم فى كل شوط . . ربنا يتقبل منا ومنكم.

٧ - المشى فى السعى :

المشى فى السعى سنة عند الشافعى وأحمد بينما هو واجب عند الأحناف ومالك إلا لعذر لعدم القدرة على المشى.

٨ - تقديم السعى قبل الوقوف بعرفة :

من المستحب على الحاج المفرد والقارن تقديم السعى قبل الوقوف بعرفة وذلك

عند الأحناف بينما الشافعية فيرون أنه جائز وليس سنة ولا واجب، أما مالك وأحمد قالا أنه من واجب التقديم.

أما الحاج المتمتع فالمالكية والأحناف وجوب التأخير بعد طواف الإفاضة بينما الأحناف يرون ذلك سنة والشافعى يراه جائز فقط.

مكروهات السعى :

كما للسعى بين الصفا والمروة سنن فلها أيضاً مكروهات ملخصة فى الآتى :

١ - يكره فى السعى ترك سنن من سننه.

٢ - أشد كراهة ترك الأعمال التى اختلف فيها الفقهاء على أنها سنة أو واجب.

٣ - تكره الصلاة فوق المروة بعد الانتهاء من السعى لأنها بدعة.

٤ - يكره تكرار السعى فى الحج والعمرة حيث أنه لم يشرع عن الحج أو العمرة إلا بسعى واحد، فعن جابر رضى الله عنه قال: أن النبى ﷺ لم يطف ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طواف واحد.

كذلك لم يشرع للعمرة وحدها إلى عمرة التمتع إلا سعى واحد.

ما يستحب بعد السعى وانتظار يوم التروية :

بعد سعى العمرة بالتقصير أو الحلق تنتهى أعمال ومناسك العمرة وتصبح متحللاً تحللا كاملاً إلا أن تقلع نبات أو تقتل دابة أو الصيد من مكة وشعابها.

أما الحاج المفرد والمقرن فهو فى إحرامه حتى يوم التروية محافظاً عليه متبعاً سننه ومتجنباً نواهيه.

أما الحاج المتمتع فبعد السعى والحلق والتقصير فيتحلل تحللاً كاملاً متمتعاً فى الحل من أفعال وأعمال إلا اقتران نواهى الإحرام.

ويستحب للحاج من أى نوع من الأنواع الثلاثة المفرد والمقرن والمتمتع أن لايشغل نفسه وعقله ويتعب جسده فى المشتريات والمجادلات بين زملائه وبكثرة الطعام

وخلافه موفراً ذلك كله لعبادة الله فى أجمل بقاع الدنيا وأنت فى ضيافة رب رؤوف كريم مثلا تملأ قلبك ونفسك من جديد بالانشغال بالدنيا والتفكير بالأهل والمال والولد وارتكاب الآثام والمعاصى وتنقص ما وصل إليه خلايا جسدك وعقلك ونفسك من التوائم والذوبان فى ملكوت الله مسبحين.

فهل هناك فرصة فى الوجود من أن تصلى فى مكان تكون الصلاة فيه بمائة ألف عمن سواه ثم يشتغل نفسه بالدنيا.

فهل هناك فرصة فى الوجود أمتع من النظر إلى الكعبة المشرفة حيث النظر إلى الكعبة المشرفة ذكرا.

فهل هناك فرصة فى الوجود أن تكون من أطهر مخلوقات الله حيث وصل جسدك وعقلك ونفسك إلى كامل الطهارة الظاهرية والداخلية والباطنية ثم أدنسهم مرة أخرى.

فهل هناك فرصة فى الوجود أجمل من أن تكون ذائباً فى ملكوت الله وتكون من الطائفين الراكعين الساجدين كالملائكة مع جميع مخلوقات الله الجبال والسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

فأحرص على طهارة خلايا جسدك وعقلك ونفسك وقلبك بعدما طهرتها بالطواف وشربك من ماء زمزم وسعيك بين الصفا والمروة.

فاحرص على كثرة الطواف حتى تظل خلايا جسدك وعقلك ونفسك وقلبك فى تناغم مع الكون كله طائفاً مسبحاً ذاكراً فى انتظار لقاء ربك فى عرفات.

فاحرص على ملء قلبك وعقلك ونفسك بالذكر والتسبيح وقراءة القرآن.

وبذلك تكون مجهزاً للقاء العظيم فى يوم عرفات حيث الموقف الجليل عندما يتجلى الله سبحانه عليك ويشملك من فيض نوره ورحمته وغفرانه فتخرج كما ولدتك أمك. وبعد فاشترى ما شئت.. هنا تنتهى مناسك المعتمر فقط وتستمر المناسك للحاج بعد ذلك.

ثالثاً : الحج :

أ - من يوم التروية إلى فجر يوم النحر :

اشتق اسم التروية وهو اليوم الثامن من ذى الحجة لأن الإمام كان يروى فيه للناس مناسكهم وما يجب اتباعه فى الوقوف بعرفات وما يتبعه .

وقيل أيضاً أنه مشتق من الارتواء بالماء حيث كان يجمع الماء فى منى لتوفيره فى عرفات وأيام التشريق الثلاثة فى منى .

وتبدأ أعمال ومناسك الحج فى هذا اليوم كالتالى :

١ - المبيت بمنى :

يخرج الحجاج فى صباح يوم الثامن من الحجة من مكة متوجهين إلى منى ويكون ذلك قبل صلاة الظهر بحيث يصلون الظهر فى منى وهو من السنن ومن يفعل غير ذلك فلا شىء عليه .

فقد روى ابن المنذر عن عائشة رضى الله عنها . . أنها لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب ثلثه ، وروى سعيد بن منصور عن الحسن : إنه كان يخرج إلى منى من مكة قبل التروية بيوم أو يومين ، ويرى الإمام مالك أن هذا العمل مكروه ، كما يرى الكراهية فى الإقامة بمكة يوم التروية حتى يمسى إلا أن يدركه وقت الجمعة فعليه أن يصليها قبل الخروج من مكة .

ويجوز للحاج أن يصل إلى منى مباشرة من خارج مكة دون أن يكون مقيم بها إلا أنه حرم نفسه من سنة أو مميزات الإقامة .

والحاج المنفرد أو القارن فعليهما أن يذهباً إلى منى بإحرامهما ، أما المتمتع فإن عليه إحرام جديد بالحج صباح يوم التروية وقبل ذهابه إلى منى .

والسنة هو أن يحرم الحاج من الموضع الذى هو نازل فيه فإن كان مكة أحرم منها وإن كان خارجها أحرم حيث هو اتباعاً لحديث رسول الله ﷺ : « **من كان دون مكة فَهِلُّهُ من أهله ، حتى أهل مكة يهلون من مكة، وهذا ويستحب الإكثار من التلبية عند التوجه إلى منى** » .

وفى يوم التروية يصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم يبيت حتى يؤدى صلاة الفجر يوم التاسع من الحجة، ثم ينفر إلى عرفات بعد طلوع الشمس.

٢ - الوقوف بعرفة:

أخيراً **وصلت** إلى الموقف العظيم ركن الحج الأعظم.

وصلت طاهر الشكل والملبس والجسد والنفس والعقل والقلب.

وصلت وأنت ذائب فى ملكوت الله مسبحاً مهللاً ملبياً مكبرا.

وصلت وقلبك مملوء بالتوحيد بالله الواحد الأحد لا شريك له مملوء بالحمد والشكر والثناء الجميل على أن وصلت إلى هذا الموقف العظيم وفى هذا اليوم السماء مملوءة بالمطهرين فى حضرت الله العلى العظيم.

يعلن على الكون كله أنه هو الغفور الرحيم.

يباهى ملائكته فيقول لهم انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين.

يباهى ملائكته فيقول اشهدوا ملائكتى أنى قد غفرت لهم.

وقد بلغ الرسول الكريم أن الله يسلم عليهم وأن الله غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات لكل من وقف هذا الموقف إلى يوم الدين.

اليوم شملك الله بنوره بتجلياته وأسبغ عليك نعمه ورحمته وغفرانه وجوده وإحسانه.

اليوم غفر الله لك ذنبك وخطاياك حتى ولو كانت ملء الأرض.

اليوم قبل الله سعيك وحجك وعملك.

اليوم قبل الله دعائك وكنت كالعبد الربانى مستجاب الدعوة.

وفى هذا اليوم استحضر هذا كله ولا تشغل نفسك بأى شىء فى الدنيا إلا بالتسبيح والدعاء لأنك فى حضرت الله العلى القدير.

وينبغى للحاج المحافظة على الطهارة الكاملة ما أمكنه وكذلك استقبال القبلة فى كل أحواله وأن يعلم أن هذا اليوم لا يمكن تداركه ، فليحذر أن يفوت عليه فرصة لا تعوض من الدعاء لنفسه ولخيره بما يشاء من خيرى الدنيا والآخرة، وليحذر من اللغو والمخاصمة والكلام الفاحش والنظر إلى النساء والانشغال بأمور الدنيا من أكل أو شرب أو خلافه.

فعن عبدالعزيز الصيرى قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول: « كان الفضل بن العباس رضى الله عنهما : ردف (أى راكبا خلف) رسول الله ﷺ، فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن فقال له رسول الله ﷺ : « **ابن أخى . إن هذا اليوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له**»[رواه أحمد والطبرانى].

(أ) فضل يوم عرفة :

وعن فضل يوم عرفة فقد وردت فيه أحاديث كثيرة منها :

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:« **ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار، من يوم عرفة وأنه ليدنو يتجلى، ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟ إشهدوا ملائكتى إنى قد غفرت لهم**» .

[رواه مسلم والنسائى وابن ماجة]

وروى ابن المبارك عن سفيان الثورى عن الزبير بن على عن أنس بن مالك رضى الله عنهم قال: وقف النبى ﷺ بعرفات، وقد كادت الشمس أن تثوب فقال : «**يابلال انصت إلى الناس**» فقال بلال : «أنصتوا لرسول الله ﷺ فأنصت الناس فقال: «**يا معشر الناس أتانى جبريل عليه السلام آنفاً. فأقرانى من ربى السلام وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات**»، فقام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟! . قال: « **هذا لكم ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة**» . فقال عمر رضى الله عنه كثر خير الله وطاب.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم . انظرو إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا**»

[رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم]

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:« **ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة. وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر**». قيل: وما رأى يوم بدر يارسول الله؟! قال:« **إما أنه رأى جبريل يزع (يقود) الملائكة**»[رواه مالك مرسلا والحاكم موصلا].

(ب) حكم الوقوف بعرفة:

الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم لقول رسول الله ﷺ لأهل نجد حين سألوه كيف الحج فقال:« **الحج عرفة . فمن جاء قبل صلاة الفجر من ليله جمع (المزدلفة) فقد تم حجه**» رواه أحمد ورواه الأربعة والبيهقى والحاكم وصححه الترمذى وقال: والعمل عليه عند أهل العلم أنه من لا يقف بعرفات قبل طلوع الفجر (يوم النحر) فقد فاته الحج ولا يجزئ عنه أنه جاء بعد طلوع الفجر وله أن يجعلها عمرة وعليه حج.

(جـ) وقت الوقوف بعرفة:

ابتداء الوقوف يوم عرفة هو بعد الزوال : (عند حلول وقت صلاة الظهر والزوال هو الساعة ١٢ ظهراً).

ويرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف يبتدئ من زوال اليوم التاسع إلى طلوع فجر اليوم العاشر ويكفى الوقوف فى أى جزء من هذا الوقت ليلاً أو نهاراً إلا أنه إن وقف الحاج بالنهار ويجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب، وعلى هذا فإن من وقف نهاراً ولم يمد وقوفه إلى ما بعد الغروب صح وقوفه ولزمه دم.

قال محمد بن أبى بكر الثقفى سألت أنس بن مالك رضى الله عنه ونحن غاديان من منى إلى عرفات عن التلبية. . كيف كنتم تصنعون مع النبى ﷺ . قال: كان يلبى الملبى فلا ينكر عليه ويكبر المكبر فلا ينكر عليه ويهلل المهلل فلا ينكر عليه.

ويستحب النزول بنمرة والاغتسال عندها قبل الوقوف بعرفه لمن أمكنه ذلك وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما يغتسل لوقوفه عشية عرفة كما اغتسل عمر رضى الله عنه بعرفات وهو مُهِلّ.

(د) الوقوف بعرفة:

ثبت من الصحيح أن النبى ﷺ خطب الناس يوم عرفة بعد زوال الشمس وبعد الخطبة أذن بلال ثم قام فصلى النبى ﷺ بالناس الظهر ركعتين ثم أقام فصلى العصر ركعتين ولم يصل بينهما شيئاً، وقد فعل ذلك بمسجد إبراهيم عليه السلام ويسمى الآن مسجد نمرة ، ولما فرغوا من الصلاة اتجهوا إلى عرفات ضارعين إلى الله ملبين.

(هـ) مكان الوقوف:

عرفة كلها موقف إلا بطن عرنة وهو وادى بجوار مسجد نمرة جهة المزدلفة وهو من الحرم بينما عرفات ليست من الحرم وهى من الحل لذلك فالوقوف بهذا الوادى لا يجزى بالإجماع. (شكل رقم٥).

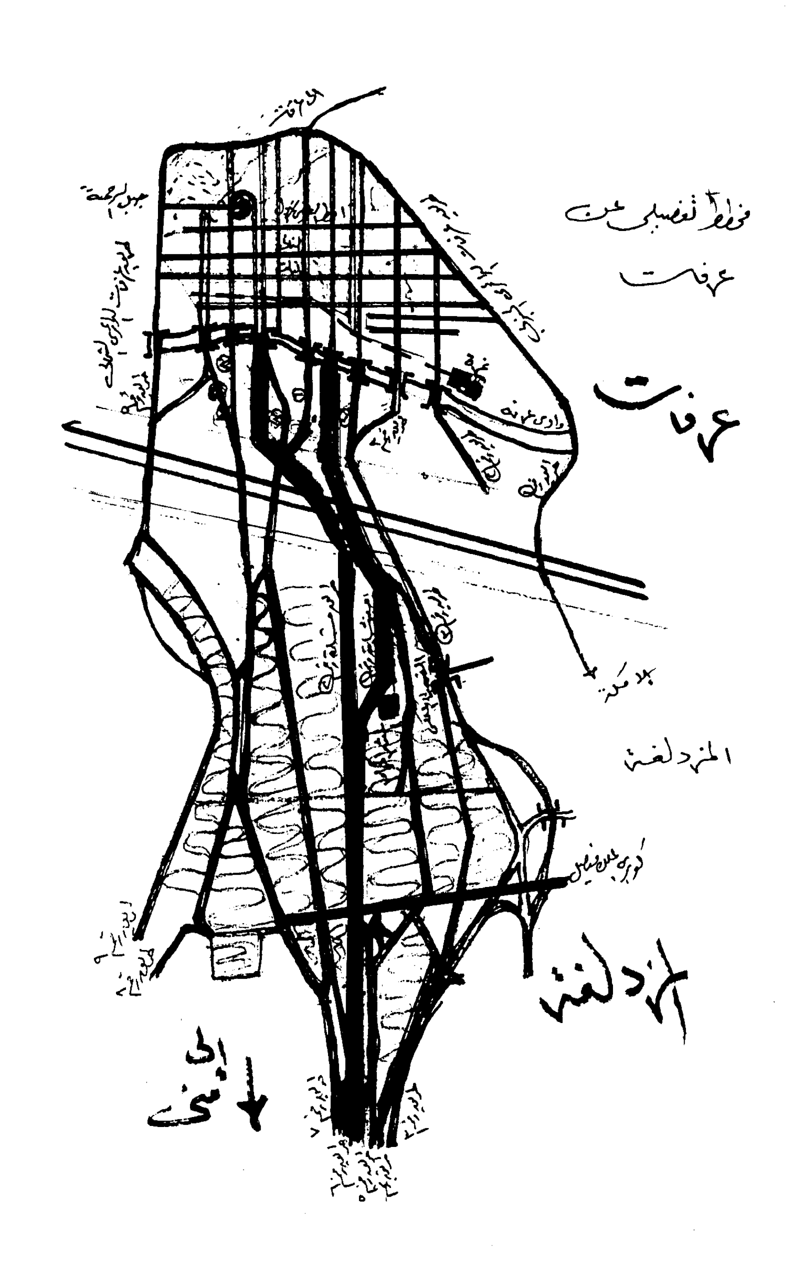
ويستحب أن يكون الوقوف عند الصخرات أو قريباً منها وليس الصعود على هذه الصخرات بسنة ولا يوجد أفضلية لذلك، ويكون الوقوف حسب الإمكان فإن رسول الله ﷺ وقف فى هذا المكان وقال: «**وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف**»

[رواه أحمد ومسلم وأبو داود]

وفى هذه الأيام وللأعداد الغفيرة من الحجاج فيكتفى أن يكون الحاج مع مجموعته حتى لا يفقد مكانه، كما يتحاشى الذهاب إلى هذا المكان فى وقت الظهيرة حتى لا يصاب بضربة شمس ويمكن أن يذهب بعد العصر أو المغرب فى حالة تأخره فى عرفات.

والمقصود من الوقوف بعرفة هو حضور اجتماع الحجاج فى أى جزء من عرفة كان ذلك يقظاً أو نائماً، راكباً أو ماشياً، مضجعاً أو قاعداً، طاهراً أو غير طاهرا، كما يجوز الوقوف بغير وضوء والحائض والنفساء.

ومن مر بعرفة وهو عاقل أجزأه ذلك عن الوقوف حتى لو كان نائماً أو غافلاً أو لا يعلم أنه عرفه أو كان لاهياً أو عابثاً ، وهو رأى أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد.


مخطط تفصيلي عن
عرفات
جبل الرحمة
عرفات
المزدلفة
المزدلفة
إلى
منى

(و) الصيام فى عرفات :

ثبت أن رسول الله ﷺ أفطر يوم عرفة وأنه قال أن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب .

كما ثبت عنه ﷺ أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفات ولكن صوم يوم عرفة فهو للمسلم غير الحاج ولم يحضر عرفات وصيامه سنة .

(ز) الصلاة فى عرفات :

الجمع بين صلاة الظهر والعصر بعرفات بآذان واحد وإقامتين قصر سنة بإجماع الفقهاء، وذلك بعد خطبة عرفة التى يبين فيها الإمام للناس أعمال الحج ومناسكه، وما يطلب منهم فى هذا اليوم والأيام التى تليه .

والقراءة فى هذه الصلاة سر ولا تصلى نافلة بينهما أو قبلهما وهذا الجمع فى الصلاة لمن حضر عرفة سواء أكان حاجاً أو غير حاج أو كان من سكان مكة أو من خارجها لأن الجمع هنا سببه الحج وليس لسبب السفر وهو رأى العديد من الفقهاء .

ويقصر المصلون الصلاتين فيصلون كل منهما ركعتين بآذان واحد وإقامتين، وقد كان يوم عرفة يوم حجة الوداع للرسول ﷺ يوم جمعة ولم يصل الرسول ﷺ صلاة الجمعة بل صلى ظهراً وعصراً جمعاً وقصراً، كما جاء فى حديث جابر الذى رواه مسلم وغيره .

كما يجوز لمن لم يحضر صلاة الجماعة أن يصلى مفرداً قصراً وجمعاً .

(ح) الدعاء المأثور يوم عرفة :

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان دعاء النبى ﷺ يوم عرفة «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شىء قدير**» [رواه الترمذى] ، ولفظه أن النبى ﷺ قال: «**خير الدعاء، دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**» [رواه الترمذى] عن على كرم الله وجهه ورضى الله عنه قال أكثر دعاء النبى ﷺ يوم عرفة فى المواقف :

اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول.

اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر.

اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تهب به الرياح.

اللهم اجعل فى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وفى قلبى نوراً.

اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى.

اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر ومن شر فتنة المحيا والممات وشر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر.

وللحاج أن يستحضر بوائقة وآثامه وفسوقه وعصيانه وغفلته ونسيانه وما فرط فى حق الله وظلم نفسه وهو فى حضرت الحى القيوم ويطلب من الله الرحمة والغفران.

ثم يتوب إلى الله متاباً، توبة نصوحة، عاقداً العزم أن لا يعود إليها أبداً.

ويكون على يقين كامل بأن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به لغير الحاج فما بال الحاج الماثل بين يدى ربه تائباً منيباً.

ويدعو الحاج لنفسه ولأسرته خير الدنيا من سعة رزق وستر ويبارك له فى أولاده وذريتهم وفى الرزق والصحة والعافية والعمر، ويكون الله سبحانه وتعالى له جار فى كل أموره، ولا يجعل الدنيا كل همه ولا يكله لأحد سواه طرفة عين ويقنعه بما قسمه الله له.. فالله سبحانه وتعالى أحن على عبده من الأم على رضيعها.

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ثم يدعو الله بحسن الخاتمة فإذا توفاك يتوفاك وهو راضٍ عنك وتدعو الله أن يرحمك فى القبر ويجعل قبرك روضة من رياض الجنة.

وأن يغسلك بالماء والثلج البرد.

وأن ينقيك من ذنوبك وآثامك كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

وأن يجعل فى قبرك نوراً.

وأن يكفيك شر عذاب القبر .

وأن يفتح على قبرك طاقة من طاقات الجنة .

فتكون سعيداً فى البرزخ مسبحاً بلا إله إلا الله إلى يوم النشور ثم تدعو الله ليوم الحساب .

استحضر عظمة الله أمامك الآن يشملك بعطفه وجوده وإحسانه وبلطفه ورحمته فهو فى سماء الدنيا مطلع عليك ويباهى ملائكته بك بأنك جئت إليه أشعث أغبر تطلب غفرانه ، اغتنم الفرصة وأدعوه فهو البر الجواد لا يرد سائلا .

أن يعطيك فى الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار .

أن يعطيك كتابك بيمينك .

أن يسقيك من حوض سيدنا محمد من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لاتظمأ بعدها أبدا .

أن يظلك تحت ظل عرشة يوم لا ظل إلا ظله ولا باقى إلا وجهه .

أن يثقل موازينك بالقرآن العظيم وأسمائه وصفاته .

أن يشملك برحمته فتسير على الصراط المستقيم بنور الإسلام والإيمان ونور القرآن ونور أسمائه وصفاته .

أن يحرم ذرات جسدك وعقلك ونفسك من عذاب القبر وعذاب النار يا عزيز يا غفار .

أن يجعل القرآن العظيم والرسول الكريم شفيعان لك يوم العرض عليه .

أن يغفر لك الذنوب ويكفر عنك السيئات وأن يبدل السيئات إلى حسنات وأن يقذف فى قلوب من ظلمتهم أن يسامحوك فى هذا الموقف العظيم .

أن يشملك برحمته وبجوده وإحسانه فيدخلك جناته مع الصديقين والشهداء والأبرار .

أن يحرم ذرات جسدك وعقلك ونفسك من عذاب القبر وعذاب النار يا عزيز يا غفار.

أن لا يخزيك يوم العرض عليه وأن يسترك.

أن يجعلك فى صحبة حبيبه وحبيبك سيدنا محمد المصطفى المختار ﷺ.

أن يمتعك فى جناته بالنظر إلى وجهه الكريم.. ثم تحمد الله.

الحمد لله ملأ كونه.

الحمد لله ملأ كرسيه وعرشه.

الحمد لله ملأ قلبك وقلوب عباده المخلصين.

الحمد لله عدد أسمائه وصفاته وكلماته ومخلوقاته وعدد تسبيحاتهم إلى يوم الدين.

الحمد لله يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

الحمد لله حتى يرضى.

الحمد لله لك يا رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم.

والحمد لله رب العالمين.

(ط) الإفاضة من عرفات: «النفرة»:

الإفاضة يعنى الدفع وقد سمى ذلك لانصراف الحجاج مسرعين متزاحمين ويدفعوا بعضهم البعض وقد سميت كذلك بالنفرة ويكون وقتها بعد آذان المغرب حتى نغادر عرفة.

ويرى مالك وجمهور الفقهاء بأن الحاج لا بد له من أن ينتظر حتى المغرب ثم يخرج من عرفة.. وأشاروا أن الخروج قبل هذا الوقت يبطل الحج.

أما الشافعى قال إن مد الوقوف بعرفة حتى الليل سنة فقط ومن لم يدرك جزء من النهار ولم يحضر إلى عرفة حتى غابت الشمس يقف ليلاً فلا شىء عليه وحجه تام.

وتكون الإفاضة من عرفات بالسكينة والهدوء وليس بالضوضاء والتزاحم كما هو الآن فقد أفاض الرسول ﷺ بالسكينة وضم إليه زمام ناقته ، حتى أن رأسها ليصيب طرف رحله وهو يقول: « **أيها الناس .. عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس فى إيضاع الإبل (بالإسراع)** » [رواه البخارى ومسلم وأبو داود].

وكان الرسول يسير رفيقاً من أجل الرفق بالناس فإذا وجد مكانا متسعاً ليس به زحام ، سار سيرا فيه سرعة.

ويستحب فى الإفاضة التلبية والذكر فإن الرسول ﷺ لم يزل يلبى حتى رمى العقبة الكبرى.

يلاحظ أن انصراف الرسول ﷺ انصراف عبد من أمام سيده ، السكينة يضم إليه زمام راحلته لرأسها ليس راكباً وملبياً، هادئاً لأنه يترك المكان ومازال الله سبحانه وتعالى متجلى فى سماء الدنيا فانصرف بأدب النبى ﷺ : ألم يصفه الله سبحانه وتعالى وقال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[**القلم**:٤].

فتأسى بأدب الرسول فى الانصراف من هذا الموقف العظيم ، بسكون وسكينة بلا تزاحم وتشاحن ولم العجلة أسأمت الدعاء؟ لم العجلة وأنت فى حضرت رب كريم. لم عجلة انصراف ملبياً هادئاً معلناً لله سبحانه وتعالى إن حركتك وتركك عرفات ابتغاء أمرك للذهاب إلى المشعر الحرام لذكره وشكره ولعبادته وليس للتخلص من هذا الزحام الشديد.

ملحوظة : لا يصلى المغرب فى عرفات حتى إذا تأخر عليك بها وانتصف الليل ولا يصل المغرب إلا فى المزدلفة مع العشاء قصراً جمع تأخير.

٣ - المزدلفة :

المزدلفة هو المكان الممتد من وادى محسر ناحية منى غربا إى المأزمية شرقاً وسميت بذلك لأن الناس تأتى إليها فى زلف أى فى ساعات الليل وسميت كذلك جمعُ لأن الناس تأتى إليها فى جماعات للمبيت فيها. (شكل رقم ٥).

والمزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر وهو وادى محصور بين منى والمزدلفة. وهو الوادى الذى هلك فيه أصحاب الفيل فعن جبير بن مطعم أن النبى ﷺ قال: «**كل مزدلفة موقف وارفعوا عن محسر**»[رواه أحمد].

أ - الصلاة فى المزدلفة :

الصلاة فى المزدلفة جمع تأخير لصلاة المغرب مع العشاء قصراً.

فعند الوصول للمزدلفة ، يصلى المغرب مع العشاء جمعاً وقصراً بآذان واحد وإقامتين كل مجموعة مع بعضها وذلك سنة عن رسول الله ﷺ ففى حديث مسلم أن النبى ﷺ ، أتى بالمزدلفة فجمع بين المغرب والعشاء بآذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئاً أى لم يصلى بينهما شيئاً من الصلاة المسنونة، كما لم يثبت عن النبىﷺ أنه أحيا هذه الليلة بصلاة تهجد، ففى حديث جابر رضى الله عنه أن النبىﷺ لما أتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء جمعا ثم اضطجع حتى طلع الفجر.

وصلاة المغرب هنا ثلاث ركعات وتصلى بعد وجوب العشاء حتى ولو وصل قبل العشاء ثم إقامة صلاة العشاء وتصلى ركعتين قصراً ولا يصلى بينهما ولا بعدها.

ب- جمع الجمار:

يستحب أخذ جمع حصى الجمار لرمى العقبات الثلاثة من المزدلفة أثناء المبيت أو الوقوف بالمزدلفة ، وعددها ٤٩ حصوة فى حالة التعجل ، ٧٠ حصوة فى حالة عدم التعجل.

ويكون حجم الحصى مثل حصى الخذف «حبة الفول» فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**هات القط لى ، فلقط له حصيات وهى حصى الحذف، فلما وضعهن فى يده قال: بأمثال هؤلاء وإياكم الغلو فى الدين، فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو فى الدين**»[انفرد به النسائى].

جـ- المبيت فى المزدلفة :

بعد الإفاضة من عرفات والوصول للمزدلفة وصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير قصراً يسن المبيت بالمزدلفة ليلة النحر بلا قيام واختلف الفقهاء فى المبيت .

فيرى الأوزعى وابن حزم إن المبيت فرض .

ويرى أحمد إن المبيت واجب حتى تمر ساعة بعد نصف الليل .

ويرى أبو حنيفة ومالك إن المبيت سنة .

كما يسقط المبيت فى المزدلفة لعذر كضعف أو خوف من الزحام أو مرض أو فقد الأصحاب، وذلك لقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها :

كانت سؤدة امرأة ضخمة ثبطةً وقليلة الحركة، فاستأذنت رسول الله ﷺ أن تفيض من جمعُ بليل فأذن لها فوددت أنى كنت استأذنته فأذن لى، كما أذن رسول الله ﷺ لابن عباس أن يخرج من المزدلفة إلى منى ليلاً لضعفه، وهذا إذن لكل من له عذر فى الذهاب إلى منى قبل الفجر يوم النحر لرمى جمرة العقبة قبل الزحام، وهذا متفق عليه .

د - الوقوف عند المشعر الحرام :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٩٨، ١٩٩] .

والمشعر الحرام يسمى قزح وسمى كذلك حيث كانت تضرب سنام الجمال «الهدى» فى الجاهلية بآلة حادة لتسيل منها الدماء، والمشعر الحرام يوجد جهة واد محسر ويقع بين طريق السيارات رقم ٥ وطريق المشاة رقم ١ وفيه مسجد فسيح بمئذنتين تضاء ليلاً بأنوار قوية حتى يتسنى لمن نزل المزدلفة فى أى مكان فيها أن يراه فيستقبله للدعاء كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك، وذلك لتعذر الوصول إليه .

وبعد صلاة الفجر فالوقوف بالمزدلفة على أى صورة سواء واقفاً أو قاعداً أو راكباً أو ماشياً أو محمولاً أو يقظان أو مغمى عليه.

ويستحب الوقوف عند المشعر الحرام «قزح أفضل».

ففى حديث سيدنا على رضى الله عنه قال : أن النبى ﷺ لما أصبح بجمع أتى قزحاً فوقف عليه وقال: «**هذا قزح وهو موقف وجمع كلها موقف**» [رواه أبو داود والترمذى ، وقال حسن صحيح].

والوقوف سنة عند مالك والشافعى وأحمد، ويسقط الواجب بالأعذار السابق الإشارة إليها فى واجب المبيت بالمزدلفة.

وعند الوقوف عند المشعر الحرام «قزح» أن يكثر من الدعاء والذكر وأن ينصرف عند ظهور الصبح جيداً وواضحاً وقبل طلوع الشمس.. وهو سنة عن رسول الله ﷺ مخالفاً للمشركين الذين كانوا يفيضون من قزح إلى منى بعد طلوع الشمس.

وقد اضطجع الرسول ﷺ فى جمع بعد الصلاة وحتى الفجر فصلى ثم ركب القصواء حتى أتى إلى المشعر الحرام «قزح» وظل واقفاً حتى أسفرت السماء جيداً ثم دفع القصواء وتحرك قبل طلوع الشمس.

هـ- الإفاضة من المزدلفة:

بعد منتصف الليل أو منتصف الليل بقليل أو بعد ظهور الصبح ظهوراً وافى للذين وقفوا عند قزح وقبل طلوع الشمس يفيض الحاج بأن يمشى بسكينة ووقار مسبحاً وملبياً وبدون مزاحمة أو إيذاء لأحد حتى إذا أتى واد محسر فإنه يسرع فى المشى وبدون مزاحمة ضارة لأنه يسير فى الوادى الذى هلك فيه أصحاب الفيل.

الوصول إلى منى:

من فجر يوم النحر حتى طواف الإفاضة.

عن عائشة قلت يا رسول الله ألا نبنى لك بيتاً يظلك بمنى . قال ﷺ «**لا منى مناخ من سبق**» وقال [رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه].

١ - **هى** المدينة البيضاء التى تحرم بخيامها كالحجيج.

٢ - **هى** مدينة المائة ألف خيمة التى ليس لها مثيل فى العالم.

٣ - **هى** مدينة المقام للتسبيح والذكر الجميل.

٤ - **هى** مدينة رمى الجمار للشيطان الرجيم.

٥ - **هى** مدينة الذبح والنحر ابتغاء مرضات رب كريم.

٦ - **هى** مدينة الحلق والتقصير زيادة فى العبودية لرب العالمين.

٧ - **هى** مدينة العيد للأكل والشرب والفرحة بانتهاء مناسك الحج المبرور.

٧ - **هى** مدينة القرابين لهابيل وإسماعيل ولأمة الإسلام إلى يوم الدين.

٩ - **هى** مدينة مساجد الكوثر والكبش والبيعة والخيف وغار المرسلات.

١٠- **هى** المدينة التى يتمنى كل إنسان مسلم أن يعيد أيامها بالخير الكثير.

١١- **هى** المدينة المباركة التى بينت الدراسات العلمية فيها قدرة الله العليم الحكيم.

حيث تتخلص من هوائها الملوث فى عصر كل يوم من أيام التشريق.. فقد وجد أن الخيام البيضاء تعكس أشعة الشمس من سطوحها فيلطف الجو داخلها، بينما ترتفع درجات حرارة سطوح جبالها حيث لونها الداكن الذى يمتص حرارة الشمس فيسخن الهواء الملامس لها والتصاعد من الواد والخيام مما يجعل الهواء يتصاعد رويداً إلى أعلى طبقات الجو العليا حيث تدخل مكانها كتلة هواء باردة من اتجاه المزدلفة فى شكل عاصفة تكنس جميع الملوثات المتكونة فى الخيام والشوارع والجبال بقدرة الله العلى القدير.

كما بينت الدراسات أيضاً أن الخيام هى أحسن وسيلة لإعاشة الحجيج حيث يقل محتواها الميكروبى إلى أقل درجة بالمقارنة مع وسائل الإعاشة الأخرى وتفضل بكثير عن الحجرات المكيفة الهواء، وذلك للتهوية الجيدة للخيام مع زيادة حركة الهواء خلالها.

ليس هذا فحسب بل هى أيضاً أقل وسائل الإقامة ضرراً عند حدوث الحرائق حيث يسهل الهروب منها كما أن الحرائق فى الخيام حرائق سطحية لدرجة أننا لاحظنا عدم ذوبان ألواح الثلج فى الخيام المحروقة .

كما وفقنى الله سبحانه وتعالى لإنتاج خيام ضد الحريق مع قسم النسيج بالمركز القومى للبحوث بمصر .

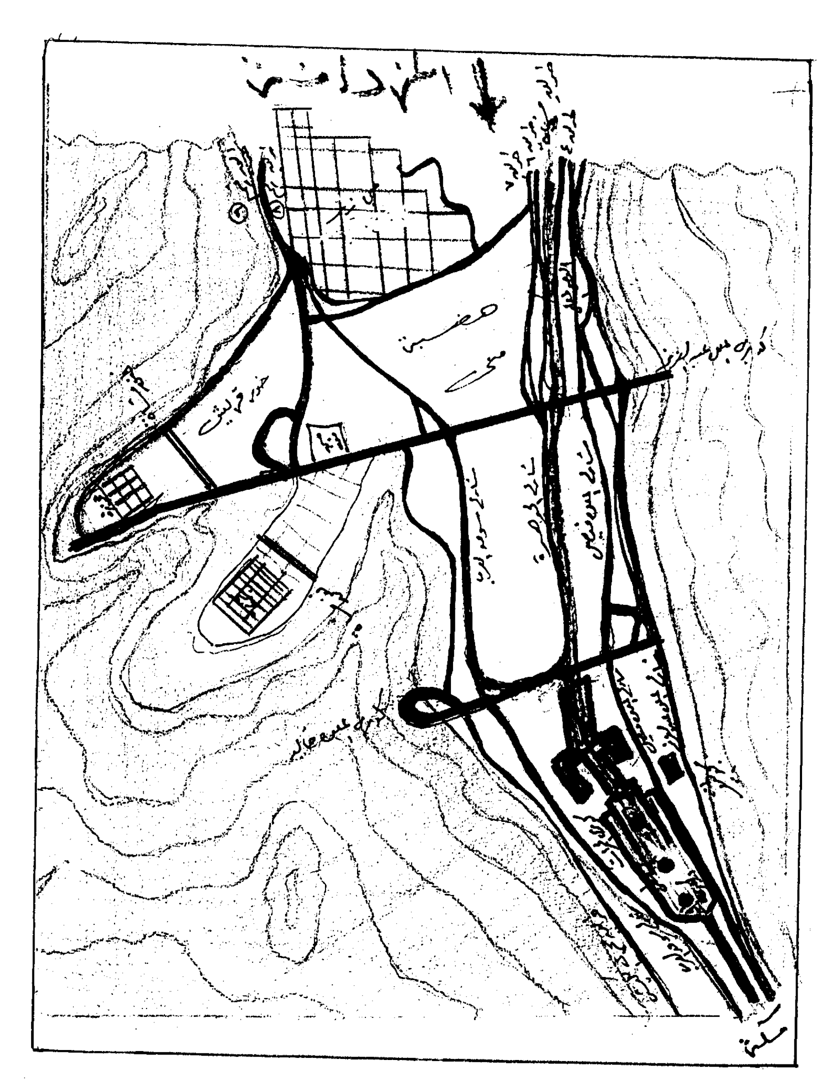
أما الدراسات التى أجريت على الشكل الطبوغرافى لمناطق المشاعر فى عرفات والمزدلفة ومنى قد بينت أنها تعطى شكلاً قمعياً . . فعرفات وادى متسع يسع لملايين الحجاج وليس جبل كما يتصور الناس عندما يقال جبل عرفات ثم المزدلفة وهى أقل مساحة من عرفات ثم أخيراً منى وهى أقل مساحة من المزدلفة وعند مشاهدة الطرق الموصلة بين هذه المشاعر نجد أنه يخرج من عرفات اثنى عشر طريقاً تقل أعداد هذه الطرق حتى يدخل منى ثلاث طرق وينتهى وادى منى بطريق واحد فقط معطياً شكل عاما قمعياً كالرحم فى الإنثى . شكل رقم (٦) .

وكنت أتحرج من التحدث فى هذا الوصف إلا أنه زال هذا الحرج بعدما قرأت أثناء إعداد هذا الكتاب هذا الوصف عن عباس رضى الله عنه : عجباً لضيق منى فى غير الحج فقال : إن منى تتسع لأهله كما يتسع الرحم للولد .

فهل عرفت لماذا نمكث فى منى ثلاث ليال بينما تمر فى عرفات فقط إلا أن نقول سبحان الله .

١ - استكمال أعمال الحج «أعمال يوم النحر» .

الوصول إلى منى للإقامة ولاستكمال أعمال الحج وهى على الترتيب رمى الجمار ، الهدى ، الحلق أو التقصير ثم الذهاب إلى «الحرم» لطواف الإفاضة ثم المبيت بمنى أيام التشريق لرمى باقى الجمار ثم الإفاضة من منى إلى مكة حتى يكون آخر أعمالك هو طواف الوداع .



شكل (٦)

مخطط تفصيلى لمنى

ومن فجر المزدلفة يسمى فجر يوم النحر حتى طواف الوداع تؤدى الأعمال والمناسك الآتية مرتبة كالتالى:

أعمال يوم النحر:

يبدأ بعد الوصول إلى منى مباشرة برمى جمرة العقبة ثم ذبح هدى القران أو نحره أو الذبح عموماً ثم الحلق أو التقصير ثم الذهاب للحرم لطواف الإفاضة.

ويعتبر هذا الترتيب سنة عن رسول الله ﷺ فلو قدم الحاج نسكاً على نسك فلا شيء عليه عند أكثر أهل العلم.

عن عبدالله بن عمرو أنه قال: وقف رسول الله ﷺ بمنى والناس يسألونه فجاء رجل فقال: يا رسول الله أنى لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر فقال رسول الله ﷺ: «**إذبح ولا حرج**» ثم جاء آخر فقال يا رسول الله أنى لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى فقال رسول الله ﷺ «**إرم ولا حرج**» قال فما سئل رسول الله ﷺ شيء قدم أو أخر إلا قال افعل ولا حرج. ونفس الحديث رواه ابن عباس ورواه البخارى.

وسنذكر أعمال الحج بالتفصيل مرتبة (رمى الجمار، الذبح، الحلق أو التقصير).

أ - رمى الجمار:

الجمار جمع جمرة وهى الحجر الصغير فى حجم حبة الفول، ورمى الجمار مصطلح شرعى. بمعنى قذف عدد معين من حصى معين فى وقت معين ومكان معين.

رجيم صفة وصفها الله سبحانه وتعالى للشيطان عندما فسق عن أمر ربه.

﴿**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾[**الحجر**:٣٤].

﴿**وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ**﴾[**الحجر**:١٧].

﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ**﴾[**التكوير**:٢٥].

﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[**النحل**:٩٨].

وفى وادى محسر كانت أكبر عملية رجم من السماء لجيش أبرهة فجعلهم كالعصف المأكول.

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾[الفيل : ٤] .

ومن قبل رجم الله سبحانه وتعالى قوم لوط بحجارة مسومة.

ويجب أن نذكر أيضاً أن من الحجارة ما هى مسبحة بذاتها فما من شىء إلا يسبح بحمده أيضاً فمن الحجارة ما يهبط من خشية الله.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة : ٧٤] .

كما كانت الجبال مسبحة مع سيدنا داود كما أنها فى عالم إحساس فريد.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾[سبأ : ١٠] .

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾[مريم : ٩١] .

ليس هذا فحسب فكان جبل أحد يحب رسول الله ﷺ **«أحد جبل يحبنا ونحبه»**.

ولذلك نجد فى مناسكنا حجر «الحجر الأسود» نقبله رمزاً للأحجار المسبحة فنقبلها كما نقبل أصدقاءنا المؤمنين.

وحجر يرجم رمزاً لكل فاسق عن أمر ربه فيكون رجيم.

مثل سعينا بين الصفا والمروة تخليداً للسيدة هاجر لأنها امتثلت لأمر ربها وقالت لن يضيعنا الله.

ورمى الجمار هنا فى نفس الأماكن التى ظهر فيها إبليس الرجيم لكل من السيدة هاجر وابنها إسماعيل وسيدنا إبراهيم عليهم السلام ليثنيهم عند تنفيذ أمر الله فيكونوا

من الفاسقين مثله فكان جزاءه الرجم منهم الثلاثة حيث رجم كل واحد منهم الشيطان عندما تحدث إليه ليثنيه عن الذبح وساروا فى تنفيذ أوامر الله فكان الجزاء الأعظم أن مَنَّ الله عليهم بالفداء وأن يجعلهم نموذجاً يحتذى بهم ويجعلهم ائمة هذه الأمة.

رجما للشيطان الرجيم اللعين، فنذكر أن من يفسق عن أمر ربه يرجم ومن يطع أمر ربه يرحم ويكرم.

فيكون رجم العقبات هو:

رجماً للشيطان الرجيم لفسوقه عن أمر ربه لعدم إطاعة أوامره بالسجود.

رجما لشيطان نفسك التى تسول لك الفجور والفسوق والفحشاء والعصيان.

رجماً لكل صفة يتصف بها الإنسان تغضب الله.

رجما لكل فعل يدخل دائرة الرياء والشقاق والنفاق والكبر وسوء الأخلاق.

رجما لكل شياطين الإنس والجن الذين يغوون الناس بالمعصية والخسران.

١ - مكان رمى الجمرات:

يتم رمى الجمار فى ثلاثة أماكن معينة بمنى تسمى العقبات وكان رمى الجمار حتى السبعينات من هذا القرن فى شارع فسيح ولما تزايدت أعداد الحجاج ١٩٧٤ حتى وصلت إلى ٢ مليون حاج أنشأت حكومة المملكة السعودية كوبرى الجمرات وبه ثلاثة أماكن يطلق على كل منها لفظ الجمرة أو العقبة، وهى كالتالى:

الجمرة الكبرى وتسمى جمرة العقبة وهى ناحية مكة.

الجمرة الوسطى وهى المتوسط بين الجمرة الكبرى والجمرة الصغرى.

الجمرة الصغرى وهى ناحية المزدلفة فى ناحية الشمال الغربى لمسجد الحنيف.

٢ - حكم رمى الجمار:

ذهب جمهور العلماء والأئمة الأربعة إلى أن رمى جمرة العقبة يوم النحر وكذلك رمى الجمرات الثلاث فى يومين بعد يوم النحر واجب ومن تركه صح حجه

وألزمه دم. . فعن جابر رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمى الجمرة على راحلته يوم النحر ويقول: « **لتاخذوا عنى مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه**»[رواه مسلم].

أما رمى الجمرات الثلاث ثالث أيام التشريق فهى من أعمال السنة فمن شاء فعله ومن شاء تركه ولا شىء عليه.

٣ - نوعية الحصى وأماكن جمعه:

يجمع الحصى من مزدلفة عند المبيت أو الوقوف عندها ويجوز أخذ الحصى من أى موضع آخر فى مكة ويكره أخذها من المسجد أو من المواضع النجسة أو حصيات الجمرات المستعملة التى رماها غيره من الحجاج.

٤ - حجم الجمار:

يستحب أن يكون حصى الرمى فى مقدار حبة الفول كما سبق أن بينا ذلك فى التقاط ابن عباس الجمرات لرسول الله ﷺ.

ويجوز مع الكراهة الرمى بحصى أكبر من ذلك أو يزيد عن هذا الحجم ولا يجوز إطلاقاً الرمى بحجر كبير حتى لا يؤذى الحجاج إذا سقط على أحد منهم. فعن سليمان بن عمرو الأحوصى الأزدى عن أمه قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو فى بطن الوادى يقول: « **يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، إذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الحذف**»[رواه أبو داود وابن ماجه].

ولايجوز الرمى إلا بالحجر اقتداء بسيدنا إبراهيم وإسماعيل وهاجر فلا يجوز الرمى بالحديد أو الذهب أو الفضة أو الرصاص أو النحاس والآن بعض الحجاج يرمون الشباب أو الحجارة الكبيرة، وقد استدل مالك والشافعى وأحمد على رأيهم بأن النبى ﷺ أمر أن يكون الرمى بالحصى ولا يكون الحصى إلا من الحجر.

٥ - أعداد الجمار :

يختلف أعداد الجمار حسب رغبة الحاج من التعجل من عدمه فإذا كان متعجلاً يجمع ٤٩ حصاة .

٧ حصوات لجمرة العقبة	يوم النحر .
٢١ حصاة للجمرات الثلاث سبع لكل جمرة	أول أيام التشريق .
٢١ حصاة للجمرات الثلاث سبع لكل جمرة	ثانى أيام التشريق .

ليكون المجموع ٤٩ حصاة للمتعجل .

ولغير المتعجل يكون :

٢١ حصاة للجمرات الثلاث لكل جمرة	ثالث أيام التشريق .

ليكون المجموع ٧٠ حصاة .

ويكون الرمى لكل جمرة بسبع حصوات .

ويلاحظ أن مجموع الجمار هو سبعون جمرة وهو مماثل تقريباً عكس شعب الإيمان التى ذكرها الرسول الكريم ﷺ حيث قال:« **الإيمان بضع وسبعون شعبة أولها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق**»[البخارى ومسلم والنسائى] .

وبالتالى فبكل حصاة ترميها فإنك ترجم الشيطان الرجيم وترجم شيطان نفسك فى صفة لا يحبها الله سبحانه وتعالى ولا رسوله الكريم وهى عكس صفات الإيمان مثل الصدق فإنك ترمى صفة الكذب فى نفسك وصفة السرقة والنميمة والنفاق . . إلخ .

٦ - كيفية الرجم :

يقف الحاج فى مواجهة النصب الحجرى ، واتباعاً لسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن تجعل الكعبة على يسارك ومنى على يمينك وأن تمسك الحصاة بطرفى

الإبهام والسبابة ثم يرمى حصوة حصوة، سبع حصاة عند كل جمرة، كل حصاة رمية مستقلة . . ورمى سبع حصاة مرة واحدة تحسب برمية واحدة أو حصوة واحدة. تقطع التلبية مع أول حصاة ثم يكبر عند كل رمية لحصاة ويقول:

بسم الله والله أكبر ترغيماً للشيطان وحزبه.

اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً.

ولا يقف عندها بعد انتهاء الرمى.

أما فى أيام التشريق فإنه يبدأ برمى الجمرة الصغرى التى فى اتجاه المزدلفة بسبع حصيات متفرقات مع الدعاء والتكبير مع كل حصاة كما فعل يوم النحر.

ثم يقف بعد تمام رمية العقبة الصغرى مستقبلاً القبلة مهللاً ومصلياً على رسول الله ﷺ ويدعو طويلاً رافعاً يده حذو منكبيه، مستغفراً لنفسه ولأبويه وللمؤمنين، ويكرر ذلك مع العقبة الوسطى أما فى العقبة الكبرى فلا يقف عندها بعد انتهاء الرمى للذكر والدعاء لعدم ورود ذلك عن النبى ﷺ.

والثابت عن رسول الله ﷺ أنه بدأ فى التشريق برمى العقبة الصغرى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة ، وثبت أنه ﷺ قال: **« خذوا عنى مناسككم »**.

واستدل أحمد ومالك والشافعى على ذلك على اشتراط الترتيب لصحة الرمى.

٧ - أيام رمى الجمرات:

ترمى الجمار فى ثلاثة أيام لمن تعجل وأربعة أيام لمن تأخر لقوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[البقرة:٢٠٣].

والثلاثة أيام هى:

أ - يوم النحر : ترمى فيه العقبة الكبرى فقط.

ب- يومان من أيام التشريق لمن تعجل بالنفر من المنى وترمى الجمرات الثلاث

فى كل يوم بالترتيب التالى : الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى .

وعليه أن يغادر منى قبل غروب الشمس ثانى أيام التشريق فإن بقى حتى غربت وجب عليه أن يرمى الجمار الثلاث فى ثالث أيام التشريق ويسقط تعجله .

جـ- ثلاثة أيام من أيام التشريق لمن تأخر ويرمى الجمار فى اليوم الثالث بنفس الترتيب السابق .

٨ - وقت رمى الجمار :

الوقت المختار للرمى يوم النحر هو وقت الضحى بعد طلوع الشمس وحتى الزوال «الثانية عشر ظهراً» كما فعل رسول الله ﷺ من يفعل ذلك فقد أصاب السنة ورمى فى الوقت المستحب فيه الرمى، والرمى قبل الضحى يوم النحر فيه خلاف بين الفقهاء :

أ - أجازه عطاء وطاووس والشعبى وابن أبى ليلى وعكرمة بن خالد والشافعى وراوية عن أحمد، وهو : الرمى ابتداء من منتصف ليلة النحر .

ب- أما المالكية والأحناف وإسحاق وابن المنذر وراوية أخرى عن أحمد فقد أجازوا الرمى بعد الفجر وقبل طلوع الشمس .

هذا الخلاف على القادرين من الحجاج والذين ليس لهم عذر .

جـ- أما من رخص لهم رسول الله ﷺ فلهم أن يرموا من نصف ليلة النحر ، حيث قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ **«ارسل ام سلمة ليلة النحر، فرمت قبل الفجر وأفاضت»**[انفرد به أبو داود] .

أما الرمى فى أيام التشريق الثلاثة .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « **إن النبى ﷺ رمى الجمار عند زوال الشمس أو بعد الزوال**» [رواه أحمد وابن ماجه والترمذى] .

ويكره تأخير الرمى فى هذه الأيام إلى الليل لغير عذر، أما إن كان لديه عذر فيجوز له تأخير الرمى إلى طلوع شمس اليوم التالى، وقد أفتى بذلك عندما حدث

تزاحم شديد وسقط العديد من القتلى عندما أفتى بعض رجال الدين بأن من رمى بالليل فرميه باطل فتزاحم الحجاج فى اليوم التالى وكانت الكارثة. . واجتمع أئمة المسلمين فى هذا اليوم من هذا العام من مختلف الدول الإسلامية وأجازوا الرمى خلال اليوم كله.

فالمفروض فى النسك أن يؤدى ليس فى الزمان المحدد فقط ولكن يؤدى بالطمأنينة والتدبر والخشوع واتباع سنة رسول الله ﷺ فى آداب الرمى وطريقته والدعاء فلا نتمسك فقط ونتشدد فى وقت الرمى ونهدر الأمور الأخرى وهى أهم من الوقت فقد أجاز العلماء الرمى من الدور الثانى فى كوبرى الجمرات ولم يكن هذا موجوداً أيام الرسول ﷺ وحتى سنة ١٩٧٤ وضاعفوا بذلك المكان فلماذا يصر بعضهم على عدم مضاعفة الزمان أو الوقت الخاص بالرمى وخصوصاً أن أعداد الحجاج قد قفزت إلى أكثر من ٢ مليون حاج سنوياً.

وبحساب بسيط لنبين حجم هذه المشكلة.

أولاً : أن الدائرة التى من المفروض أن يرمى بداخلها الحاج تستوعب حولها حوالى ١٠٠ حاج ويكون عدد صفوف الحجاج حول هذه الدائرة حوالى ١٠ صفوف حتى لا تقع الجمار على الحجاج أو خارج الدائرة وهو مكروه طبعاً فتكون كفاءة المكان ١٠٠ حاج X ١٠ صفوف = ١٠٠٠ حاج فى الطابق ويكون إجمالى الحجاج حول الدائرة فى الطابقين ٢٠٠٠ حاج.

ثانياً : الزمن المطلوب لكل حاج أن يرمى سبع حصوات تبعا لسنة رسول الله ﷺ فى الطريقة والدعاء والخشوع واستحضار رمى الشيطان الرجيم على الأقل دقيقتين فيكون استيعاب المكان فى الساعة ٢٠٠٠X ٣٠ دقيقة = ٦٠,٠٠٠ حاج/ ساعة.

ثالثاً : الزمن من طلوع الشمس حتى الزوال أو من الزوال حتى المغرب حوالى فى كل وحدة ٦ ساعات تقريباً. فيكون الاستيعاب فى هذه المدة

٦ ساعات X ٦٠,٠٠٠ حاج/ساعة = ٣٦٠,٠٠٠ حاج/يوم.

وهو ثلاثة أضعاف عدد الحجاج أيام الرسول ﷺ فما حال اليوم ٢ مليون حاج.

إذا المطلوب حسب ميعاد رمى الجمار والذين يتشددون فيه:

٢,٠٠٠,٠٠٠ ÷ ٣٦٠,٠٠٠ = ٥,٥٠ كوبرى جمرات.

بمعنى أن نبنى كوبرى بارتفاع ١٢ طابق فهل هذا معقول.

ثم نفتى ويقال من لم يرم الجمرات فى هذا الوقت غير متبع لسنة الرسول ﷺ.

ولماذا لا نتبع ما أجازه أبو حنيفة والشافعى ومالك فى تأخير رمى الجمار لبعد غروب الشمس لغير عذر مكروه ولا شيء عليه بل ذهب أحمد واسحق إلى تأجيل زمن الرمى حتى ثانى أيام التشريق بعد الزوال لرمى جمرة العقبة.

٩ - ترك الرمى أو التأخير:

يكره ترك رمى جمرة العقبة يوم النحر ما لم يكن لديه عذر.

ومن ترك شيئاً عمداً أو سهواً فى أيام التشريق تداركه فى اليوم الثانى أو الثالث وهكذا ويجوز رمى الأيام الثلاثة فى اليوم الثالث.

وعن الشافعى وأحمد أن الرمى جائز فى كل أيامه ولو جمع كل الرمى فى يوم واحد وعند ذلك عليه أن ينوى عن اليوم الثانى ثم اليوم الثالث، ومن تدارك الرمى فلا دم عليه.

أما من ترك الرمى كله حتى انتهت أيام التشريق فعليه دم.

وعند الأحناف: أن من ترك يوم واحد أو ترك أكثر الحصى فعليه دم.

أما المالكية: أن من ترك حصاة أو حصاتين فعليه دم.

بينما الشافعية: من ترك حصاة من السبع حتى مضت أيام التشريق لزمه مد من طعام.

من ترك اثنتين من السبع حتى مضت أيام التشريق لزمه دمان.

من ترك ثلاثة من السبع حتى مضت أيام التشريق فعليه دم.

ب - الهدى:

هى من الأنعام التى تذبح تقرباً إلى الله تعالى.

فقد خلق الله لنا من آكلات العشب أنعاماً ذللها لنا لتأكل لحومها ونشرب ألبانها ونصنع من أوبارها وأصوافها لباساً ونستخدم جلودها سكناً ونركب ما يصلح للركوب منها.

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾[يس٧١-٧٣].

والحج رحلة إلى الله سبحانه وتعالى إعلاناً بعبوديتنا إلى الله الواحد الأحد ونحمد الله على نعمائه، فالتلبية هى لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك .. لذلك نجد سورة الحج قد أفرد الله سبحانه وتعالى أربعة آيات قرآنية لهذه الشعيرة، وهذا النسك العظيم.

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢].

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الحج:٣٤، ٣٥].

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾[الحج:٣٧].

فسبحان الله سخرها لنا وذللها لنأكل لحومها ونشرب ألبانها ونركبها ونستفيد منها ثم جعلها منسكاً وجعلها من شعائر الله ويقول سبحانه أفلا تشكرون، وكيف لا نشكرك يا الله على نعمائك وجودك وإحسانك وعلى عطائك فقد سخرت لنا ما فى

السماوات والأرض لكى نعمرها ونسبح بحمدك ونعبدك ونشهد أنك أنت الله الواحد الأحد، ومن يعظم شعائر الله وأنت بها الحاج المستفيد منها ولكن الله سبحانه وتعالى يعتبرها من تقوى القلوب ثم يبشر الله سبحانه وتعالى المخبتين والمحسنين.

كما بين لنا الرسول ﷺ أن من يعظم شعائر الله ويكبر الله على ما هداه ويذبح النسك فهى من أحب الأعمال إلى الله حيث قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ قال:« **لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها. وإن الدم ليقع من الله عزوجل بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً**».

ويقول ﷺ أيضاً « **لكم بكل صوفة من جلدها حسنة ولكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع فى الميزان فأبشروا**».

صدقت يا رسول الله فإنك لا تنطق عن الهوى فكل صوفة حسنة والصوفة تمثل خلية واحدة ممتدة بمعنى أن كل خلية من خلايا الهدى والأضحية حسنة سواء شعر أو دم أو لحم أو عظم فالكل يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، وأى شرف شرفت به هذه الأنعام لأنها تساق وتذبح ابتغاء مرضات الله ولتكبر عليها وتذكر اسم الله وأن يجعلها الله سبحانه وتعالى من شعائر الله وجعلها طعاماً للقانع بما تقدمه إليه والمعتز السائل الذى يسأل العطاء فهى تدعو لك شاكرة لك سعيك وعملك وتأتى يوم القيامة كما أبلغنا الرسول الكريم شاهدة لك أنك أرقت دمها ابتغاء مرضات الله وامتثالاً لأوامره وحباً فى طاعته.

ويلاحظ أن نصيبك فى البدن «الجمل من سن ٤ سنوات إلى ٦ سنوات بمتوسط وزن ٥٠٠ كجم ويقسم إلى سبع أفراد فيكون نصيب الفرد ٧٠ كجم تقريباً ألم تلاحظ أن هديك من البدن يماثل وزن جسدك تقريباً ، فالهدى فداء لك بدلاً من أن تقدم نفسك كما سبق وأن قدم نفسه سيدنا إسماعيل عليه السلام امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى وفداه بذبح عظيم عندما امتثل إلى أمر الله.

والله سبحانه وتعالى يفديك أيضاً بالسماح لك بذبح الهدى الذى ذلله الله لك لذبحه وتوزيع لحمه للفقراء والمساكين.

وإذ كنت تفتدى نفسك بهذا الذبح، فيجب أن تختار ما يليق بهدى يقدم إلى الله وحتى يكون ثقيلاً فى ميزانك ومطية لك يوم القيامة وشاهدة لك يوم الحساب، عرفت مقدار هذا النسك وما أعظمها شعيرة.

أيليق بنا نحن المسلمون الآن أن نرهق هذا الدم ولا نستفيد به ونأكل لحومها ونطعم الفقراء والمساكين، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بهذا . . أتهدر الدم واللحم بلا استفادة مع تلوث البيئة وتنتشر الأوبئة والأمراض وإخواننا المسلمون يموتون جوعاً فى أفريقيا وآسيا.

نعم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها، ولكن أمرنا الله أيضاً بالاستفادة الكاملة بأن نأكل منها ونطعم الفقراء والمساكين، ألم يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نشكره على ما رزقنا من بهيمة الأنعام.

وقد كانت استجابة المملكة العربية السعودية عندما تقدمت بمشروع الاستفادة الكاملة من لحوم الهدى وهو مشروع قدم من مركز أبحاث الحج جامعة الملك عبدالعزيز والمركز القومى للبحوث بالقاهرة، وأفردت الميزانيات اللازمة لبدء المشروع فورا ١٩٨٣ وقد ظهر فقه الإنابة وأقر أن يكون بنك التنمية الإسلامى بجدة ينوب عن جماعة المسلمين بشراء وذبح وتوزيع اللحوم إلى البلدان الإسلامية الفقيرة، ولكن لم يستكمل باقى المشروع لنهايته لتصنيع هذه اللحوم لإنتاج أكثر من ٨٠ مليون وجبة محفوظة ليست لأسباب فنية ولكن لأسباب إدارية فى هذا الوقت.

أليس من الأحرى أيضاً أن نأخذ برأى الإمام الشافعى والشيخ سيد سابق فإنه يجوز ذبح هدى التمتع قبل يوم النحر وهو ابتداء من أوائل شهر شوال إلى آخر ذى الحجة حيث أن هدى التمتع يمثل ٧٥٪ من مجمل الهدى المذبوح يوم النحر والذى وصل فى السنين الأخيرة إلى أكثر من مليون رأس تذبح فى اليوم الأول منها ٧٠٠ ألف بلا أدنى استفادة حيث تترك للتعفن والردم. . أما ذبح هدى التمتع على مذهب الإمام الشافعى سوف نستفيد الاستفادة الكاملة من هذه اللحوم حيث يتم توزيع الذبح على مدار ثلاثة أشهر وليس ثلاثة أيام فقط.

الكل يسأل متى ذبح الرسول ﷺ فى حجة الوداع : الرسول ﷺ كان حاجاً مقرناً يلتزم ذبحه يوم النحر للتحلل ، فيرد عليهم فى يوم النحر فى أى ساعة يقال لهم بعد شروق الشمس، واتباعاً لسنة الرسول ﷺ تهدر هذه الأعداد الهائلة من الهدى ونسوا أيضاً أمر الله وسنة رسول الله بأن نأكل منها ونطعم الفقراء والمساكين، والاستفادة منها لا بدفنها وعدم الاستفادة . . أما الاستدلال فصلى لربك وانحر .

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر : ١ - ٣]

فالسورة مكية ونزلت فى أوائل الدعوة الإسلامية مسلسل نزولها رقم (١٥) بينما الحج لم يقر إلا فى السنة التاسعة هجرية ومسلسل نزول سورة الحج وهى مدنية (١٠٣) ولايصلى صلاة عيد فى الحج، فتكون الآية خاصة بالمسلم غير الحاج بأن يضحى المسلم القادر يوم العيد بعد الصلاة فى جميع البلاد الإسلامية كفرحة للعيد ومشاركة حجاج بيت الله الحرام فى فرحتهم كما أنه ليس للحاج المفرد أن يذبح مما يدل على أن هذه السورة ليست للحاج كما ذكرنا سابقاً ، ولكنها سنة مؤكدة لكل مسلم قادر غير حاج .

الهدى فى الحج :

يطلق على ما يذبح تقرباً إلى الله من الأنعام ثلاثة أسماء هى :

الأضحية - الهدى - الكفارة .

الأضحية : اسم ما يذبح من الأنعام يوم النحر وأيام العيد للتقرب إلى الله ويقال لها أضحية أو ضحية ، وهى للمسلم غير الحاج .

الهدى : فى اللغة والشرع هو ما يهدى إلى الحرم من الأنعام قربة إلى الله تعالى وهى لكل حاج متمتع أو قارن .

الكفارة : اسم ما يذبح من الأنعام قربة إلى الله تعالى لجبر ما يعجز المسلم عن أدائه من نسك أو بعض أعمال فى الحج أو العمرة أو فدية لما ارتكبه من جنايات على

الإحرام أو جنايات على الحرم ومكانها الحرم، فيقول الله سبحانه وتعالى فى هدى الحج والكفارة:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[**البقرة**: ١٩٦]

مما سبق يتضح لنا مكان ذبح الهدى والكفارة هو الحرم فقط بينما الأضاحى تذبح فى أى مكان فى العالم.

(١) مواصفات الهدى:

الهدى من الأنعام وهى الإبل والبقر والأغنام بالإجماع والأفضلية للإبل تليها البقر ثم الأغنام باتفاق العلماء، ولا يجزئ من الأنعام إلا :

١ - الثنى من الأغنام وهو ما له ثنى ودخل فى السنة الثانية وأجازوا الجزع من الضأن وهو ما تم له ستة أشهر وكان ثميناً.

ب- الثنى من البقر وهو ما له حولان ودخل فى العام الثالث.

جـ- الثنى من الإبل وهو ما له خمس سنوات ودخل فى العام السادس.

ولا يجزئ ما يكون منها مقطوع أكثر الأذن أو الذنب ولا يجزئ العمياء والعوراء والعجفاء والهزيلة والعرجاء.

روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لبنيه: يا بنى لا يهد أحدكم الله تعالى من البدن شيء يستحى أن يهديه لكريمة فإن الله أكرم الكرماء وأحق من اختير له.

(٢) إشعار الهدى وتقليده :

الإشعار : هو شق سنام الجمل أو البقرة ذات سنام حتى يسيل دمها ويجعلها علامة بأنها أصبحت هدياً.

التقليد : هو وضع أى شىء حول عنق الهدى ليعرف بها إنها هدى وهو تقليد قديم عند العرب حيث كانوا يضعون قطعة من الجلد حول عنق الهدى، ووضع مثل هذه الأشياء حول عنق الأنعام يعرف أنها مهداة للحرم فلا يتعرض لها أحد ولو رعى وحده أو مشى وحده، وإن ضل عرف ، وإشعار الهدى وتقليده هو تعظيم لشعائر الله وإظهارها وإعلام الناس بأنها قرباناً تساق إلى بيته تذبح له ويتقرب بها إليه فيكرمها الناس ولا يتعرضون لها.

ومن السنن أن يسوق الحاج هديه مقتد بالنبى ﷺ ومن أحرم ومعه الهدى فيعين له الإشهار والتقليد من الميقات ومن بعث فهدى إلى البيت الحرام فيشعر ويقلد من بلده كما فعل رسول الله ﷺ ، ومن الواضح أن هذه السنة لا تتيسر الآن للحجاج الذين يصلون للحج والعمرة بالبواخر والطائرات والسيارات.

(٣) حكم الهدى :

من الهدى ما هو مستحب وما هو واجب.

المستحب من الهدى هو من يريد التطوع به بعد أداء العمرة وحدها أو حج مفرداً أو غير الحاج أو المعتمر الذى يريد أن يذبح هدياً للحرم كما فعل رسول الله ﷺ فقد أهذى رسول الله ﷺ مرة غنما وقلدها وبعث بها مع أبى بكر رضى الله عنه عندما أمّره على الحج فى السنة التاسعة من الهجرة ليذبح فى الحرم.

وتقديم الهدى فى هذه الحالات جميعها سنة فمن فعلها أخذ ثوابها ومن تركه فلا إثم عليه فلا شىء عليه.

أما الهدى الواجب فهو على النحو التالى :

أ - على من أحرم قارنا «حج وعمرة».

ب- على من أحرم متمتعاً «من العمرة إلى الحج».

جـ- على من نذر تقديم هدى للّه تعالى يذبح للحرم.

والذبح هنا واجب حتى فى حج التطوع وفى حج الواجب وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء.

وللمرء أن يهدى ما يشاء من الأنعام فقد أهدى رسول الله ﷺ مائة من الإبل وكان هديه هدى تطوع.

وأقل ما يجزئ عن الواحد شاة أو سُبع بدنة - بقرة أو جاموسة- قال جابر رضى الله عنه : حججنا مع رسول الله ﷺ فنحرنا البعير عن سبعة والبقرة عن سبعة. [رواه أحمد ومسلم].

ولا يشترط فى الشركاء أن يكونوا جميعاً ممن يريدون لنحرهم القربة إلى الله تعالى، بل لو أراد بعضهم التقرب إلى الله وأراد الآخر للحرم.. وهذا رأى جميع الفقهاء إلا الأحناف فقد اشترطوا اشتراك السبعة أشخاص فى البدن أن تكون النية واحدة وهى التقرب إلى الله.

(٤) مكان الذبح:

يذبح الهدى بجميع أنواعه فى مكة المكرمة فى أى موضع منه لحديث جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **كل عرفة موقف وكل منى منحر وكل مزدلفة موقف وكل فجاج مكة طريق ومنحر**»[رواه أبو داود وابن ماجة].

وكان يتقبل ذبح الهدى فى منى وهدى المعتمر فى المروة وهو مكان الحلق والتقصير وموضع التحلل من الإحرام ، وأصبح الآن غير ممكن لأن الذبح لا بد وأن يكون فى المجازر درءاً للتلوث وانتشار الأمرض.

(٥) وقت الذبح :

عن مالك وأحمد اختصوا أيام النحر والتشريق الثلاثة لذبح الهدى بكل أنواعه بينما الأحناف قالوا أنه يذبح هدى التمتع والقرآن أيام النحر الثلاثة أما هدى النذور

والتطوع فإن ذبحه لا يختصه يوقف أما الشافعية بينوا أن وقت ذبح الهدى يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة لقول سول الله ﷺ : « **كل أيام التشريق ذبح**»[رواه أحمد] .

فإن فات وقته هذا ذبح الهدى الواجب قضاء .

كما يرى الشافعية كذلك جواز ذبح هدى التمتع يوم إحرامه بالحج ولديهم رأى آخر ذبح هدى التمتع بعد آداء العمرة والتحلل منها وإن كانوا يرون أن الأفضل هو ذبح الهدى يوم النحر .

وقد أفتى الشيخ سيد سابق ١٩٧٢ بذبح هدى التمتع عقب أداء العمرة وهو رأى يتوافق مع المواقف الصعبة فى هذه الأيام لتزايد أعداد الحجاج إلى أكثر من ٢ مليون حاج وأكثر من مليون هدى وهو رأى عملى يواجه الظروف الصعبة من الارتفاع الفاحش فى ثمن الهدى وندرة الهدى المناسب للذبح كما أن الذبح بعد أداء العمرة للتمتع فيه تأكيد للانتفاع بلحوم الهدى كاملة خلاف أيام النحر حيث تدفن أو تحرق علاوة على تلوث المشاعر بالروائح الكريهة والميكروبات وانتقال الأمراض وعدم الاستفادة منها .

(٦) كيفية الذبح :

يستحب أن يذبح الحاج هديه بنفسه إن أمكن وإن لم يستطع ذلك أناب غيره بالذبح عنه بشرط أن يحسن الذبح ويسن أن يشهد الذبح .

وتوجه الذبيحة جهة القبلة إن أمكن ذلك يقول عند الذبح ما قاله رسول الله ﷺ «**بسم الله والله أكبر**» .

وتنحر الإبل وهى قائمة معقولة اليد اليسرى كما كان يفعل رسول الله ﷺ وأصحابه أما البقرة والغنم فيستحب أن تضجع قبل ذبحها برفق على جنبها الأيسر مرسلة رجلها اليمنى مشددة أرجلها الثلاثة .

أما ما يحدث فى هذه الأمور كلها أيام النحر فلا يليق بالإسلام ولا بالمسلمين من المخالفات الجسيمة ولضيق المكان تذبح الذبائح على بعضها البعض ولا تضجع ولا

يسمى عليها ولا يسن سكين وتؤخذ أجزاء منها وهى ما زالت تتحرك وكثرة الخبائث والروائح الكريهة فى صورة متنافية تماماً عن تعاليم هذا الدين الحنيف برحمة الحيوان عند الذبح كما علمنا رسولنا الكريم بأن تسن السكين قبل ضجع الحيوان وأن نضجعه برفق وأن يروى قبل الذبح وأن يخبىء السكين وراء الظهر وأن لا يذبح حيوان أمام أخيه الحيوان. . أين نحن من سنن رسول الله . . ثم نأخذ من السنة فقط ميعاد الذبح.

(٧) تصريف لحوم الهدى:

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الحج:٣٦].

ويستحب من أكل الهدى والتصدق منه على مساكين الحرم سواء كان هدى تمتع أو هدى قران أو هدى تطوع وهو رأى جمهور الفقهاء والقانع هو القانع بما يعطى له والمعتر «المتعرض للسؤال» ولكل من الأئمة الأربعة له رأى فى توزيع الهدى.

١ - الحنفية التصدق بالثلث وأكل الثلث وادخار الثلث.

٢ - الحنابلة التصدق بالثلث وأكل الثلث وإهداء الثلث.

٣ - الشافعية التصدق بالنصف وأكل النصف.

٤ - المالكية والتصدق والأكل والإهداء بدون تحديد.

ولا يجوز بيع جلد الهدى ولا بأى شىء من أجزائه ولا يتصدق بها.

ولا ينتفع بجلد الهدى ولا أجزائه فى البيت ونحوه فيما عدا جلد هدى التطوع.

ولا يجوز أخذ الجزار أجره من الهدى ولكن يجوز إهداؤه منه أو التصدق عليه.

يلاحظ أن جميع الأئمة قالوا امتثالاً لأوامر الله فكلوا منها والتصدق والإهداء لا للرمى والدفن والحرق كما يحدث الآن.

(٨) حكم من لا يجد الهدى :

قال الله تعالى فى محكم آياته :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[البقرة :١٩٦] .

التمتع فى اللغة وفى عرف الصحابة يشمل القران والتمتع فى الحج وعلى ذلك أجمع الفقهاء على وجوب الهدى على كل من أحرم قارناً أو متمتعاً .

وعلى من لم يجد الهدى الملائم أو فقد نقوده أو غير قادر على شرائه لغلو ثمنه ونظرا للثواب العظيم والخير الكثير لمقيم شعائر الله وتعظيمها فإنه يجب على الحاج أن يجعل شراء هديه فى الصورة التى يجب أن يهديها إلى الله أولى من شىء آخر مثل المشتريات والهدايا . . ونحوها .

ومن فضل الهدى وعظيم ثوابه قول رسول الله ﷺ :« استنجدوا هداياكم فإنه مطاياكم يوم القيامة »، ويقول ﷺ: **« لكم بكل صوفه من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة إنها توضع فى الميزان فابشروا»** ، ويقول ﷺ : **« من ضحى طيبة بها نفسه ، محتسباً لأضحيته كانت له حجاباً من النار»** .

وعلى من يجد الهدى أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

صيام ثلاثة أيام فى الحج.

أ - الأيام الثلاثة فى العشر الأوائل من ذى الحجة وقبل يوم عرفة، ويرى ابن عمر رضى الله عنهما أن الصوم قبل يوم التروية ولا يجوز الصوم يوم التروية ويوم عرفة فإذا لم يصمها أو يصم بعضها قبل العيد فله أن يصومها فى أيام التشريق وذلك لقول أم المؤمنين عائشة وابن عمر رضى الله عنهم :(لم يرخص فى أيام التشريق أن يصمن، إلا لمن لم يجد الهدى)[رواه البخارى] .

ب- الصيام أول شوال وهذا رأى طاووس ومجاهد وهو حكم خاص عن من نوى الحج فى أول أشهره شوال وكان يعلم يقيناً أنه لن يستطيع الحصول على الهدى وإذا فاته صيام ثلاثة أيام فى الحج لزمه قضاؤها بعد العودة إلى بلده.

أما الأيام السبعة الأخرى فإنه يصومها إذا رجع إلى وطنه ويرى مجاهد وعطاء جواز صيامها إذا رجع إلى رحله بمعنى وهو فى العودة إلى بلده.

ولا يجب التتابع فى صيام هذه الأيام فيجوز صيامها متقطعة كأن يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع أو كيفما شاء صام.

ويسرى على هذا الصوم ما يسرى على الصوم الواجب كشهر رمضان من أحكام فإن لم يستطع الصوم عليه أن يكفر عن ذلك بإطعام مسكين عن كل يوم.

وإذا كانت هذه الأحكام على من لم يجد هدى الواجب فى حالة القران والتمتع فإنها تستحب كذلك على كل الحالات الأخرى كهدى التطوع والكفارة.

الكفارة:

الكفارة هى الدماء التى تراق لجبر ما تركه الحاج من واجبات الحج والعمرة أو التوبة إلى ما اضطر عمله أو ما حيل بينه وبين عمله أو التعدى على ما حرمه الله من الحرم «حيوان ونبات» وتنقسم الكفارة إلى الآتى:

١ - دم واجب : بارتكاب محظور من محضورات الإحرام كالوطء وما يلحق به والطيب والحلق ونحوه.

٢ - دم واجب : بالجناية على الحرم كالتعرض لصيده أو قطع شجره أو قتل حيوانه ودوابه.

٣ - دم واجب : على ما فاته من مناسك الحج أو حيل بينه وبين أدائه لأى سبب من أسباب الحصر وكذلك العمرة إلى غير ذلك من الأمور.

ويجزئ الشاة فى دم كفارة ما سبق إليه فى الحالات السابقة إلا فى ثلاث حالات لا يجزئ فيها إلا بدنة ومن وجبت عليه شاة ولم يجدها فإنه يقدم سبع بدنة أو سبع بقرة، وتجب البدنة كاملة فى الحالات التالية:

أ – من طاف بالبيت جنباً أو حائضاً أو نفساء.

ب– على من جامع «الوطء» بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق والتقصير.

جـ– على من نذر يذبح بدنة أو جزورا لله فى الحرم. ومن لم يجد البدنة فعليه ذبح سبع شاة، وذلك عن سنة رسول الله ﷺ فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ أتاه رجل فقال إن على بدنة وأنا موسرا بها ولا أجد فأشتريها، فأمره ﷺ أن يبتاع سبع شياه فيذبحهن [رواه أحمد وابن ماجة ونسبه صحيح].

وذبح الكفارات ليس لها وقت للذبح مثل الهدى ولكن تذبح فى أى وقت كما أنها تخص الفقراء فقط فلا يجوز لغيرهم ولا لمن ذبحها أو الأكل منها، ولكنها تتفق مع الهدى فى بقية الشروط والأحكام.

جـ- الحلق والتقصير:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

كما سبق أن ذكرنا سالفاً عندما يحرم الإنسان ويلبى تحرم معه وتلبى معه جميع خلايا جسده وتصبح مسبحة ملبية طوافه معه، فالحج هو حج جسد وجوارح ونفس وعقل معاً.

وبعد رمى الجمار وإعلان الحاج أمام الله وأمام نفسه وأمام الناس جميعاً أنه رجم ودحر الشيطان الرجيم وشيطان نفسه ابتغاء مرضات الله وتنفيذاً لأوامره واتباعاً لسنة رسوله الكريم ﷺ.

وذبح الحاج هديه وتقدم بها إلى الله كما فعل سيدنا هابيل وسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وبدلا من ذبح أنفسنا فسخر لنا هذه الأنعام لهذا المنسك العظيم.

(١) حكمة الحلق والتقصير:

ونحن فى هذا النسك وهو الحلق والتقصير هو مشاركة الحاج بجزء من جسده

تهدى إلى الله سبحانه وتعالى بلا إراقة دماء تعبير لهذا الفداء. . فجعل الله سبحانه وتعالى ما كان بالأمس محرماً إزالته من أجسامنا كنتف شعر أو قصف الأظافر حيث كانت محرمة معك أن تستباح الآن حلقها والتخلص من الأظافر مشاركة من أجسامنا كهدية للَّه رب العالمين، وكان الله بنا رؤوفاً رحيما بأن جعل الفداء بجزء من أجسامنا بلا إراقة دماء وكما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾[الحج:٣٧].

وكما علمنا سابقاً إذا قتلت دابة فى الحرم أو اقلعت نباتاً تكون قد أتيت جرماً جزاؤه هو ذبح هدى إلى الحرم وكذلك إذا أزلت شعراً أو قلمت ظفراً يكون جزاؤك ذبح هدياً إلى الحرم بذلك يكون كل شعرة من جسدك وكل خلية من جسدك مثل الدواب الآمنة فى الحرم فإن قتلتها فتكون قد أجرمت وعليك ذبح هدى ولذلك فيكون حلق الشعر بالكامل وما يتبعه من سنة الرسول ﷺ من تقليم الأظافر مماثلاً بالضبط ذبح آلاف من الهدى وهى عدد شعر رأسك وخلايا أظافرك وتقديمها هدياً إلى الله لتنال تقوى الله ولتكبر على ما هدانا إليه من نعمة الإسلام والإيمان وأداء هذا النسك وهذه الفريضة العظيمة وهى هدى بلا إراقة دماء رحمة من الله الرحمن الرحيم، لذلك كان حديث رسول الله ﷺ أن المحلقين أفضل من المقصرين باختلاف عدد الخلايا المضحية بها المحلق عن المقصر فقد قصر المقصر فعلا فى أداء هذا النسك بأن أهدى باجزاء فقط من بعض الخلايا وشتان بين الاثنين.

وأنى أرى هنا أن حلق الشعر ليست بإزالة تاج الرأس أو زينة الإنسان كما يقول بعض الفقهاء حيث أنه فى أيام رسول الله ﷺ كان المسلمون الأوائل يرتدون العمائم فلا يرى الحاج إن كان مقصراً أو حالقاً بعد التحلل من الإحرام.

ويلاحظ أيضاً أن من السنة الكريمة فى اتباع الحلق أو التقصير كما يتبع بالضبط فى ذبح الهدى فكان الرسول ﷺ يستقبل القبلة والتكبير ثم الصلاة ركعتين بعد أداء النسك . . ألم يذلل الله سبحانه وتعالى لنا شعرنا وأظافرنا نطولهما ونقصرهما

كما نشاء . . ألم يطلب منا الله سبحانه وتعالى أن نكبر ونحن نذبح الهدى ونكبر أيضاً أثناء الحلق أليس هذا تطابق وتماثل فإن ما نفعله من حلق هو هدى من أجسامنا تقرباً إلى الله تعالى والهدى هنا بالحلق أو التقصير مع تقليم الأظافر وذلك :

أ - ليكونوا شهداء لك يوم القيامة بأنك ضحيت بهم وأهديتهم إلى الله سبحانه وتعالى ابتغاء مرضاته .

ب- إزالة تاج زينتك وهو شعرك وتجردت منها مع تقليم أظافرك زيادة فى عدد الخلايا المهداه من جسدك إلى الله حباً فى طاعة الله وحباً فى أداء مناسكه واتباعاً لسنة حبيبه محمد ﷺ .

عرفت الآن لماذا الحلق . . الحلق . . الحلق ثم التقصير لأن الفداء أكبر والنحر أكبر وحب أداء النسك كما يحب الله سبحانه أكبر فتكون الجائزة من الله سبحانه وتعالى أكبر وأعظم وهى مرضات الله .

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الحج :٣٥] .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: **« رحم الله المحلقين»** قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال: **« رحم الله المحلقين»**. قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال: **« رحم الله المحلقين»** . قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال : **«والمقصرين»**.

وسبب التكرار للدعاء للمحلقين هو الحث عليه والتأكيد على استحبابه ﷺ ، لأنه أبلغ فى العبادة وأدل صدق نية فى التذلل إلى الله ، لأن المقصر تبق لنفسه زينته هذا خلاف ما سبق . . ثم جعل للمقصرين نصيباً لئلاً يخيب أحد من أمته صالح دعوته هذا علاوة على أن الله سبحانه وتعالى ذكرهم فى الآية محلقين رؤوسهم ومقصرين .

كما ثبت أن الرسول ﷺ حلق كما حلق طائفة من أصحابه بينما قصر بعضهم .

الحلق : هو إزالة شعر الرأس بالموس ونحوه ولو اقتصر على ثلاث شعرات للأصلع.

التقصير : أن يؤخذ من شعر الرأس قدر أنملة.

(٢) وقت الحلق والتقصير:

وقد اختلف العلماء فى حكم وقت الحلق والتقصير :

أ - ففى العمرة بعد الطواف والسعى وبعد الذبح إذا تطوع وقدم هديا.

ب- يكون بعد الذبح ورمى جمرة العقبة.

وهذا الترتيب من السنة المستحبة وإن حلق أولاً ثم ذبح بعد ذلك صح عمله ولا شىء عليه.

أما مكان الحلق والتقصير فيكون :

أ - فى العمرة يكون الحلق والتقصير فى الحرم.

ب- فى الحج يكون الحلق والتقصير من أعمال يوم النحر ويكون فى الحرم وفى أيام النحر عن أبى حنيفة ومالك ورواية عن أحمد بينما عند الشافعى ومحمد بن الحسن والمشهور عن أحمد، يجب أن يكون فى الحرم دون أيام النحر ويجوز التأخير ولا شىء عليه.

(٣) ما يستحب فى الحلق والتقصير:

١ - استقبال القبلة والتكبير وصلاة ركعتين سنة بعد الحلق.

٢ - عدم مشارطة الحلاق على أجره لأنه من المناسك والمناسك لا يشارط عليها.

٣ - الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر فقد كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا حلق فى حج أو عمرة أخذ من لحيته وشاربه، وقال ابن المنذر: ثبت أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه قلم أظافره.

٤ – يبدأ الحلاق بالشق الأيمن ثم الأيسر.

٥ – مرور الموس على رأس الأصلع وإن لم يكن هناك شعر، فقد قال أبو حنيفة إن إمرار الموس على رأس الأصلع واجب حيث يمر على جميع منابت الشعر فيكون كالحالق لجميع شعره ولا يظلم ربك أحدا.

(٤) التقصير عند المرأة:

نهى الشرع عن الحلق للمرأة، لأنه يعتبر عقوبة ونكاية لها لذلك فقد أمر الشارع المرأة أن تقصر فقط وقدر ما يؤخذ من شعرها كالتالى:

أ – عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: المرأة إذا أرادت أن تقصر جمعت شعرها إلى مقدم رأسها ثم أخذت من أنمله وهى بذلك كالحالق حيث أخذت من جميع أطراف شعرها.

ب– قال عطاء إذا قصرت المرأة شعرها تأخذ من أطرافه من طويله وقصيره.

جـ– قال الشافعى أقل ما يجزئ فى تقصير المرأة ثلاث شعرات.

وقيل لا حد لما تأخذه من شعرها.

د - طواف الإفاضة:

طواف الإفاضة ركن من أركان الحج.

شتان بين طواف وطواف، شتان بين اليوم والبارحة.

جئت البارحة طائفاً وأنت مدنس الجسد والنفس والعقل والقلب محملاً بالذنوب والآثام والفجور والخصام وسوء الأخلاق داعياً من الله الرحمة والغفران فى طواف القدوم، واليوم طواف الإفاضة بعد ما قابلت الله الحنان المنان الرؤوف الرحيم وأشهد ملائكته أن الله قد غفر لك.

اليوم طواف إفاضة بعد ما أزلت الدنس بالتطهر بماء زمزم وسعيك ووقوفك بعرفة وتسبيحك عند المشعر الحرام ورجم الشيطان الرجيم وشيطان نفسك وإهداء جزء من جسدك وهو شعرك مع ذبح هديك هدياً وتقرباً لله رب العالمين.

اليوم طواف الإفاضة مسبحاً شاكراً عابداً راكعاً ساجداً على ما أفاض الله عليك من نوره وتجلياته وأفاض عليك بعفوه وغفرانه.

وأفاض عليك برزقه وحنانه وأفاض عليك بجوده وإحسانه.

اليوم طواف الإفاضة لأشهد ملائكته وباقى خلقه الطوافين أننى أصبحت من التائبين المسبحين الشاكرين الطائفين وأصبحت ذائباً فى ملكوت الله من عباده المسبحين كما شهدت ملائكته غفران الله سبحانه للواقفين فى عرفات فى مشهد يوم عظيم وإنك خرجت كما ولدتك أمك خاليا من الذنوب والآثام.

وهنا تدعو الملائكة لك وللحجاج المكملين لحجهم ونسكهم بالرحمة والمغفرة.

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[غافر: ٧، ٨].

وطواف الإفاضة ركن من أركان الحج وجب فعله وإلا بطل حجه.

وذلك لقول الله تعالى:

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج: ٢٩].

أفاضه: مثل أفاض الماء وسال منصباً بقوة هو من فيض الماء.

وشروطه:

١ - النية.

وجب تعيين النية، نويت طواف الإفاضة للّه، وذلك عن أحمد بينما مالك والشافعى وأبو حنيفة يرون أن نية الحج تسرى عليه لأنه من أعمال الحج.

٢ - أشواطه:

سبع أشواط كاملة فإذا لم تؤد كاملة بطل الطواف وبطل الحج.

٣ - وقته :

أفضل وقت لأدائه هو من صحوة نهار يوم النحر إلى نهاية أيام التشريق ويجوز أن يبدأ من منتصف ليلة النحر كما يجوز أن يمتد إلى ما بعده أيام التشريق بلا حدود مع كراهة ذلك لأنه ما زال فى الحج وبلا دم على التأخير وهو رأى الإمامين أحمد والشافعى بينما أبو حنيفة ومالك . . فإن وقته من فجر يوم النحر إلى :

أ - أبو حنيفة : إلى أى يوم من أيام التشريق فإن آخره بعد ذلك لزمه دم .

ب- مالك : الأفضل أن يعجل بأدائه ولا بأس بتأخيره إلى آخر أيام التشريق ويجوز أن يمتد إلى آخر أيام الحجة مع دم مع صحة حجه .

٤ - التعجيل بأدائه :

يستحب التعجيل بأداء طواف الإفاضة لعدم ضمان الإنسان ما يتعرض له من ظروف قد تحول أداءه كالمرض أو نحوه وتقليلاً من المدة الواقعة بين التحلل الأول أو الأصغر والتحلل الثانى أو الأخير أو الأكبر . . حيث التحلل الأخير لا يكون إلا بعد طواف الإفاضة والسعى الواجب بعده .

والتعجيل أفضل للنساء للاستفادة مما سبق ذكره يضاف إلى ذلك احتمال تعرضها للحيض وهو ما يمنعها من هذا الطواف لذلك كان التعجيل أكثر استحباباً لهن وكانت أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها تأمر النساء بتعجيل الإفاضة يوم النحر مخافة الحيض .

وقال عطاء إذا خافت المرأة الحيض فَلْتَذُر البيت قبل أن ترمى الجمرة وقبل أن تذبح أى تعجيل طواف الإفاضة مثل رمى العقبة وقبل الذبح .

ويستحب أن تستعمل المرأة الآن الأدوية التى ترفع الحيض حتى تستطيع الطواف وبالتالى يجوز استعمال المرأة للأدوية التى تستعجل نزول الحيض والطهارة منه قبل الدخول فى أعمال الحج .

هـ- النفرة من منى :

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[البقرة: ٢٠٣].

ومنى هى مبيت ونحر ورمى للجمرات بعد يوم النحر وأيام التشريق، وبعد الانتهاء من أعمال الحج كما سبق الإشارة إليها وهو المتبع فيها السنة رمى جمرة العقبة وذبح الهدى أو نحره ثم الحلق أو التقصير ثم طواف الإفاضة . . فإن من اتباع السنة هو عودة الحاج للمبيت بمنى ليلتين من أيام التشريق لمن تعجل الخروج منها وثلاث أيام لمن تأخر حسب الآية الكريمة فى سورة البقرة.

والنزول من منى إلى مكة يكون بعد رمى الجمرات حتى يوم الثانى من أيام التشريق. وتسمى بالنفر الأصغر ويكون قبل غروب شمس ذلك اليوم، كما يرى ذلك جمهور الفقهاء بينما يرى أبو حنيفة بجواز البقاء إلى ما قبل الفجر اليوم الثالث عشر يسمى النفر الأكبر ويكون بعد رمى جمرات ذلك اليوم والذى يبدأ من بعد زوال الشمس وهو ما يراه جمهور الفقهاء مالك والشافعى وأحمد بينما يرى أبو حنيفة جواز رمى جمرات اليوم الثالث عشر بعد الفجر مباشرة وتبعاً لذلك يجيز النفر بعد الرمى مباشرة بدون انتظار زوال الشمس.

وسواء تعجل الحاج أو لم يتعجل فلا إثم عليه، غير أنه يفضل النفر الثانى عن النفر الأول لزيادة الثواب وحسن آداء النسك وزيادة فى التسبيح ورجماً للشيطان الرجيم وشيطان النفس وكذلك اتباعاً لسنة النبى ﷺ حيث أنه ﷺ نفر فى اليوم الثالث من أيام التشريق.

و- طواف الوداع :

بعد الانتهاء من مناسك الحج والتحلل الأكبر، فلا يحرم عليك إلا ما يغضب الله فى انتهاك حرمة البيت كالصيد وقتل الدواب وقلع الأشجار ونباتات الحرم وكذلك الإتيان بأى شىء من الفسوق أو الفجور أو العصيان لأوامر الله ونواهيه.

وكذلك يمكنك أن تشغل نفسك فى شراء ما تريده من هدايا لك ولأسرتك ولأصحابك وأن تجهز أمتعتك وحقائبك وكن مستعداً لفراق البيت ولا تنسى ألا تأخذك الدنيا وتنشغل تماماً عن ذكر الله فتكثر الطواف والصلاة فى المسجد الحرام، ألم تعلم أن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه فاغتنم وزد من حسناتك وتزود بالنظر إلى الكعبة والشرب من مياه زمزم.

وإحرم بعمرة أو أكثر من التنعيم لتستزيد من فضل الله ورضوانه وذلك إن كنت حاجاً مفرداً أو متمتعاً أو قارناً أو حتى معتمراً فقط.

وعندما يأذن الله سبحانه وتعالى بالرحيل فكل شيء بميعاد فيجب أن يكون آخر عهدك هو طواف بالبيت وهو طواف الوداع.

ويسمى طواف الصدر وطواف آخر عهد بالبيت وهو طواف:

طواف تحية للبيت العتيق.

طواف حب متعلق ببيت الله الحرام كما تعلق به قلب رسوله الكريم فهو ملتقى افئدة المسلمين فى بقاع الأرض أجمعين.

طواف شكر على ما من الله علينا أن هدانا لآداء هذا النسك العظيم وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم.

طواف عرفان وتوحيد وتسبيح وتكبير للّه الواحد الأعظم العظيم على ما أفاض علينا من نعمائه وغفرانه ورحماته وحسناته فى يوم عرفات يوم الموقف العظيم.

طواف رجاء أن يرجعنا الله سبحانه وتعالى مرات ومرات لأداء هذا النسك العظيم ونتمتع بهذه المشاعر والأحاسيس الفياضة وكرم ضيافة من الله العلى العظيم الحى القيوم لعباده المتقين.

طواف أمل أن يمن الله علينا بالهدى والتقى والصلاح ولا نعود أبداً إلى مالا يحبه ولا يرضاه.

طواف مشاركة مع الملائكة الطوافين حول بيته المعمور فى السماء وبيته المحرم فى الأرض ومع جميع مخلوقاته الطائفين المسبحين فى ملكوت السماوات والأرض إلى يوم الدين.

طواف وداع لأعز وأشرف بيت فى الوجود مع دموع الفراق الحزين.

حكمة طواف الوداع:

اتفق العلماء على أنه طواف مشروع لما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان الناس ينصرفون فى كل وجهة فقال النبى ﷺ: «**لا ينفر احدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت**» كما روى مالك فى الموطأ عن عمر رضى الله عنه أنه قال: آخر النسك الطواف بالبيت.

هذا ولم يشرع طواف الوداع للمكى ولا للمقيمين داخل المواقيت وكذلك للمرأة الحائض والنفساء ولا يلزم بتركها للطواف شىء.

وقد بين ابن عباس رضى الله عنهما ذلك وقال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض.

أما أحكام من ترك طواف الوداع فقد اختلف الفقهاء فى ذلك.

أ- طواف الوداع طواف واجب ويلزم تركه دم.

وذلك عند الأحناف والحنابلة وبعض الشافعية وعلى الناس إذا تذكر وكانت المسافة بينه وبين الحرم مسافة قصر الصلاة وهى حوالى ٨٠كم فعليه أن يرجع ويطوف طواف الوداع أما إذا زادت عن ذلك فلا يرجع وعليه أن يرسل هديا ليذبح فى الحرم.

ب- طواف الوداع سنة ولا يلزم لتركه شىء.

وذلك عند مالك وأحمد وبعض الشافعية والأصح أنه ليس نسكاً لأن انتهاء المناسك بطواف الإفاضة والتحلل الأكبر. بل يؤمر به لمن أراد أن يفارق مكة وذلك إذا قصدها حاجاً أو معتمراً فلا يغادر إلا بطواف الوداع.

فيكون أدب المغادرة من البيت الحرام وأنه لا يستدير البيت فى آخر خروج له من البيت الحرام أما وقته المستحب عند العزم على السفر مباشرة ويجوز بعد طواف الوداع المكث بمكة لسبب حزم الأمتعة وشراء الزاد وتموين السيارة بالوقود وهكذا. . وهى من الأمور الممكن أيضاً عملها قبل الطواف.


الباب السادس
ثانى الحرمين
المدينة المنورة

ثانى الحرمين
المدينة المنورة

الموقع :

تقع المدينة المنورة على بعد ٤٦٥كم إلى الشمال من مكة المكرمة وهى واحة تكثر فيها النخيل وأرضها منبسطة خصبة، وتقع على طريق القوافل القديم والذى يربط بين اليمن وبلاد الشام عبر الحجاز.

وترتفع المدينة المنورة عن سطح البحر بأكثر من ٦٠٠ متر وتقع على خط عرض واحد مع مدينة الأقصر المصرية إلا أن جوها معتدل ولا ترتفع فيها الحرارة صيفاً أكثر مما ترتفع إليه صعيد مصر، وتصل البرودة فى الشتاء إلى درجة التجمد ساعة الصباح.

أسماؤها :

لها خمسة أسماء.

١ - **يثرب :** هو أول اسم أطلق عليها وقد ورد بالقرآن.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾[**الأحزاب**:١٣].

٢ - **المدينة :** أطلق عليها هذا الاسم بعد هجرة الرسول ﷺ وقد سماها الرسولﷺ وهو علم على مدينة الرسول ﷺ بحيث إذا أطلق لا يتبادر إلى الذهن غيرها ويطلق عليها أيضاً اسم المدينة المنورة لاستنارتها بأنوار القرآن وأنوار الرسول ﷺ وأنوار الإسلام.

٣ - **طيبة :** وهو من الطيب و الطاهر لطهارتها من أدناس الشرك ولطيب أمورها كلها وطيب رائحتها وطيب الرياح التى تهب عليها وقد ورد أن الرسول ﷺ هو الذى سماها بهذا الاسم.

٤ - **أرض الهجرة :** سميت بذلك لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه إليها .

٥ - **قبة الإسلام :** لحديث عن رسول الله ﷺ «المدينة قباء الإسلام» .

زيارة المدينة المنورة :

بعد ترك مدينة بيت الله الحرام التى شرفت بنور قرآنه وتجلياته على خلقه وميلاد أشرف خلق الله أجمعين مدينة الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل نذهب إلى مدينة حبيبه محمداً خير خلقه وخير أنبيائه وخير رسله أجمعين محمداً صلوات الله عليه وسلم. مدينة النور وأى نور وهى تحتوى على جسد أفضل خلق الله أجمعين .

وأى نور ونزل بها الوحى الأمين بالقرآن (عشر سنوات) حتى ظهر نور الإسلام اليقين .

وأى نور وهى ثانى الحرمين وبها عبق الرسول الكريم .

وأى نور وفيها الرسول الكريم فكان قرآناً يمشى وكان نوراً يمشى .

وأى نور وهو نوراً محمد عليه أفضل الصلاة وأفضل التسليم .

ألم يقابلوه بطلع البدر علينا فقد وصفوه بما هو دونه فوصفه الله سبحانه وتعالى بأنه سراجاً منيراً وليس نوراً فقط بل نور وطاقة إيمان فهو كالشمس وكالقمر فى نقل نور القرآن من قلبه إلى نوره قلوب المؤمنين إلى يوم الدين ووجب الشكر علينا جئتنا يا خير داع .

يا مدينة النخيل والماء الغزير والخير الوفير .

يا مدينة المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم وبشروا بالجنة يوم الدين .

يا مدينة الإيثار والحب والخير والنور والقرآن العظيم .

يا مدينة الشهداء بدر وأحد والخندق والغزوات العظام .

يا مدينة التى خرج منها الإسلام فأتى العالم أجمع بنور القرآن .

يا مدينة شهدت دحر الظلم والرياء والنفاق وخروج اليهود الأقذار.

يا مدينة الصلاة والصلاح والفلاح والكفاح.

يا مدينة البقيع حيث تضم رفات أصحاب الرسول وأزواجه وأولاده الأخيار.

يا مدينة الخلافة الراشدة أبى بكر وعمر وعثمان الأطهار الأبرار.

يا مدينة التى فرضت فيها الفضيلة وسنت الأخلاق والرحمة امتثالاً وتقليداً لخير خلق الله والمرسلين.

يا مدينة رسول الله وأفضل وأنبل وأكمل خلق الله والرحمة المهداة والسراج المنير الكريم والقرآن العظيم والخلق العظيم والسلوك القويم وأول خلق الله فى كتابه والخليفة للَّه النموذج فى الأرض والذى احتذى بسيرته واتبعه المسلمون فى بقاع الأرض اتباعاً لسنته وتقليداً لأعماله والتأسى بأخلاقه.

يا من لا يوجود فى الوجود كله من يحبه اتباعه كما يحب المسلمين هذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه وأزواجه وأولاده وأتباعه إلى يوم الدين.

فهل توجد فى الأرض كلها مدينة تماثل مدينة الرسول إلا مكة المشرفة لتشريفها ببيت الله تعالى وأحب بقاع الأرض إلى قلب رسول الله.

وأنت فى الطريق إليها تذكر أنك فى طريق الهجرة وما قاسى به الرسول الكريم فى هذه الرحلة الشاقة مطارداً مطلوباً متربصاً به ومعه الصديق أبو بكر خائفاً على رسول الله الكريم، تذكر أى المشاق والمتاعب عناها وحورب وطورد وحوصر واتهم بالسحر والجنون فصلى عليه طول الطريق كما أمرنا الله بهذا حيث قال وهو أعز من قائل:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٤٠].

وعندما تقارب مشارفها تذكر ما استقبل به الرسول من أهل المدينة بطلع البدر علينا من ثنية الوداع ووجب الشكر علينا جئتنا يا خير داع وعندما تطأ أقدامك ترابها فاعلم بأنك تسير على نفس خطوات أشرف خلق الله.

فتأدب ولا تفسق ولا ترفع صوتك وتحلى فأنت فى مدينة رسول الله.

اترك أمتعتك واغتسل وتطهر والبس أجمل ما عندك وتعطر فأنت ذاهب إلى مقابلة الرسول الكريم حيث قال: «**ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام**»[رواه أحمد وأبو داود والبيهقى]. (شكل رقم ٧).

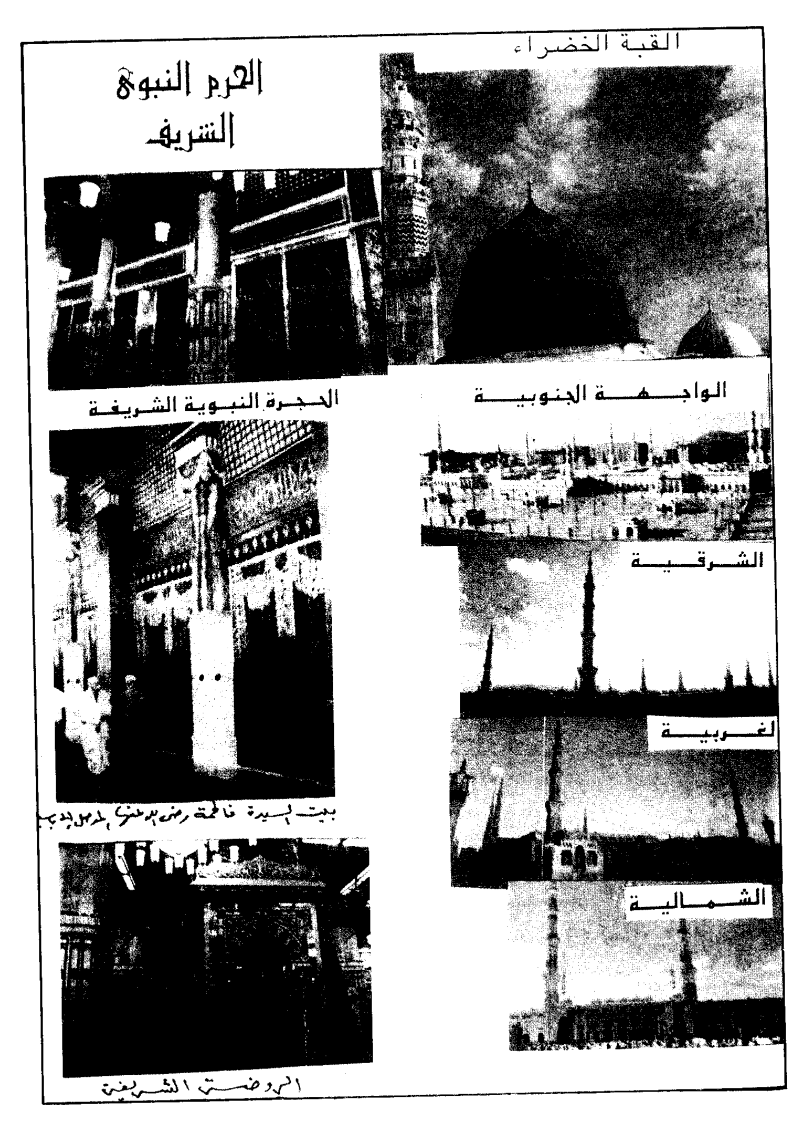
وعندما تصل حافظ على أن :

١ - تدخل برجلك اليمنى مستعيذاً بالله العلى العظيم من الشيطان الرجيم وتسلم على الرسول الكريم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وتدعو أن يغفر لك ذنوبك ويفتح لك أبواب رحمته وأنت تكون برفقة حبيبه محمد ﷺ.

٢ - أن تصلى فى الروضة الشريفة أولاً ركعتين تحية المسجد فى خشوع وسكينة فإن لم تستطع فصلى فى أى مكان فى الحرم.

٣ - أن تسير بتواضع وأدب وخشوع وهدوء وسكينة ووقار فإنك فى حضرة النبى ﷺ ووجب عليك هذا فى حياته ومماته وتذكر أن هذه البقاع سكنه ومعيشته وبها أنفاسه وبها نزل الروح الأمين وبها شهدت الأحداث الجسام وبها أخذت القرارات وظهر الإسلام فى أحسن صورة أرادها رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم وأن يستحضر قول الإمام مالك رضى الله عنه (حرمة النبى ﷺ حياً وميتاً سواء) وأن يذكر قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[**الحجرات**: ٢، ٣].



القبة الخضراء
الحرم النبوي الشريف
الحجرة النبوية الشريفة
الواجهة الجنوبية
الشرقية
الغربية
الشمالية
بيت السيدة فاطمة رضي الله عنها
الروضة الشريفة

شكل رقم (٧)

﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

وإذا وصلت إلى حضرة الرسول ﷺ استقبل القبر واستدبر القبلة وبذلك تكون واقفاً أمام سيد خلق الله أجمعين فتأدب فى دعائك ولا ترفع صوتك به حتى لا تزعج باقى الزائرين وادعو بصوت خافت واستحضر صورته الكريمة البهية بلحيته ونور وجهه وبياض جبهته وبكحيل عينه ولا تقترب من المقصورة ولا تتمسح بها حتى تكون فى أدب اللقاء مع شخصه الكريم حباً لأنه سيرد عليك السلام والتحية.

فسلم عليه بما يليق فى حضرة رسول الله الكريم.

السلام عليك أول خلق الله.

السلام عليك يا أفضل خلق الله أجمعين.

السلام عليك يا حبيب الله.

السلام عليك يا حبيبى يا رسول الله.

السلام عليك يا من جاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين.

السلام عليك يا قائد الغر الميامين.

أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة وجاهدت فى سبيل الله حتى ظهر وملأ الأرض والسماء كما أراد رب العالمين.

أشهد أنك علمتنا مكارم الأخلاق وعلمتنا الكتاب والحكمة ونطمع أن تكون شفيعنا يوم الدين.

أشهد أنك جاهدت لكى تزكينا عند الله العلى العظيم الرحمن الرحيم.

أشهد أنك كنت قرآن تمشى فكنت سراجاً منيراً ووصل إلينا نور القرآن من قلبك الكريم نتناقله إلى يوم الدين.

فاللهم صلى وسلم وبارك على أشرف خلق الله أجمعين والمرسل رحمة للعالمين على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله كما صليت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين.

اللهم صلى على الرسول محمداً صلاة وسلاماً وتحية وآت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذى وعدته أنك أنت الوهاب.

اللهم اجعلنى من رفقاء حبيبك محمداً فى الدنيا باتباع سنته ورفيقى فى قبرى فى برزخك متمتعاً بجواره بهواء ونسيم جناتك ورفيقى فى نشورى فتسقنى من حوضه الشريف من نهره الكوثر من يده الشريفة شربة هنية مريئة لا أظمأ بعدها أبداً ويكون شفيعى هو وقرآنك العظيم عندك يوم لقائك يوم الحشر العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم متبعاً سنة حبيبك الرسول الكريم ورفيقى فى جنات النعيم مع الصديقين والشهداء والأبرار يا رب العالمين وأن تغفر لى ذنوبى وإسرافى فى أمرى واجعلنى من الصالحين.

كما أُعلن يا الله وأنا فى حضرة رسولك الكريم توبتى من ذنوبى وآثامى ورجعت إليك يا الله وندمت على ما فعلت وما قصرت فى حق نفسى ودينى وغفلتى عن اتباع سنة رسولك الكريم ولن أعود إلى مثل هذا مرة أخرى. وفقنى إلى ما تحب وترضى وأن أكون متبعاً بما أنزل من الذكر الحكيم فلا يهجر القرآن قلبى ما حييت ويكون القرآن نور قلبى وبصرى وأرطب به لسانى ورفيقى فى حياتى مع سنة رسولك الكريم ﷺ إلى أن أقبض إليك يا رحمن يا رحيم فاقبض روحى وأنا بجوار حبيبك محمد فى الروضة الشريفة وأنا ساجد بين يديك يا رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم حتى أكون بصحبته فى حياتى وفى قبرى وفى نشورى إن شاء الله رب العالمين.

كما أدعوك يا رحمن أن تغفر وترحم والدى وأنزلهما فسيح جناتك واغسلهما بالماء والثلج والبرد ونقيهما من ذنوبهما وآثامهما كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس واجعل قبرهما روضة من رياض الجنة يا رب العالمين.

رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم من الذنوب والآثام لأصحابى وكل من سألنى الفاتحة على رسولك الكريم ولجميع المسلمين الصالحين المتبعين سنة حبيبك والمحبين للصلاة على الرسول الكريم ﷺ وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين أن وفقتنى أن أقف أمام حبيبك محمد ﷺ.

اللهم بحق جاهك وسلطانك وكرمك وجودك وإحسانك وأن توفقنى أن أرى وجهه الكريم رؤيا عين يقين فاستكمل تمتعى بزيارة وقبره يا رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم.

والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه وعلى جميع أنبيائك ورسلك وملائكتك وحملة عرشك والحافين حول عرشك والملائكة المقربين والحمد لله رب العالمين.

ثم تتحرك أمام الباب الثالث وهو المقابل لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وتسلم عليه بما يليق بهذا الصديق الصاحب الأمين.

السلام عليك يا صديق يا أول من أسلم وأول من آمن إيمان اليقين السلام عليك أيها الصديق الأمين يا من صدق رسولك فى كل وقت وفى كل حين.

يا من جاهدت بنفسك ومالك حتى ظهر نور الإسلام الحنيف.

يا من فديت بنفسك وبمالك رسول الله الكريم.

يا من صاحبته فى هجرته وكنت ثانى اثنين إذ هما بالغار وكنت تخاف على الرسول الكريم لا على نفسك فكنت نعم الصاحب ونعم الرفيق.

يا من أمرك الرسول الكريم لتكون أمير أول حج فى الإسلام وإمامتك للمسلمين لمنزلتك ولقدرك العظيم.

يا من كنت أول خليفة للمسلمين فلم تضعف ولم تهن وكانت بدء الفتوحات وانتشار الإسلام والدين القويم.

فالسلام عليك يا صديق يا خليفة رسول الله ﷺ فاللهم أجزه خير الجزاء من جهاده وصحبته وحبه للرسول الكريم.

واجعلنى يا الله فى صحبته مع حبيبك وحبيبه وحبيبنا أجمعين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ثم تتحرك أمام آخر علامة وهو المقابل لسيدنا عمر رضى الله عنه وتسلم أيضاً عليه بما يليق بمقامه الرفيع بين أصحاب الرسول الكريم.

السلام عليك يا فاروق.

السلام عليك يا من رفع الإسلام بإسلامه وقال فيك الرسول الكريم اللهم أعز الإسلام بعمر.

السلام عليك يا سيفاً من سيوف الله والحكم العدل والقوى المتين.

السلام عليك يا أعدل حكام أهل الأرض أجمعين.

السلام عليك يا من فى عهدك هزمت فلول الفرس والروم.

السلام عليك يا من مت شهيداً فى سبيل الله وأنت ساجد فكنت عند الله من الأحياء المقربين.

السلام عليك يا مبشر بالجنة من قبل الله رب العالمين وقبل أن تكون شهيداً بين يدى رب العالمين.

اللهم اجزى عنا خير الجزاء وخير ما جاهد وخير ما حكم وخير ما عدل من خلقك وخير ما أعز به الإسلام وخير ما فتح به الأرض لنشر نور الإسلام واليقين.

اللهم اجعلنى بصحبته وصحبة صاحبه أبو بكر وبصحبة حبيبك رسولك الكريم ﷺ.

وعلى الزائر أن يتجنب المقصورة أو تقبيلها أو تقبيل أى شيء من متعلقاتها فإن الرسول ﷺ قد نهى عن ذلك.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال:

«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم».

ويستحب عند إقامتك فى المدينة المنورة أن تكثر من الصلاة والذكر والتعبد فى الروضة الشريفة.

فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى**» [رواه الشيخان والنسائى].

ويجب عدم الإيثار وأن تجلس فى هذه الأماكن مدد طويلة حارما إخوتك الزائرين من التمتع أيضاً بهذه الأماكن وعدم مضايقة أحد أو المزاحمة حتى لا يحبط عملك.. وأن لا ترفع صوتك تحت أى ظرف من الظروف فى هذا المكان فإذا تعثر عليه ذلك صلى فى أى مكان بالقرب منه والله عليم بالعباد.

ويستحب أيضاً لمن عزم السفر من المدينة أن يكون آخر عهده أيضاً أن يأتى المسجد ويزور الرسول ﷺ قبل السفر وأن يدعو ما شاء وأن يدعو الله سبحانه وتعالى برزقه ويتوقه للعودة للزيارة مرات ومرات.

أهمية الزيارة للمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة:

أنه المسجد الثانى الذى يشد الرحال إليه ويقصده الحجيج من كل بلاد العالم قبل أداء فريضة الحج أو العمرة حيث التيسير وزيارة المسجد الشريف والصلاة فيه سنة لاجدال فيها.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى**» [رواه السبعة].

وعن فضل الصلاة فيه عن جابر رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**»[رواه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**» [رواه البخارى واللفظ له ورواه مسلم والترمذى].

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من صلى فى مسجدى أربعين صلاة، لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق**»[رواه أحمد والطبرانى بسند صحيح].

ومن المستحب إذا كان الأمر بيدك حراً فى تصرفك إنك إن كنت قاصداً الحج فريضة (ركن الإسلام) فإنه ينبغى عليك أن تقصد مكة مباشرة فى أقصر الطرق خوفاً من حدوث أى شىء يعطلك عن أداء الفريضة.

أما الآن فالفرد محكوم باعتبارات كثيرة قد تجعله يزور أولاً أو يحج أولاً أو العكس أو الذى يرتب ذلك هى الحكومات والأفواج ووسائل المواصلات فلا بأس ولا حرج.

تاريخ المدينة المنورة:

أول من سكن يثرب كانوا العماليق أو الهكسوس وهم من العرب من سلالة عمليق بن لاوز بن سام بن نوح عليه السلام، وفى سنة ٧٠ ميلادية خرجت قبائل من يهود الشام هائمة على وجوهها هرباً من الرومان الذين أجلوهم عن ديارهم فى القدس وما حولها، فلما قدموا يثرب استقبلهم أهلها من كرم الضيافة وسماحة الخلق وإغاثة الملهوف وسمحوا لهم بالإقامة بينهم.

ونظراً لخسة اليهود وما جبلوا عليه من الوضاعة وإنكار الجميل والحنث باليمين غلبوا أصحاب البلاد وأصبحت لهم السيادة، وأتقن الجيل الثانى منهم اللغة العربية وتأثروا بالنظم القبلية وتسموا بأسماء عربية ونبغ فيهم شعراء مثل السموءل بن عادياء.

ولما تصدع سد مأرب فى اليمن وأغرقت المياه الأراضى الزراعية وأجدبت الأرض لقلة المياه هاجر كثير من قبائل اليمن إلى أماكن متفرقة وقد قدمت يثرب قبيلتان يمنيتان هما الأوس والخزرج.

واستغل اليهود هذه القبائل فى تنمية ثوراتهم الزراعية والتجارية التى برعوا فيها من تعاملهم ومعاشرتهم للعرب العماليق، فقد عقد اليهود مع الأوس والخزرج حلفاً يبذلون فيه الأمان ويضمنون لهم حسن الجوار.

ولما ثبتت أقدام الأوس والخزرج بيثرب واتسع نشاطهم التجارى وأدرك اليهود أنهم منافسين لهم أقدموا على نقض ما كان بينهم وبين العرب من تحالف.

وقامت عدة حروب بين عرب يثرب من الأوس والخزرج وبين اليهود، أدت كلها فى النهاية إلى هزيمة اليهود فهم ليسوا أهل حرب ولكن أهل مال وربا وقد أدرك اليهود بالخديعة إلى تفتيت وحدتهم بأن أوقعوا بين الأوس والخزرج أشد العدواة والبغضاء التى أدت إلى حروب كثيرة وطويلة بينهم.

وكان اليهود يصنعون السلاح ويمدون به الفريقين بالثمن، فخلت لهم وحدهم ميادين الصناعة والتجارة، وكلما هدأت الحرب بتدخل العقلاء منهم عاد اليهود كدأبهم فأشعلوا الحرب من جديد.. وفى آخر حرب بينهم انتصر فيها الأوس، اتفق الفريقان على عقد صلح على إقامة مجلس مشترك ينظم العلاقات بين أهل يثرب واختاروا زعيم الخزرج عبدالله بن أُبى بن سلول رئيساً لهذا التنظيم، وبينما كان أهله يعدون له التاج ليتوجوه ملكاً على يثرب، هاجر إليهم رسول الله ﷺ فدخلت يثرب مرحلة جديدة من التاريخ وتحول اسمها إلى المدينة المنورة.

وكان مجتمع المدينة فى بداية عهده برسول الله ﷺ فى غالبية من المسلمين من الأوس والخزرج وممن هاجر إليه من مكة أو من الأمصار الأخرى وقلة من المنافقين بزعامة عبدالله بن أبى كما ضمت أيضاً يهود بنى قينقاع داخل المدينة وبنى قريظة وبنى النضير وخيبر وتيماء وفدك بظاهر المدينة.

وقبيل وفاة الرسول ﷺ كان العرب قد دخلوا جميعاً فى دين الله أفواجاً وانتهى النفاق والمنافقون بموت عبدالله بن أبى وبعدما رأوا فى غزوة الأحزاب وصدق إسلام بعضهم وقد تم تطهير المدينة من جميع اليهود فيما عدا قلة من اليهود خارج المدينة، ومن المدينة المنورة شع نور الإسلام إلى أنحاء العالم.

واتخذت دولة الخلافة الأولى المدينة المنورة عاصمة للدول الإسلامية منذ هاجر إليها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك فى خلافة كل من سيدنا أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، ولما تولى سيدنا على رضى الله عنه الخلافة نقل مركز الخلافة إلى الكوفة (لعلم الله المسبق ما سوف تؤول إليه هذه الخلافة بعد ذلك وتتحول الخلافة إلى ملكية مطلقة ويبدأ فساد الملوك وحاشيتهم) حيث انتقل الحكم إلى دمشق فى عهد الأمويين حيث أصبح الحكم ملكاً وليس شورى ثم انتقلت الخلافة إلى العباسيين إلى بغداد وإلى القاهرة فى عهد الفاطميين ثم أخيراً إلى الأستانة فى عهد العثمانيين.

وظلت المدينة المنورة على بدائتها لم تلوثها مظاهر الملكية من ترف وفساد ومن مظاهر المدينة المنورة العامة أنها تحتوى على العديد من الآبار وهى بركة من الله، وفى عهد معاوية بن أبى سفيان تفجرت فيها عينا سميت بالعين الزرقاء لكثرة ماءها حيث فاضت على حاجة المدينة وسكانها فى أزهى عصورها.

حرم المدينة المنورة:

روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال« **إن إبراهيم حرم مكة، وإنى حرمت المدينة، ما بين لابَتَيْها، لا يقطع عضاها (وهى الشجرة ذات الشوك الغزير) ولا يصاد صيدها».**

وروى أحمد وأبو داود عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «**فى المدينة لا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها (أى رفع صوته لتنفيرها) ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصح أن يقطع فيها**

شجر إلا أن يعلف رجل بعيره» وقد قدر رسول الله ﷺ حرم المدينة المنورة باثنى عشر ميلا يمتد من غير (جبل عند الميقات) إلى ثور (جبل عند أحد فى الشمال).

قال العلماء إن من اقترف إثماً فى المدينة ليس له نفس الإثم الخاص بالحرم المكى من تقديم الدم كذلك إلا أنه يحسب عليه إثماً.

ومع ذلك فإن للمدينة حرمة مكانية وقدسية تاريخية لا يتنازع فيها أى من المسلمين، لما لها أثر عظيم فى الجهاد ونصرة الإسلام والمسلمين، ولما تضم من رفات أفضل خلق الله أجمعين سيدنا محمد وخلفائه وأصحابه وزوجاته الأخيار الأطهار.

تاريخ المسجد النبوى الشريف:

لما وصل رسول الله ﷺ المدينة دخلها راكباً القصواء (ناقته) وقد أرخى لها العنان فسارت حتى بركت على مربد لسهل وسهيل بن عمرة فابتاعه ليبنيه مسجداً لله، وأقام أثناء بنائه فى دار أبى أيوب بن زيد الأنصارى من بنى النجار أخوال أبيه.

وعمل رسول الله ﷺ فى المسجد بيده وشاركه المسلمون من المهاجرين والأنصار حتى أتموا البناء، وأقاموا حوله مساكن الرسول وقد كان المسجد يومئذ فناءً فسيحاً جدرانه الأربعة من الآجر والتراب وسقف جزء منه بالجريد وترك الجزء الآخر مكشوفاً ، كما خصصت إحدى نواحيه لإيواء الفقراء الذين لا يجدوا مساكن لإيوائهم.

وفى السنة السابعة من الهجرة خلصت المدينة كلها للمسلمين وأخليت من اليهود والمنافقين وسكنها العديد ممن هداهم الله للإسلام وضاق بهم المسجد. . زاد رسول الله ﷺ فى مساحة المسجد فجعله مربعاً بطول ضلع ٥٠ متراً بينما كان طول الضلع قبل ذلك ٣٥ متراً كما اتخذ منبراً من خشب يتكون من درجتين ومجلساً.

وفى السنة السابعة عشرة للهجرة، ومع زيادة المسلمين الداخلين فى دين الله أفواجاً، زاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٥ أمتار من الناحية الجنوبية ونقل إليها القبلة كما فعل نحو ذلك من الناحية الغربية، وزاد ٢٥ متراً من الناحية الشمالية ، ولم يزد شيئاً من الناحية الشرقية حيث كانت بيوت أمهات المؤمنين.

وفى سنة ٣٩ هـ جدد عثمان بن عفان رضى الله عنه بناء المسجد وزاد فيه من الشمال والغرب والجنوب مساحة قدرها ٤٩٦م٢ ، ولم يزد أيضاً من الناحية الشرقية لنفس السبب السابق، وكان أقرب منزل للحرم بيت السيدة عائشة رضى الله عنها والذى دفن فيه النبى ﷺ وخليفتاه أبو بكر وعمر.

وقد بنى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه المسجد بالحجارة المنقوشة (الجص) وصب أعمدة من الحجارة المنقورة أدخل فيها عمد الحديد وصب فيها الرصاص وصب سقفه من خشب الساج.

وفى سنة ٨٨ أمر الوليد بن عبدالملك، عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه أمير المدينة أن يجدد المسجد فأدخل فيه بيوت أمهات المؤمنين وزاد فيه من الشرق والغرب والشمال ٢٣٩٦م٢، وبناه بالحجارة والجص وجعل أساطينه من المرمر حشاها عمد الحديد والرصاص ، كما بنى للمسجد أربعة مآذن وفرش أرضه بالرخام ووشى حوائطه بالفسيفساء وكسا سقفه بالذهب.

سنة ١٦١ هـ زاد المهدى الخليفة العباسى المسجد من الشمال مساحة قدرها ٢٤٥٠م٢.

سنة ٨٧٩ هـ أجرى الملك قايتباى المصرى عمارة هامة بالمسجد شملت بعض أسقفه وأعمدته وجدرانه ومآذنه وزاد فيه ١٢٠م٢ بالجهة الجنوبية الشرقية.

سنة ٨٨٦ هـ انقضت صاعقة على المئذنة الكبرى قضت على رئيس المؤذنين الذى كان يؤذن عليها وانتقلت النيران إلى سقف المسجد فالتهمته وهدمت جدره وتداعى أكثر عمده فأرسل الأشرف قايتباى الأمير سنقر الجمالى إلى المدينة ومعه العمال المصريين فعمروا المسجد على أتم وجه كما زاد عرضه من الجهة الشرقية ١٦٧٢م٢.

سنة ٩٨٠ هـ عمر السلطان سليم الثانى وبنى محراب غربى المنبر النبوى على حد المسجد الأصلى من الجهة القبلية.

سنة ١٢٧٧ هـ أمر السلطان عبدالحميد بن مراد العثمانى بعمارة المسجد عمارة شاملة تناولته كله عدا المقصورة وبعض جدر محكمة الأساس، كما غيرت الأعمدة القديمة بأعمدة أجود ووسمت الأروقة، كما زيدت أشياء أخرى واستمرت العمارة اثنى عشرة سنة وهى أيضاً عمارة مصرية خالصة، وقد استمرت على هذا الحال حتى التوسعة السعودية.

وسنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥١م عمرت السعودية المسجد عمارة شاملة بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود فهدمت الدور المحيطة بالمسجد بعد تعويض أهلها فبلغت ١٢,٢٧١ م٢ أزيلت من عمارة السلطان عبد المجيد وزيدت عليها ٦٠٢٤م٢ فأصبحت المساحة ١٦٣٢٧م٢ وما تبقى من العمارة العثمانية ٤٠٥٦م٢.

سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م كانت التوسعة الشاملة فى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز فى توسعة الحرم النبوى الشريف وإعادة تخطيط المدينة المنورة، وشملت التوسعة الجديدة للحرم إضافة مبنى جديد إلى مبنى المسجد يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها ٨٢٠٠٠م٢ تستوعب ١٥٠٠٠٠ مصل، وبذلك تصبح المساحة الإجمالية للمسجد بعد التوسعة ٩٨٠٠ م٢ لتستوعب ١٨٠٠٠٠ مصل، وقد تمت الاستفادة من سطح التوسعة للصلاة بعد تغطيتها بالرخام بمساحة قدرها ٦٧٠٠٠م٢ لتستوعب ٩٠٠٠٠ مصل، ليصبح سعة المسجد النبوى الشريف ٢٧٠٠٠٠ مصل بمساحة إجمالى ١٦٥٥٠٠م٢.

وقد بلغت الساحات المحيطة بالمسجد ٢٣٥٠٠٠م٢ منها ٤٥٠٠٠م٢ مكسوة برخام أبيض عاكس للحرارة والباقى ١٩٠٠٠٠م٢ مكسوة بالجرانيت وهى مخصصة للصلاة لتستوعب ٤٣٠٠٠٠ مصل فى حالة استخدام كامل المساحة لكى تزيد السعة الكلية للحرم ٧٠٠٠٠٠ مصل لتصل فى المواسم إلى مليون مصل.

وقد زودت هذه الساحات بمداخل للمواضئ بها ٦٨٠٠ وحدة وضوء، ٢٥٠٠دورة مياه، ٥٦٠ نافورة مياه للشرب وأماكن لاستراحة الزوار تتصل بمواقف سيارات مكونة من دورين تحت الأرض .. كما تمت إضاءتها بـ ١٥١ عامود مكسو بالجرانيت والحجر الصناعى.

أما الحصوتان المكشوفتان الواقعتان بين المسجد القديم والتوسعة السعودية الأولى قد غطيت باثنتى عشر مظلة ضخمة بنفس ارتفاع السقف تظلل كل واحدة منها ٣٠٦م٢ يتم فتحها وغلقها آلياً لحماية المصلين من الشمس والأمطار.

وقد شملت التوسعة الحديثة والتى انتهت من فى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م طابق أرضى بارتفاع ١٢,٥٥م ودور سفلى للخدمات بارتفاع ٤م. وقد شمل الطابق الأرضى على ٢٠٢٨ عامود مكسو بالرخام بها تيجان نحاسية بها سماعات للصوت.. ولكل عامود قاعدة رخامية بها فتحات تكييف تتباعد عن بعضها بمسافات ٦ ، ١٨ متر لتشكل أروقة وأفنية داخلية منسجمة مع الأطار العام للتوسعة.

كما زود المسجد بسبع وعشرين قبة متحركة بقطر ١٨م زنة الواحدة ٨٠ طن تغطى مساحة ٣٢٤م٢ يتحكم فى حركتها من بعد لفتحها وغلقها عندالحاجة، كما روعى فى التصميم إمكانية بناء دور ثان فوق التوسعة.

وتحتوى التوسعة على سبعة مداخل رئيسية بالجهات الشمالية والشرقية والغربية حيث يتكون المدخل الرئيسى بدوره على خمس بوابات متجاورة بالإضافة إلى بوابتين جانبيتين ، وهناك أيضاً مدخلان رئيسيان بالجهة الجنوبية للتوسعة يحتوى كل مدخل على ثلاث بوابات متجاورة. بالإضافة إلى عشر بوابات جانبية واثنتى عشر بوابة أخرى لمداخل ومخارج السلالم الكهربائية المتحركة التى تخدم سطح التوسعة علماً بأن عدد البوابات الخشبية الخارجية للتوسعة ١٤٢ بوابة منها ٦٥ بوابة كبيرة.

كما يوجد ١٨ سلما داخلياً ، كما يوجد بالتوسعة عدد ٦ مبانى للسلالم المتحركة تحتوى على ٢٤ سلماً متحركاً.

وفى وسط الناحية الشرقية يوجد مدخل الملك «فهد بن عبدالعزيز» وهو المدخل الرئيسى للتوسعة ويميزه سبع قباب وعلى كل جانب مئذنة بارتفاع ١٠٥ متر بزيادة ٣٣ متراً عن ارتفاع المآذن فى التوسعة السعودية الأولى ، كما توجد المآذن بالأركان الأربعة للتوسعة مع مئذنتين على جانبى المدخل الرئيسى.

وقد روعى فى التصميمات أعمال الزخارف الفريدة مع التنسيق والانسجام مع ما قبلها من مبانى لإبراز الفن الإسلامى الجميل وبجانب الزخارف والكرانيش وخلافه زيدت أعمال الخشب المشغول كالمشربيات والأبواب الخشبية المطلية بالنحاس كما أضيفت الثريات المطلية بالذهب وأعمال التكسية بالرخام المزخرف بأشكال هندسية جميلة وبها تجويفات لوضع المصاحف بطريقة منظمة.

كما أضيفت للمسجد ٦٨ نجفة كبيرة، ١١١ نجفة صغيرة مع ٢٠٤٥٠ وحدة إنارة ، ومكبرات صوت ودوائر تليفزيونية معلقة للمراقبة ونظام إنارة للطوارئ وأنظمة مكافحة الحرائق.

ومما يجدر بالذكر أنه قد تم تصميم نظم تلطيف الهواء بأسلوب يحافظ على الشكل الجمالى للمسجد حيث تم إدخال فتحات خاصة فى قواعد الأعمدة المغطاة بالنحاس لدفع الهواء البارد إلى المبنى من خلالها وتعتبر أعمال تلطيف الهواء فى المسجد النبوى الشريف من أكبر الأعمال فى العالم، كما تم تكييف المسجد القديم أيضاً بدون المساس به مع المحافظة على شكله.

كما تم تزويد المسجد بنفق لنقل المياه المبردة بواسطة ماسورتين بقطر الواحدة ٩٠سم فى نفق طوله سبع كيلو مترات مغذى من منطقة محطات التبريد والتكييف حتى تكون بعيدة عن الحرم لتفادى الضوضاء الناتج بالتشغيل وفى هذا النفق خاصة بخدمات نقل المياه والتكييف وخلافه.

كما زود المسجد بمواقف للسيارات تقع أسفل الساحات المحيطة بالمسجد النبوى الشريف من ثلاث جهات الغرب والشمال والجنوب من دورين بمساحة إجمالية ٢٩٠٠٠٠م٢ لاستيعاب ٤٠٠٠ سيارة.

وقد بلغت تكاليف المشروع أكثر من ٣٠ بليون ريال سعودى علاوة على ٧,٥ بليون ريال لتحسين المدينة المنورة.

وملخص التوسعة فى الآتى:

بيـــان	الوضع قبل التوسعة	التوسعة	الإجمالى
مساحة المسجد	١٦٥٠٠م٢	١٤٨٥٠٠	١٦٥٠٠٠م٢
عدد المصلين	٥٨ ألف	٦٤٢ ألف	٧٠٠ ألف
المآذن	٤ بارتفاع ٧٢م	٦ بارتفاع ١٠٤	١٠ مآذن
المداخل	٧	١٦	٢٣ مدخلا
الأبواب	١٦	٦٥	٨١ باب
السلالم	---	١٨	١٨ سلما
عدد السقوف المتحركة	--	٢٧	٢٧ سقفاً

القبر النبوى الشريف :

توفى النبى ﷺ فى بيت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فاختلف الصحابة على مكان دفنه ﷺ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض**»[صدق رسول الله].

لذلك تقرر أن يحفر له مكان الفراش الذى قبض فوقه.

وعندما مات خليفتاه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما دفنا معه فى نفس الغرفة، وقد ظلت هذه الحجرة وهى أصلاً بيت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها حيث أدخلت فيه باقى بيوت أمهات المؤمنين فى التوسعة التى أجراها عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه سنة ٨٨ هـ، وبقيت هذه الحجرة داخل المسجد قبراً للرسول ﷺ وصاحبيه بينما دخلت باقى الحجرات فى التوسعة.

ويقع قبر الرسول ﷺ فى الركن الجنوبى الشرقى من المسجد وليس بينه وبين الحائط الجنوبى والحائط الشرقى إلا مسافة صغيرة جداً تضيق بالزائرين وقد بناها عمر ابن عبدالعزيز رضى الله عنه من النحاس الأصفر وبأركانها أربعة أعمدة كبيرة أقيمت عليها القبة الخضراء ، وبالجهة الشمالية من المقصورة تقع دكة الأغوات فيما بين باب جبريل وباب النساء وأرجع القول فى وضع دفن الرسول ﷺ وصاحبيه هو أن أبابكر رضى الله عنه دفن شمال الرسول ﷺ بحيث كانت رأسه فى محاذاة منكبى عليه الصلاة والسلام كما دفن عمر رضى الله عنه بحيث كانت رأسه فى محاذاة منكبى أبو بكر رضى الله عنه. كما يوجد قبر السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ اسفل قبر رسول الله عند باب النساء.

وقدسية هذا المسجد تأتى بعد المسجد الحرام وقبل المسجد الأقصى والصلاة فيه تعادل ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، ومن نذر زيارته وجبت عليه الزيارة ولا يغنى عن ذلك أى مسجد آخر.

معالم المدينة المنورة :

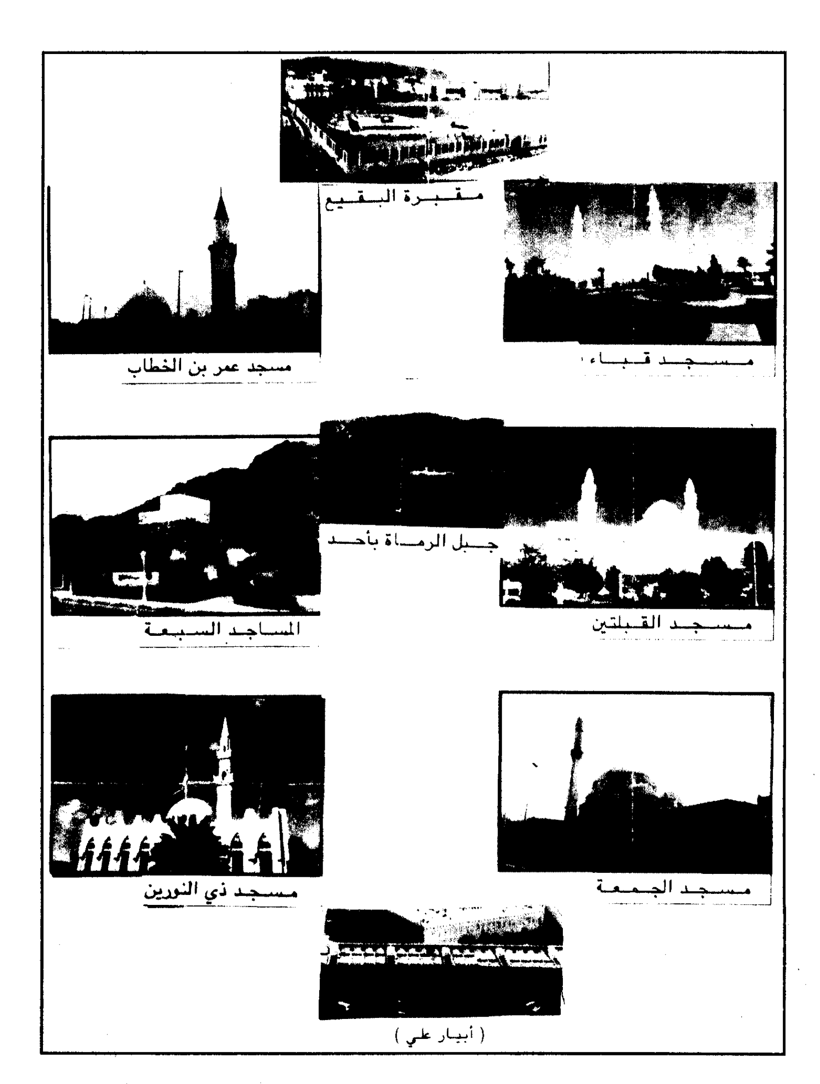
لقد كانت بالمدينة المنورة معالم كبرى لها أهميتها فى التاريخ الإسلامى وقد أزيلت معظمها ولم يبقى إلا القليل وسنذكره بإيجاز. (شكل رقم ٧).

١ - المناخة :

وهو مكان فضاء فسيح كانت قوافل الحجاج تضرب فيها الخيام ومأوى لإبلها وظلت كذلك تؤدى مهامها حتى صارت الموقف العام لانتظار سيارات الحجيج.

وتقع على يسار الداخل من باب العنبرية وقد أحيطت بسور مرتفع من جوانبه الأربعة، وهو الآن جراج للسيارات الكبيرة.

وهى فى الأصل سوقاً لبنى قينقاع من اليهود وكانت منازلهم بالقرب منها حتى أجلوا منها. ومن أثرها أنه قد نزل بها مائة ألف حاج قدموا من شتى الجزيرة العربية بمصاحبة رسول الله ﷺ فى حجة الوداع.



شكل (٨)
أهم المعالم الأثرية للمدينة المنورة

٢ - المساجد :

أ - الغمامة : أقرب مسجد للمناخة ويرى من خارج المدينة وله ست قباب ومئذنة قصيرة ملفتة للنظر ، ويطلق عليه أيضاً اسم المصلى لأن رسول الله ﷺ كان يصلى فيه العيدين وظل كذلك حتى لاقى ربه . . وكانت أرض فضاء حتى القرن الثانى للهجرة، ويقال أيضاً عندما كان ﷺ يصلى فيه كانت تظلله غمامة .

ب- السُّقْيَا : وهو يلى الغمامة وهو عبارة عن قبة يسمونها الروس بجوار بئر السقيا ويذكرون أنه ﷺ صلى بهذا المسجد ودعا فيه بالبركة لأهل المدينة .

جـ- الفتح : يقع شمال المدينة على جبل سلع وهو مكان الخندق وهو من المساجد التى بنيت فى عهد الرسول ﷺ ، ويروى أن رسول الله ﷺ دعا الله فيه ثلاث مرات أن يصرف الأحزاب وأن ينصره عليهم فاستجاب الله فى الثالثة . . وقد جدد الحسن بن أبى الهجاء بناء هذا المسجد سنة ٥٧٥ هـ ثم جدد فى عهد الدولة العثمانية .

د - ذياب : وهو على مقربة من مسجد الفتح على سفح جبل ذياب فيما بين سلع وأحد ويتميز بأن الرسول ﷺ صلى فى موضعه وضرب له قبة على جبل ذياب فى غزوة الخندق .

هـ- الإجابة : شمال البقيع الناحية الشرقية للمدينة المنورة ويتميز بأن الرسولﷺ دعا ربه وطلب ألا يهلك أمته بالغرق ولا بالجدب وإلا يجعل بأسهم بينهم فاستجاب الله تعالى الدعوتين الأولى والثانية ومنعه الثالثة .

٣- المساجد خارج حدود المدينة المنورة :

أ - قباء: هى على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة حيث أقام رسول اللهﷺ بها أربعة أيام للراحة بعد عناء الهجرة التى استمرت ثلاثة أيام فى غار ثور بمكة وثمانية أيام أخرى فى الطريق، وفى هذه الأيام الأربعة بنى رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين مسجد قباء، ويعتبر أول مسجد فى الإسلام وهو المسجد الذى نزلت فيه الآية : ﴿**لا تَقُمْ فيه أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فيه رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾[التوبة :١٠٨] .

وزيارته مستحبة وقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ كان يأتى قباء كل سبت راكباً أو ماشياً، كما روى أيضاً الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: « **صلاة فى مسجد قباء كعمرة**».

وقد هدم أكثر من مرة وأعيد بناؤه ، وفيه المحراب موضع نزول الآية على رسول الله ﷺ وقيل أنها أقيمت حيث بركت ناقة النبى ﷺ لذلك يقال أنها مبرك الناقة.

وعلى مقربة من باب المسجد تقع بئر إدريس منبع العين الزرقاء السابق الإشارة إليها وتسمى أيضاً بئر الخاتم لما يقال أن خاتم رسول الله ﷺ سقط فيها من يد عثمان بن عفان رضى الله عنه كما أضيفت إلى ذلك إلى بئر الرباط وبئر بويرة.

ب- الجمعة : عندما وجبت صلاة الجمعة وهو فى طريقه من قباء إلى المدينة بوادى رانواء أقيم المسجد مكان صلاة رسول الله ﷺ مع جموع المسلمين.

جـ- المشربية : يقع المسجد حيث كانت تسكن سيدتنا مارية القبطية رضى الله عنها أم إبراهيم وهى إحدى زوجات الرسول ﷺ والوحيدة التى أنجبت الولد بعد سيدتنا خديجة رضى الله عنها وهى بمنطقة العوالى من ضواحى المدينة وهو على نمط مساجد مكة والمدينة وهو قائم وسط خضرة وبيئة طبيعية جميلة تثير فى النفس البيئة المصرية. . سبحان الله.

د - الفضيخ : مسجد الشمس ، بجوار مسجد المشربة شرق قرية العوالى وهو أوسع رقعة منه وله شرفات وخمس قباب ومحراب وقد سمى «الفضيخ» لما روى أن أبا أيوب الأنصارى أراق به «الفضيخ» وهو خمر التمر حين سمع آية تحريم الخمر.

هـ- ذى الحليفة : وتسمى الآن أبيار على، وهو أول طريق المدينة باتجاه مكة وبها بئر ومسجد، وقد توضأ الرسول ﷺ منها للإحرام للعمرة عام الحديبية وللحج فى حجة الوداع ومسجدها قائم فى المكان الذى صلى فيه للإحرام وهو مسجد صغير.

و - القبلتين : فى شمال المدينة المنورة ويقع على ربوة مرتفعة وبه محرابان محراب إلى الكعبة ومحراب إلى المسجد الأقصى حيث كانت قبلة المسلمين فى أول

عهد الهجرة وحتى سبعة عشر شهراً أمر الله تعالى رسوله الكريم بالتوجه من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام . . لذلك ظل هذا المسجد محرابان تخليداً لهذه الذكرى إلا أن السلطات السعودية هدمت المحراب الخاص بقبلة الأقصى لأنهم وجدوا كثيراً من المسلمين يصلون فيها ركعتين وهو مخالف للشرع.

هذا وقد جددت جميع هذه المساجد وأعيد بناؤها في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز.

٤ - الأماكن التاريخية الأخرى:

من أهم معالم المدينة المنورة والتى تحتوى على أشرف بقاع نزل فيها رسول الله الكريم ﷺ وشهدت المعارك بين المسلمين والمنافقين والكافرين هى:

أ - البقيع: ويسمى بقيع الغرقد كما تسميه كتب السيرة، وهو مقبرة المدينة منذ الجاهلية وصدور الإسلام وحتى يومنا هذا، وبها مقابر أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين وقبر ابنه إبراهيم وقبور بناته وقبور عثمان بن عفان رضى الله عنه وجعفر الصادق ومالك بن أنس وقبور شهداء واقعة الحرة وكثير من صحابة رسول الله ﷺ ودفن فيه قرابة العشرة آلاف من صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين ، ويطلق عليه أيضاً جنة البقيع حيث أن سكانه من أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم من شهد الغزوات وخصوصاً غزوة بدر وبناته وولده وزوجاته وهم من المبشرين بالجنة.

(ولا توجد أى دلالات على القبور إلا ثلاثين قبراً فقط عليهم أسماء الثاوين فيها) وكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يأتى إلى البقيع مشيعاً أصحابه أو زائراً أو داعياً ومناجياً لهم، وحين مرض ﷺ مرضه الأخير فقد أرق ، فى أول ليله يشكوا فيها فخرج مع أبو مويهبة وذهب إلى البقيع ووقف بين المقابر يخاطب أهلها:

«السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحت فيه مما أصبح الناس فيه. اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى» ثم استغفر الله لهم.

ب- بئر رومة : وكانت ملك يهودى يدعى رومة وكان يبيع الماء للمسلمين بأسعار عالية فاشتراها منه سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه بعشرين ألف درهم ثم وهبها للمسلمين وهى ما زالت موجودة للآن.

٥ - الغزوات :

بدر : مكان يقع بين المدينة المنورة ومكة المشرفة وتبعد مسافة ١٥٠ كم تقريباً وكانت ملتقى القوافل المسافرة إلى الشام وكان يقام فيها سوق كل عام.

وقد وقعت غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية من الهجرة حيث كان أعداد الكفار ثلاثة أمثال المسلمين وقد نصر الله عبده ﷺ فى هذه الغزوة وكانت فاتحة الفتح الإسلامى إلى العالم أجمع، وبها يرقد شهداؤها بواحة خضراء يكسوها الزرع وتكتظ بالنخيل وهو مكان المعركة فى ومنتصفها مسجد العريش نسبة إلى العريش الذى قاد منه الرسول ﷺ المعركة إلى النصر.

أحد : جبل صخرى يبعد أربعة كيلو مترات من المدينة المنورة من الشرق إلى الغرب ستة كيلو مترات وفيه رؤوس جبلية كأنها جبال مستقلة وهو على مستوى ١٢٠٠م من سطح البحر، وفيه قال رسول الله ﷺ: **« احد جبل يحبنا ونحبه»** صدق رسول الله ﷺ.

عند سفح هذا الجبل وقعت غزوة أحد فى السنة الثالثة للهجرة واستشهد فيها سبعون شهيداً من خير رجال المسلمين الأوائل ومنهم أسد الله حمزة بن عبدالمطلب وهو عم الرسول ﷺ، وتوجد مقبرة تضم قبر سيدنا حمزة ومصعب بن عمير وعبدالله بن جحش وقد ضرب حوله سور متوسط الارتفاع.

ويقال أيضاً عندما كان رسول الله ﷺ واقف على جبل أحد اهتز الجبل فقال ﷺ: **« اهدا أحد فعليك نبى وصديق وشهيدين»** صدق رسول الله ﷺ.

وكان يقف بجواره ﷺ أبى بكر الصديق وسيدنا عمر وسيدنا على رضى الله عنهم أجمعين.

الخندق : عندما أجلى المسلمون يهود بنى النضير وقينقاع عن المدينة عز ذلك على باقى زعماء اليهود فأخذوا يألبون قريشاً وقبائل العرب بالتضامن معهم على حرب النبى ﷺ وأصحابه وجمعوا لهذا الغرض جيوشاً عظيمة.

وعندما علم المسلمون بهذا الأمر ، أشار سلمان الفارسى رضى الله عنه على رسول الله ﷺ بحفر خندق حولها ليسهل الدفاع عنها ويمنع الأعداء من اقتحامها.

ولقد تم ذلك وكان الرسول ﷺ يحفر مع المسلمين بيده الشريفة، كما أسهم فى ذلك جميع المسلمين كل قدر استطاعته، وعند وصول الجموع الغفيرة من اليهود والمشركين فوجئوا بهذا الخندق الجديد عليهم واضطروا إلى الوقوف أمامه حيث كان يضرب بالنبال أى فارس يحاول عبوره ، ووقفوا فى انتظار فرصة مناسبة لعبوره.

وقد نقضت يهود بنى قريظة العهد مع رسول الله ﷺ وانضمت إلى الأعداء الأحزاب ضدهم وأصبح المسلمون مهددون بالمنافقين واليهود فى الداخل والأحزاب من الخارج إلى أن أتاهم الله بنصره بجند لم يروها فأرسل عليهم ريحاً أجلتهم عند مواقفهم وهزموا شر هزيمة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب:٩].



الباب السابع
ملخص أعمال الحج والعمرة
من البداية إلى النهاية

ملخص أعمال الحج والعمرة
من البداية إلى النهاية

عند النية لأداء فريضة الحج والعمرة على المسلم أن يراعى آداب هذه الفريضة من أعمال ومناسك ونيته وخلافه على أن يهتم بالآتى :

أولاً : التوبة إلى الله تعالى :

أن يبدأ المسلم بإعلان توبته إلى الله تعالى من جميع المعاصى والذنوب التى إقترفها فى حيائه توبة نصوحاً ، ولو أن هذه التوبة مطلوبة من كل مسلم يومياً على ما فعله من خطأ فى حق نفسه وفى حق المجتمع الذى يعيش فيه ، وأن تطلب من الله المغفرة على ما ظلمت به نفسك حيث يبدأ الإنسان فى أداء هذا النسك وهى طاعة كاملة لله وتكون التوبة هنا ضرورية وشروط التوبة هى :

أ - توبة إلى الله تعالى والرجوع إليه فى جميع أحوالك ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ** .. ﴾[غافر :٢] .

ب- الندم على ما فعلته من الذنوب والآثام كبيرة كانت أم صغيرة .

جـ- العزم على عدم الرجوع إليها مرة أخرى ما دمت حياً ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴿١٣٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٣٥] .

د - الاقلاع فوراً عن هذه الذنوب والتى قد أصبحت عادة لديه فإذا كان الذنب حقاً من حقوق الله (الصيام - الصلاة) فالأمر لله وحده فهو غافر الذنب يغفر الذنوب جميعاً ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر :٥٣] .

أما إذا كان الذنب حقاً من حقوق العباد ، فإن التوبة لا تقبل إلا برد هذه الحقوق إليهم ، وعلى سبيل المثال: ان كان الإنسان قد اغتصب مالا من أحد أو أكل مال اليتيم مثلا وكان هناك خلافات وقضايا فارجع المال أو الحقوق فوراً إلى أصحابها مع

المصالحة ، أما إذا كان الحق قديما وتستطيع أن ترجع هذه الحقوق فافعل فإن توفى الخصم أو الخصوم فادفع الحقوق إلى الورثة وإن لم تستدل عليهم فاخرج هذه الحقوق فى صورة صدقات جارية باسمهم عسى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منك هذه التوبة، أما فى حالات أخرى كالقتل والزنا والسرقة فيجب الرجوع إلى الفقهاء ليدلوك على ما تفعله فى كل حالة على حدة.

ثانياً : وداع الأهل والأصدقاء :

على المسلم الحاج أو المعتمر عموماً أن يودع أهله وجيرانه وزملائه وأصدقائه قبل السفر وأن يطلب منهم أن يسامحوه إن كان قد جار عليهم أو ظلمهم فى أى حق من الحقوق أو أن يكون قد تسبب فى أى أذى لهم وأن يغفروا له ذنبه وحقوقهم عليه وهى مكملة للتوبة النصوحة وهى الذنوب فى حق العباد ولا يمكن أن يبوح بها للضرر الشخصى والضرر العام كالزنا مثلاً.

ثالثاً : صلة الرحم :

وهى من أهم الأعمال ليس للحاج أو المعتمر فحسب ولكن للمسلم عموماً. فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:« **إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه ، قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال : نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك، واقطع من قطعك؟ قالت بلى يا رب. قال: فهو لك**». قال رسول الله ﷺ : « **فاقرءوا ما شئتم**».

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[**محمد** :٢٢] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**» [رواه البخارى] . . فكيف تقابل ربك فى يوم عرفة والله ذكر فى كتابه وفى سنة رسوله أن الله يقطع قاطع رحمه. هذا وقد ذكر رسول الله ﷺ أن قطع الرحم من الكبائر.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر فقال: «**الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال قول الزور أو شهادة الزور**» [صحيح البخارى].

وذكر الرسول ﷺ لكى تدخل الجنة عليك بأن تصل رحمك فعن أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة؟ فقال القوم؟ ماله ماله؟ فقال: رسول الله ﷺ «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم**»[رواه البخارى].

وعن جبير ابن مطعم أنه سمع النبى ﷺ يقول:« **لا يدخل الجنة قاطع رحم**»[رواه البخارى].

فعلى المسلم الحاج أو المعتمر أن يصل رحمه قبل أداء هذه الفريضة حتى يقابل الله وهو راض عنه وليس غضبان عليه. وعلى الذين يتحايلون على شرع الله فى توزيع الإرث لحرمان الإناث وكذلك حرمان الأعمام عندما يكون خلفتهم إناثاً فقط، وأكل مال اليتيم . . و . . أن يرجعوا إلى الله تعالى ويصححوا أخطاءهم.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾

[**محمد**:٢٢].

رابعاً: دراسة أحكام الحج والعمرة:

لا يصح للحاج أو المعتمر أن يؤدى هذا النسك ولم يقرأ ولم يسمع عن أحكامه وشروطه وما يستحب والأخطاء، حيث أنها عبادة عالمية علاقة بينك وبين الله وجميع مخلوقاته من أنس ودواب وأنعام ونباتات . . فيجب أن نعرف كل صغيرة وكبيرة خاصة بهذا الركن العظيم وأن نتزود بمثل هذا الكتاب ليكون لك دليلاً ومرشداً.

خامساً: الملبس والمأكل والمظهر العام:

أن لا يغالى الحاج أو المعتمر فى الملبس والمأكل والمشرب. والمظهر العام لأن هذه الفريضة هى تدريب للنفس على التواضع وعلى أن يعلم ان الناس جميعاً أمام الله

سبحانه وتعالى سواء فلا فرق بين غنى وفقير وأمير وغفير لأن الهدف من الحج والعمرة هو الرجاء من الله والثواب وغفران الذنوب حتى يكون يوم عرفة أشعث أغبر غير مترف مشغول عن الذكر والتسبيح بالطعام والشراب والجدال وأن تساعد أخوانك الضعفاء والنساء وكبار السن غير متكبر أو متعال وأن تكون ليناً حسن الحديث وأن تعين ذو الحاجة من طعام ومال لمن فقد ماله وللفقراء من الحجاج ان استطعت. . كما لا تظهر النساء من زينتهن أو يتبرجن وان يرفعن أصواتهن فى هذه الأماكن المقدسة.

سادساً: كتابة الوصية:

قبل أن يخرج الحاج أو المعتمر للسفر عليه كتابة وصيته مبيناً فيها ما يجب عمله فى غيابه وما يجب فعله عند وفاته فى أمواله وعقاراته. . وخلافه ويجب أن تشمل الوصية ما عليه من الديون لدى الناس وكذلك استحقاقاته لدى الناس.

سابعاً: ما يجب فعله يوم السفر:

جهز نفسك مبكرا قبل ميعاد السفر بعدد كاف من الساعات حتى تصل إلى مكان سفرك (باخرة - طائرة - سيارة) فى الوقت المناسب. ثم تعمل الآتى:

١ - الاغتسال.

٢ - صلاة ركعتى سنة السفر ثم يدعو الله ما يشاء ويرجاه.

٣ - أن يصلى ركعتى الإحرام.

٤ - لبس ملابس الإحرام.

٥ - النية وأنواعها عمرة أو حج وأنواعه.

٦ - عند الخروج من بيته يقول.

باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إنى أعوذ بك أن أضلّ أو أضلّ أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علىّ.

٧ - عند ركوبك أى وسيلة من مواصلات أو أى حركة فى المشاعر تقـول:

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الحمد لله سبحانه الذى سخر لنا هذا وما كنا

مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى. اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده. اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل. اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال.

وفى حالة العودة إلى أرض الوطن تزيد:

آيبون تائبون . عابدون . لربنا حامدون.

٨ - لا تشغل نفسك بأى شيء فى الدنيا إلا بذكر الله والتلبية فى كل حركة وسكنة مع قراءة القرآن والدعاء والذكر والاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ على أن يكون ذلك سراً حتى لا تشوش على الآخرين وتفقد تركيزك.

ثامناً: الصلاة فى السفر:

يتناقش المسافرين كثيراً فى كيفية الصلاة فى السفر هل تصلى كاملة أم قصراً وما هى صلاة القصر وعدد ركعأتها وأوقات صلاتها. . و . . وحتى تنتهى المناقشات والخلاف . . أثناء هذه الفريضة فلا جدال فى الحج فسنذكر بالتفصيل أداء الصلاة عند السفر.

١ - تعريف (قصر الصلاة فى السفر):

القصر فى الصلاة أنه تصلى الصلاة الرباعية (كالظهر والعصر والعشاء) ركعتين فقط بدلاً من أربعة ركعات أما صلاتى الصبح والمغرب فهى مقصورة أصلاً فتصلى كما هى.

٢ - الجمع فى صلاة القصر:

أن يصلى الظهر مع العصر وأن يصلى المغرب مع العشاء فى أى وقت منها بمعنى أن تصلى العصر بعد صلاة الظهر مباشرة وليس فى وقت العصر وكذلك تصلى العشاء بعد صلاة المغرب مباشرة ويسمى ذلك جمع تقديم أى قدمت صلاتى العصر والعشاء عن وقتيهما.

أو تؤخر صلاة الظهر وتصلى فى ميعاد العصر وتؤخر صلاة المغرب وتصلى فى ميعاد العشاء ويقال لها صلاة جمع تأخير . وقد شرع الله سبحانه وتعالى هذه الصلاة فى السنة الرابعة للهجرة وثبت مشروعية صلاة القصر فى السفر فى الكتاب والسنة والإجماع سواء كان فى حالة الخوف أو السكينة والأمان.

فقال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾[النساء:١٠١].

وقال يعلى بن أمية : قلت لعمر ما لنا نقصر وقد أمنا. فقال سألت رسول الله ﷺ فقال: **«صدقة تصدق الله بها عليكم فأقبلوا صدقته»**[رواه مسلم].

وقال ابن عمر رضى الله عنهما. صحبت النبى ﷺ فكان لا يزيد فى السفر على ركعتين وأبو بكر وعثمان كذلك[متفق عليه].

وروى ابن شيبة ان النبى ﷺ قال:

«ان خيار أمتى من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والذين استحسنوا استبشروا ، وإذا اساءوا استغفروا وإذا سافروا قصروا».

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ صلى إماماً بأهل مكة بعد الهجرة رباعية فسلم على رأس ركعتين ثم التفت إلى القوم فقال: **« اتموا صلاتكم فإنا قوم سفر»**.

روى مالك فى الموطأ عن معاذ أن النبى ﷺ . أخر الصلاة فى غزوة تبوك يوماً. ثم خرج فصلى الظهر والعصر جمعاً ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جمعاً.

٣ - حكم صلاة القصر:

قال عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وجابر ومذهب الحنفية. أن القصر واجب.

وعند المالكية : القصر سنة مؤكدة.

وعند الشافعية والحنابلة أن القصر جائز وهو أفضل من التمام.

ولا خلاف بين جمهور الفقهاء على صلاة الظهر والعصر صلاة قصر جمع تقديم بعرفة وصلاة المغرب والعشاء صلاة قصر جمع تأخير بالمزدلفة وفيما عدا ذلك فإن الجمع بين الصلاتين فى السفر جائز فى قول أكثر أهل العلم. كما قدمنا.

٤ - كيفية صلاة القصر:

عند صلاة الظهر قصراً يؤذن أولا للصلاة ثم تقام صلاة الظهر فتصلى ركعتان فقط وبعد التسليم من الصلاة. ينادى لصلاة العصر فتصلى العصر ركعتان فقط؛ وهكذا يحدث بالنسبة لصلاة المغرب وجمعها مع العشاء قصراً جمع تقديم حيث يؤذن للصلاة أولاً ثم تقام صلاة المغرب ثلاث ركعات ثم تقام صلاة العشاء بعد التسليم مباشرة من صلاة المغرب فتصلى ركعتان فقط.

ويرى ابن تيمية أن الموالاة بين الصلاتين لا تشترط بحال، لا فى وقت الأولى ولا فى وقت الثانية فإنه ليس له حد فى الشرع. وقال الشافعى. لو صلى المغرب فى بيته بنية الجمع ثم أتى المسجد فصلى العشاء جائز. ويروى ذلك أيضاً أحمد وابن حنبل وأجاز أكثر أهل العلم الصلاة قصراً وجمعاً فى أى وقت منهما وعلى جواز صلاة كل فرض قصراً فى وقته بدون جمع.

٥ - شروط صحة القصر:

أ - المسافة:

تقدر بثمانين كيلو مترا ونصف ويقول الشيخ سيد سابق فى كتاب فقه السنة السفر أى كان طال أم قصر تقصر من أجله الصلاة وتجمع ويباح فيه الفطر، ولم يرد فى السنة ما يفيد هذا على الإطلاق.

عن يحيى بن يزيد قال سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال أنس كان رسول الله ﷺ إذا خرج ثلاثة أميال أو خمس فراسخ.. يصلى ركعتين.. رواه أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقى.

ب- الإقامة:

تعددت الآراء فى مدة الإقامة المسافر حتى يصلى قصراً. على المسافر أن يقصر الصلاة ما دام مسافرا. فإن أقام لحاجة ينتظر قضاءها قصر الصلاة كذلك لأنه يعتبر مسافراً وإن أقام سنين فإن نوى الإقامة مدة معينة فالذى اختاره ابن القيم وأن هذه الإقامة لا تخرج عن حكم سفر سواء طالت أم قصرت ما لم يستوطن المكان الذى نزل فيه . ولقد لخص ابن القيم أيضاً اراء كثير من العلماء وهو يحبذها أيضاً فقال: أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة ، ولم يقل للأمة لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك، ولكن اتفق إقامته هذه المدة.

ويباح القصر والجمع إذا نوى المسافر الإقامة أربعة أيام وإذا نوى أتم الصلاة وإن نوى دونها قصر (مالك والشافعى) .

أما أبو حنيفة إذا نوى الإقامة خمسة عشر يوماً وإن نوى دونها قصر واتفق العلماء والأئمة الأربعة إذا أقام المسافر لحاجة ينتظرها اليوم أخرج. . اليوم أخرج. . فإنه يقصر أبداً.

وان خرج الإنسان هائماً ولم ينو السفر فلا يقصر ويبدأ صلاة القصر عندما يصل إلى المكان أو محل يعتبر فيه المسافر عرفا وهى حدود البلدة التى تقيم فيها أصلاً.

وعلى المسافر ألا يقتدى بمسافر معه أو مقيم يتم الصلاة وإن فعل ذلك عليه أن يتم الصلاة أما إذا لم يدرك مع الإمام ركعة كاملة فعليه أن يقصر لأن المأمومية لا تتحقق إلا بركعة كاملة.

جـ- النية فى صلاة القصر:

على المسافر أن ينوى كل صلاة قصر بينما يرى الأحناف أن المسافر يلزمه نية واحدة فقط وهى نية السفر قبل الصلاة ومتى نوى الصلاة، أما المالكية : فكفى نية القصر فى أول الصلاة يقصرها المسافر ولا يلزم تجديدها فهى كنية الصوم أول ليلة من رمضان تكفى باقى الشهر. ابن تيمية وجمهور العلماء قالوا: يشترط النية فى قصر الصلاة وجمعها، فلو تبع مسافر ولم ينو القصر والجمع مؤتماً بمسافر مثله فصلى قصراً.

جمعا صحة صلاته.

د - ما يمنع القصر:

في حالة الخلاف فى وجود مجاميع من المسافرين منهم المسافر ومنهم المقيم ومنهم من يريد أن يصلى قصراً والآخرين لا يريدون فإن تعذر الاتفاق لا بأس أن تأخذ كل مجموعة بما ترتاح نفوسهم إليه دون أن يثير ذلك جدلاً أو حرجاً.

روى الأسود عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: خرجت مع رسول اللهﷺ فى عمرة رمضان ، فافطر وصمت، وقصر وأتممت فقلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمى. أفطرت وصمت، وقصرت وأتممت فقال : «احسنت»[رواه أبو داود].

تاسعاً: المشتريات:

حدد مشترياتك وميزانيتها مسبقا وأفصل أموالها عن باقى الأموال الأخرى الخاصة باحتياجاتك فى الحج أو العمرة، وقسم المشتريات جزءاً منها من مكة المكرمة والجزء الآخر من المدينة المنورة حيث قال الله سبحانه وتعالى وليشهدوا منافع لهم . وفى المدينة دعى رسول الله ﷺ للمدينة كما دعى سيدنا إبراهيم لمكة.

لا تشغل نفسك بالمشتريات إلا بعد آداء الفريضة سواء كان حجاً أو عمرة حتى لا تنشغل بها وبحراستها.

واستثمر وقتك كله فى الصلاة والتسبيح فلاتنس وأنت فى المسجد الحرام الصلاة بمائة ألف عمن سواه، والنظر إلى الكعبة ذكراً وتسبيحاً والطواف وكذلك فأنت فى أكرم بقاع الأرض فأكثر من الصلاة والصيام وقراءة القرآن وتؤدى عمرات عديدة فليس لها عدد فهى فى أى زمان. وبعد طواف الإفاضة اشترى ما شئت.

وأنت فى مدينة الرسول تزود بالتقوى والصلاة فى الروضة الشريفة والصيام والصلاة وعلى رسول الله . ثم اشترى ما شئت بعد ذلك.

عاشراً : زيارة قبر رسول الله ﷺ :

لا تنس أنك فى حضرت الرسول ﷺ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبرى عيدا، وصلوا علىَّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم** » ، لا تنسى أن تصلى فى الروضة الشريفة. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **ما بين بيتى ومنبرى روضة ومن رياض الجنة ومنبرى على حوضى** » .

لا تنس عند زيارتك قبر الرسول أن تتجنب ارتفاع صوتك أو التمسح بالمقصورة أو تقبيلها فقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك .

لا تزاحم ولا تضايق إخوانك الزوار فى كل من المسجد الحرام أو مسجد الرسول ﷺ حتى لا يحبط عملك وتكتسب الآثام بينما أنت ذاهب طالب الرحمة والمغفرة .

حادى عشر : العودة إلى أرض الوطن :

تتم اجراءات السفر بعيدة عن رغباتنا حيث أنها من سلطة المسئولين عن الحج وحذار استخدام سلطاتك أو معارفك أو مالك فى أخذ دور زميل لك فى الطائرة أو الباخرة أو السيارة فأنك تأخذ حق ليس لك وبدأت فى رحلة الآثام والضياع مرة أخرى ولا تحاول أن تطيل الإقامة فى كل من مكة المكرمة أو المدينة المنورة حيث حبب رسول الله ﷺ الاستعجال بالعود بعد الحج .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه فإذا بلغ أحدكم نهمه (أى اشتياقه لأهله) فليعجل (إلى أهله)** » [رواه البخارى ومسلم] .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا قضى أحدكم حجته فليعجل إلى أهله فإنه أعظم الأجرة** » [رواه الدراقطنى] .

وتذكر:

أ – الاغتسال للسفر.

ب– دعاء الخروج.

جـ– دعاء الركوب أى وسيلة مواصلات ، وأن يزيد على دعاء السفر:

آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون.

د – عليك أن تعلم أهلك بميعاد وصولك.

هـ– أول شيء تفعله عند وصولك الوطن عليك بالصلاة ركعتين بالمسجد فى غير وقت كراهة. ثم انصرف إلى بيتك ثم استقبل من شئت من المهنئين.

و – يستحب أن ينحر الحاج بعد قدومه بدنة إن استطاع وتصنع طعاماً ليطعم أصحابه وأقربائه وجيرانه وخصوصاً الفقراء منهم. فقد روى البخارى أن النبى ﷺ لما قدم المدينة من الحج نحر جزور أو بقرة.

ثانى عشر: تذكر دائماً ما دمت حياً:

أنك رجعت كما ولدتك أمك خالياً من الخطايا والذنوب والآثام حتى ولو كانت ملأ الأرض فأنت كنت فى رحاب رب رؤوف رحيم رحمن رحيم حنان منان.

فهل تعود إلى ما كنت عليه سابقاً من غفلة وعدم مراعاة حقوق الله سبحانه وتعالى فى عملك فى كسبك فى أولادك وأسرتك وفى زملائك وجيرانك وأصدقائك وبلدك وأمتك الإسلامية.

هل كانت رحلتك إلى هذه الأماكن المقدسة رحلة استكشافية لتعرف ماذا هناك؟

هل هى رحلة ثقافية؟

أم رحلة وهجرة إلى الله غافر الذنب وقابل التوب؟!

رحلة إلى الله لتبدأ حياة سعيدة مع نفسك ومع خلقه؟!.

رحلة إلى الله لتبدأ رحلة الإيمان وحلاوة القرب للرحمن؟

رحلة إلى الله لتبدأ فى قراءة القرآن وتدبر والسنة وفى التسبيح؟

رحلة إلى الله لتتزود من حياتك إلى الرحلة الكبرى فى البرزخ آملاً من الله أن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وبصحبة حبيبه المصطفى ﷺ فتكون حياة سعيدة متوائم مع نفسك ومع المجتمع.

ثالث عشر: ملخص أعمال ومناسك الحج والعمرة:

يمكن تلخيص مناسك الحج والعمرة فى الآتى:

أ - العمرة منفردة:

١ - الإحرام بعمرة.

٢- الطواف طواف عمرة ويجزئ عن طواف القدوم.

٣ - السعى بين الصفا والمروة.

٤ - الحلق أو التقصير.

٥ - ذبح هدى تطوع وليس وجوباً.

ب- الإحرام بالحج مفرداً:

وتكون النية : اللهم إنى أريد الحج مفرداً فيسرها لى . . وتقبلها منى ثم يلبى ويصلى على رسول الله ﷺ ويستكمل كما سبق.

وأعمال مناسك الحج كالتالى:

١ - الإحرام.

٢ - الطواف حول الكعبة . طواف قدوم وليس ركناً فى الحج.

٣ - السعى بين الصفا والمروة. سبعة أشواط مرة واحدة والأفضل بعد طواف القدوم ، ويمكن أن يؤخر إلى بعد طواف الإفاضة.

٤ - المبيت بمنى يوم التروية.

٥ - الوقوف بعرفة.

٦ - المبيت بمزدلفة وجمع الجمرات وصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير قصراً.

٧ - الدخول إلى منى للإقامة.

أ - رمى جمرة العقبة الكبرى.

ب- حلق الشعر أو التقصير.

جـ- التحلل الأول أو الأصغر من الإحرام بدون ملامسة النساء.

د - طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج.

هـ- التحلل الأكبر والأخير فى الإحرام.

و - رمى الجمرات أيام التشريق.

٨ - طواف الوداع.

٩ - الهدى ليس من أعمال الحج وليس وجوباً وله أن يقدمه تطوعاً إذا أراد.

جـ- إحــرام حج القران:

يحرم حج الحاج بالحج والعمرة معاً وينوى قائلاً:

اللهم إنى أريد الحج والعمرة معاً فيسرها لى وتقبلها منى ثم يلبى ويصلى على النبى عليه الصلاة والسلام ويستكمل ما سبق.

وأعمال ومناسك الحج القارن كما يلى:

يقتضى بقاء المحرم على صفة الإحرام إلى أن يفرغ من أعمال الحج والعمرة جميعاً:

١ - الإحرام.

٢ - طواف القدوم عند دخول مكة.

٣ - السعى بين الصفا والمروة، وهى واحدة للعمرة والحج، ولكن لا يتحلل ويظل على إحرامه حتى الانتهاء من مناسك الحج وهى على التوالى.

٤ - المبيت بمنى يوم التروية.

٥ – الوقوف بعرفة.

٦ – المبيت بالمزدلفة وجمع الجمرات وصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير قصراً.

٧ – الوصول إلى منى للإقامة.

٨ – رمى العقبة الكبرى (وجمرة العقبة).

٩ – ذبح الهدى الواجب عليه للقران.

١٠– حلق الشعر أو التقصير.

١١– التحلل الأصغر من الإحرام دون ملامسة النساء.

١٢– طواف الإفاضة ركنى الحج والعمرة معاً.

١٣– التحلل الثانى أو الأخير من الإحرام ويكون بعد السعى إذا تأخر.

١٤– الإقامة بمنى لرمى باقى الجمرات فى أيام التشريق.

١٥– طواف الوداع «عند مغادرة مكة».

وقد ذهب جمهور الفقهاء والعلماء على أن القارن تكفيه أعمال الحج وحدها فيطوف طواف واحداً سعياً واحداً للحج والعمرة معاً كمثل المفرد.

فعن جابر رضى الله عنه قال: قرن رسول الله ﷺ الحج والعمرة وطاف لهما طواف واحد. [رواه الترمذى].

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: **«طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجتك وعمرتك»**.

والطواف المقصود فى كل هذه الآراء هو طواف الإفاضة لأنه ركن أساسى فى الحج ويجزئ فى نفس الوقت عن طواف العمرة. وذهب أبو جنيفة إلى أنه لا بد للقارن من طوافين وسعيين، أى طواف وسعى للعمرة وطواف وسعى للحج. والرأى الأول أولى بالاتباع لقوة أدلته.

د - الإحرام حج تمتع :

هو آداء العمرة فى أشهر الحج ثم يتحلل ثم يحج المعتمر فى نفس العام الذى اعتمر فيه ويؤدى هذا أن ينوى الفرد آداء العمرة وحدها قبل الحج قائلاً: اللهم إنى أريد العمرة فيسرها لى وتقبلها منى ثم يلبى ويصلى ثم يصلى على الرسول ﷺ ويستكمل كما سبق.

وتؤدى جميع أعمال العمرة ومناسكها كاملة ثم يتحلل فى إحرامه وينتظر إلى يوم التروية «الثامن من الحجة» فيحرم بالحج وحده وينوى قائلاً:

اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى ثم يلبى ويصلى على رسول اللهﷺ ويستكمل كما سبق.

ويستكمل أعمال الحج حتى يتحلل التحلل الأكبر وطواف الوادع.

ملحوظة : فى هذا الحج يلزمه هدى وهو واجب اتباعاً لأوامر الله فى الآية.

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[البقرة: ١٩٦].

وموعده فى يوم النحر وحتى آخر شهر ذو الحجة بعد رمى الجمرة الكبرى بينما فى الشافعية أجاز ذبح هدى التمتع بعد إحلال العمرة وبذلك يكون الذبح من شهر شوال إلى شهر ذى الحجة وهو الأمثل لحل مشكلة عدم الاستفادة من هذه اللحوم.

تكرار عمرة التمتع :

ويعتبر الحاج متمتعاً إذا أدى العمرة، وتحلل ثم أدى الحج فى نفس العام كما أسلفنا سابقاً ويستوى فى ذلك أن يؤدى الحاج العمرة ثم يرجع إلى وطن أو خرج إلى الحل أو أقام بمكة سواء يؤدى عُمُراً كثيرة قبل آداء الحج أو يؤديها مرة واحدة. وليس له إلا هدى واحد فقط. وقد سميت هذه الأفعال تمتعاً. لانتفاع المحرم بآداء الحج والعمرة فى أشهر الحج فى عام واحد وكذلك تمتعه بالتحلل من الإحرام بين العمرة والحج بما يتمتع به غير المحرم إلى أن يحرم مرة أخرى للحج:

وأعمال مناسك حج التمتع هى:

١ - الإحرام.

٢ - طواف العمرة «ويجزء عن طواف القدوم».

٣ - السعى بين الصفا والمروة.

٤ - حلق الشعر أو التقصير.

٥ - التحلل من الإحرام.

٦ - الإحرام بالحج مرة أخرى يوم التروية «الثامن من ذى الحجة».

٧ - المبيت بمنى يوم التروية.

٨ - الوقوف بعرفة

٩ - المبيت بالمزدلفة جمع الجمار وصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير قصراً.

١٠- الإقامة بمنى.

١١- رمى العقبة الكبرى.

١٢- ذبح الهدى وهو ذبح وجوبى.

١٣- حلق الشعر أو التقصير.

١٤- التحلل الأول أو الأصغر من الإحرام ما عدا لمس النساء.

١٥- طواف الإفاضة.

١٦- السعى بين الصفا والمروة سعى الحج.

١٧- التحلل الثانى والأخير فى الإحرام.

١٨- المبيت بمنى أيام التشريق لرمى الجمار.

١٩- طواف الوداع «عند مغادرة مكة».

الحمد الله رب العالمين

وتقبل الله منى ومنكم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين المرسل رحمة للعالمين البشير النذير والسراج المنير وعلى آله وصحبه وجميع أنبيائك ورسلك وملائكتك وحملة عرشك والحافين حول عرشك وملائكتك المقربين .

عبدك

عبدالحافظ سلامة

تابع المحتويات

تابع المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

تابع المحتويات

تابع المحتويات

تابع المحتويات

تابع المحتويات

تابع المحتويات

تابع المحتويات

تابع المحتويات

رقـم الايـداع :
١٤٣٤١ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 281 - X

مطابع آمـون

٤ الفيروز من ش إسماعيل اباظة
لاظوغلى - القـاهرة - ج م ع
ت : ٧٩٤٤٥١٧ ـ ٧٩٤٤٣٥٦